

الكامل

في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد الجبرد

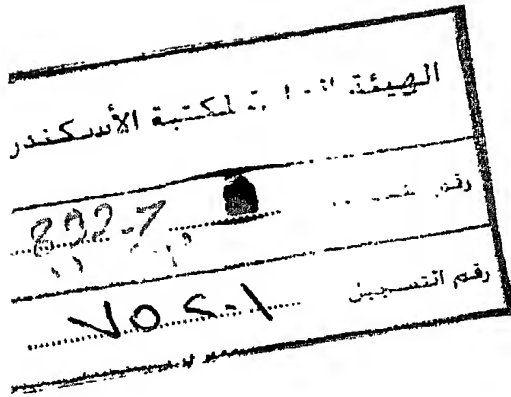
عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م



ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب (١)

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنا أن نخرُجَ فيه من حزنٍ إلى سهلٍ ومن جدٍّ إلى هزلٍ. ليستريحَ إليه القارئ. ويدفعَ عن مُستمِعِهِ المللَ. ونحنُ ذاكرون ذلك إن شاء الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن علي الخزاعي]

قال بكر بن النطاح في كلمة يمدحُ فيها^(٢) مالك بن علي الخزاعي:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى	لَتَرْضَى. فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنَا بِكُوكَبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنُتُ كُلُّهُ	كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءَ مُغْرِبِ ^(٣)
فَلَوْ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ مَالِكِ	وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي ^(٤)
فَتَى شَقِيتُ أَمْوَالَهُ بِسَمَاحِهِ	كَمَا شَقِيتُ قَيْسَ بِأَسْيَافٍ تَغْلِبِ

[للخليج يمدح عاصما الخسائي]

وقال الخلیع^(٥) في كلمة له^(٦) يمدح بها عاصما الخسائي:

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصْتُ عَيْنِي وَدَمَعِي عَلَى خَدِّي^(٧) بَـ
أُرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتُ فُؤَادَهُ بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسَفِ وَالْجَهْدِ

(١) هذا العنوان ثابت في الأصل. س، وهو ساقط من ر.

(٢) ر: «مدح». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٣) قال في اللسان: «العنقاء: طائر ضخيم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور. ثم كثر ذلك حتى سماوا الداهية عنقاء مغرباً ومغربة». مادة - عنق.

(٤) في س. هذا البيت قبل سابقه.

(٥) الخلیع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. (٧) شخّصت عيني: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

فَقَالَتْ: عَذَابٌ بِالْهَوَىٰ ^(١) قَبْلَ مِيتَةٍ
لَقَدْ فَطَنْتُ لِلْجَسُورِ فَطْنَةً عَاصِمٍ
سَأَشْكُوكَ فِي الْأَشْعَارِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ
لَعَلَّ فَتَى غَسَّانَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَمُوتٌ إِذَا أَفْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي ^(٢)
لِصُّنْعِ الْأَيَادِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
إِلَى عَاصِمٍ ذِي الْمَكْرَمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ
فَتَأْمَنَ نَفْسِي مِنْكُمْ لَوْعَةَ الصَّدِّ

[لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الْهَتَابِ]

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ ^(٣):
إِنَّ السَّلَامَ وَإِنَّ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ
هَذَا زَمَانٌ أَلَحَّ النَّاسُ فِيهِ عَلَى
أَمَّا عَلِمْتَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً
أَنْتَى أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا

فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي
زَهْوُ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقُ الْمَسَاكِينِ
عَنْيَ وَزَادَكَ خَيْرًا يَا بَنَ يَقْطِينِ
وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ

[لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِمَدْحِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ]

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ [بِنِ الْمُهَلَّبِ] ^(٤) الْمُهَلَّبِيُّ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا إِسْحَاقَ بْنَ
إِبْرَاهِيمَ:

إِنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لَكَ الشَّعْرَ ^(٥) إِنِّي
غَيْرَ أَنْيَ أَرَاكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ

لَا بَنُ بَيْتٍ تُهْدَى لَهُ الْأَشْعَارُ
مَا عَلَى الْحُرِّ - أَنْ يَسُودُوهُ - عَارُ

وَقَالَ فِي كَلِمَةٍ أُخْرَى لَهُ ^(٦):
وَإِذَا جُودِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَافِعٌ
وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الْوَعْيِ

وَإِذَا حُودِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرٌ ^(٧)
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ

(١) ر: «في الهوى». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.

(٣) هو المكنى أبا العتاهية.

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر: «المدح».

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر. س.

(٦) حددت: منعت، يقال: حده عن الأمر يحده حدا. منعه عنه خيرا كان أم شرا. وجددت: أي رزقت

الجد. وهو الحظ.

[فى مقتل مصعب بن الزبير]

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير: أشهد المهلّب بن أبى صفرة؟ قالوا: لا. كان المهلّب فى وجوه الخوارج. قال: أفشهد عباد بن الحصين الحبّطى؟ قالوا: لا. قال: أفشهد عبد الله بن خازم السلمى؟ قالوا: لا. فتمثّل عبد الله بن الزبير.

فقلت لها عيشى جعارٍ وجررى بلحم امرئٍ لم يشهد اليوم ناصره^(١)
جعار: اسم من أسماء الضبع. وهى صفة غالبية؛ لأنه يقال لها: جاعرة.
فهذا فى باب كفساق. ولكاع. وحلاق. للمنية. وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على وجوه الأربعة.

[ابنة جارية لهمام بن مرة]

ويروى أن ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيان قالت له يوماً:
أهمّام بن مرة حنّ قلبى إلى اللأئى يكنّ مع الرجال
فقال: يا فساق! أردت صفيحة^(٢) ماضية. فقالت:
أهمّام بن مرة حنّ قلبى إلى صلعاء مشرقة القذال^(٣)
فقال: يا فجار! أردت بيضة حصينة^(٤). فقالت:
أهمّام بن مرة حنّ قلبى إلى أير أسد به مبالى
قال: فقتلها.

[من أخبار سحيب بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشمقمق - وهو مروان بن محمد، وزعم التورى عن أبى عبدة قال: أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سليم الكاتب. من

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدى.

(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.

(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.

(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسان. من بخارية عبيد الله بن زياد. وكان أبو الشمقمق ربما لحن، ويهزل كثيرا ويجد. فيكثر صوابه - قال يمدح مالك بن علي الخزاعي ويذم سعيد ابن سلم الباهلي:

قد مررنا بمالك فوجدنا ه جوادا إلى المكارم ينمي^(١)
ما يبالي أتاه ضيف مخف أم أتاه بأجوج من خلف ردم^(٢)
فارتحلنا إلى سعيد بن سلم فإذا ضيفه من الجوع يرمى^(٣)
وإذا خبزه عليه « سيكفيهم الله » ما بدا ضوء نجم
وإذا خاتم النبي سليما ن بن داود قد علاه بختم
فارتحلنا من عند هذا حميد وارتحلنا من عند هذا بدم

وقال عبد الصمد بن المعدل يرثي سعيد بن سلم:

كم يتيم جبرته بعد يثم وفقير نعشته بعد عدم^(٤)
كلما عصت الحوادث نادى رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم: عرض لى أعرابي فمدحني فبلغ^(٥). فقال:

ألا قل لسارى الليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد جواد حثا في وجه كل جواد^(٦)
قال: فتأخرت عن بره قليلا. فهجاني فبلغ^(٧). فقال:
لكل أخى مدح ثواب يعده وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة فكان كصفوان عليه تراب^(٨)

(١) ر: «كريما». وما أثبتته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبتته عن الأصل. س.

(٣) ر: «فانتبهنا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».

(٦) أى حثا التراب فى وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.

(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ:

قال لي الناسُ زُرْ سَعِيدَ بنِ سَلَمٍ قلتُ للناسِ لا أَزُورُ سَعِيداً
وَأَمِيرِي فَتَى خُزَاعَةَ بِالْبَصْنِ رةٌ قد عَمَّها سَمَاحٌ وَجُوداً
وَكِنَعَمَ الْفَتَى سَعِيدٌ وَلَكِنْ مالِكٌ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ عُوداً
فقال سعيدٌ: لَوِدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَنِي مَعَ مَالِكٍ، وَ [أَنَّهُ]^(١) أَخَذَ مِنِّي
أُمْنِيَّتَهُ.

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ أيضاً:

هيهاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ إن كنتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدِ
وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ الْبَحَارَ بِأَسْرَهَا^(٢) وَأَتَاهُ سَلَمٌ فِي زَمَانِ مُدُودِ
يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرْبَةً لَطْهُورِهِ لَأَبَى وَقَالَ: تَيَمَّمَنْ بِصَعِيدِ

ومثله قول الآخر:

لَوْ أَنَّ قَصْرَكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ كَلَّهُ إِبْرٌ يَضِيقُ بِهَا فَضَاءُ الْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يَوْسُفٌ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً لِيُخِيطَ قَدَّ قَمِيصِهِ لَمْ تَفْعَلِ

وقال مُسْلِمُ بنُ الْوَكِيدِ:

دُيُونُكَ لَا يُقْضَى الزَّمَانُ خَرِيمُهَا وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنِ سَلَمٍ أَلَامُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَمَا قَوْمُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بِيَعِيدِ^(٣)
يَزِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلَكِنْ مَزِيداً تَدَارَكَ مِنَّا مَجْدُهُ يُيَزِيدِ
خَزِيمَةً لَا بَأْسُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَطَبَخِهِ قُفْلٌ وَبَابُ حَدِيدِ

(٢) س: «لو ملك البحور».

(١) تكملة من س.

(٣) ر: «من نجله». وما أثبتته عن الأصل. س.

وقال عبد الصمد بن المعدل، يرثي عمرو بن سعيد، وكان عمرو هلك
بعيداً^(١) سعيد يسير:

رُزينا أبا عمرو فقلنا: لنا عمرو
وكان أبو عمرو معاراً حياته^(٢)
سيكفيك ضوء البدر غيوبة البدر
بعمره فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم: يا سعيد من بيت قيس في
الجاهلية؟ قال: يا أمير المؤمنين، بنو فزارة، قال: فمن بيتهم في الإسلام؟ قال:
يا أمير المؤمنين، الشريف^(٣) من شرفتموه، قال: صدقت أنت وقومك.

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي، قال: حدثني رجل
من أهل مكة، قال: رأيت في منامي سعيد بن سلم في^(٤) في حياته و [في]^(٥).
نعمته، وكثرة عدد ولده، وحسن مذهبه، وكمال مروءته، فقلت في نفسي:
ما أجل ما أعطيه سعيد بن سلم! فقال لي قائل: وما ذخره الله له في الآخرة
أكثر.

وكان سعيد إذا استقبل السنة التي يستقبل^(٦) فيها عدد سنه أعتق نسمة
وتصدق بعشرة آلاف درهم، ف قيل لمديني: إن سعيد بن سلم اشترى نفسه من
ربه^(٧) بعشرة آلاف درهم، فقال: إذا لا يبيعه.

[هما قالتا العرب في ذم باهلة]

وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد:
أبني سعيد إنكم من معشر لا يعرفون كرامة الأضياف

(١) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) ر: «حياته». بفتح التاء. (٣) كلمة الشريف ساقطة من ر.

(٤) ر: «أريت سعيد بن سلم في النوم». (٥) تكلمة من ر. س.

(٦) ر: «يستأنف». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٧) كذا في الأصل، س وفي ر: «إن سعيدا يشتري نفسه...».

قَوْمٌ لِبَاهِلَةٍ بِنِ يَعْصُرَ إِنْ هُمْ
قَرْنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا
وَكَأَنَّنِي لَمَّا حَطَّطْتُ إِلَيْهِمْ
بَيْنَا كَذَاكَ أَتَاهُمْ كُتُبًا وَهُمْ
وَأَنشَدَنِي الْمَازِنِيُّ:

سَلِ اللَّهَ ذَا الْمَنْ مِنْ فَضْلِهِ
فَمَا سَأَلَ اللَّهُ عَبْدٌ لَهُ
وَلَا تَسْأَلَنَّ أَبَا وَائِلِهِ
فَخَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلِهِ

[قال أبو الحسن: وزادني بعض أصحابنا:
تَرَى الْبَاهِلِيَّ عَلَى خُبْرِهِ
وَأَنشَدَنِي رَجُلٌ (٢) مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ:
أَبَاهِلَ يَنْبُحْنِي كَلْبُكُمْ
وَلَوْ قِيلَ لِلْكَلبِ يَا بَاهِلِي
وَأَسَدُكُمْ كِكِلَابِ الْعَرَبِ
عَوَى الْكَلْبُ مِنْ لُؤْمِ هَذَا النَّسَبِ]

وحدثني عليُّ بن القاسم قال: حدثني أبو قلابَةَ الجُرُمِيُّ قال: حججنا مرةً
مع أبي جَزْءٍ بن عمرو بن سعيد، قال: وكُنَّا فِي ذُرَاهُ (٣). وهو إذ ذاك بهيٌّ وضيٌّ،
فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام (٤) من بني الحارث بن كعب، لم نَرَ أَفْصَحَ
منهم، فَرَأَوْا هَيْئَةَ أَبِي جَزْءٍ وَإِعْظَامَنَا إِيَّاهُ مع جماله، فقال قائلٌ منهم له: أَمِنْ أَهْلِ
بيت الخليفة أنت؟ قال: لا، ولكن رجلٌ من العرب، قال: ممن الرجل؟ قال:
رجلٌ (٥) من مُضَرَ، قال: أَعَرَضَ ثَوْبُ الْمَلِيسِ! من أيَّها عافاك الله؟ قال: رجلٌ

(١) العزاف. بتشديد الزاي: جبل من جبال الدهناء.

(٢) ر: «وأنشد أبو العباس لرجل». وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) ذراه: كنفه.

(٤) ر: «قوم».

(٥) ساقطة من ر.

من قيس، قال: أَيْنَ يُرَادُ بِكَ، صِرْ إِلَى فَصِيلَتِكَ الَّتِي تُؤْوِيكَ! قال: رجلٌ من بنى سعد بن قيس، قال: اللَّهُمَّ غَفِّراً! مِنْ أَيَّهَا عَافَاكَ اللَّهُ؟ قال رجل من بنى يَعْصَرَ، قال: مِنْ أَيَّهَا؟ قال: رجلٌ من بَاهِلَةَ، قال: قُمْ عَنَّا! قال أبو قلابَةَ: فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَارِثِيِّ فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُ هَذَا؟ قال: هَذَا ذَكَرَ أَنَّهُ بَاهِلِيٌّ، قال^(١) فَقُلْتُ: هَذَا أَمِيرُ ابْنِ أَمِيرٍ ابْنِ أَمِيرٍ... قال: حَتَّى عَدَدْتُ خَمْسَةً.

هذا أبو جَزْءٍ أَمِيرٌ، بنُ عمرو - وكان أَمِيرَا - بنُ سَعِيدٍ - وكان أَمِيرَا - بن سلم - وكان أَمِيرَا - بن قَتِيبة - وكان أَمِيرَا.

فقال الحارثي: الْأَمِيرُ أَعْظَمُ أَمْ الْخَلِيفَةُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى^(٢) الْخَلِيفَةُ. قال: أَمَا الْخَلِيفَةُ أَعْظَمُ أَمْ النَّبِيُّ؟ قُلْتُ: بَلَى النَّبِيُّ. قال: وَاللَّهِ لَوْ عَدَدْتَ لَهُ فِي النَّبَوَةِ أَضْعَافَ مَا عَدَدْتَ لَهُ فِي الْإِمْرَةِ^(٣)، ثُمَّ كَانَ بَاهِلِيًّا مَا عَبَّأَ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا. قال: فَكَادَتْ نَفْسُ أَبِي جَزْءٍ تَفِيضُ^(٤). فَقُلْتُ لَهُ^(٥): انْهَضْ بِنَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَسْوَأُ النَّاسِ آدَابًا^(٦).

[قال أبو الحسن: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَ عَنْ غَيْرِهِ «أَعْرَضَ ثَوْبُ الْمُلْبَسِ» أَيْ أَبَدَى غَيْرَ مَا يُرَادُ مِنْهُ].

وَحُدِّثْتُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْحَاجِّ. فَقَالَ لَهُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: بَاهِلِيٌّ، قَالَ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: إِي وَاللَّهِ. وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مُوَلَّى لَهُمْ. فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ يُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَلِمَ تَفْعَلُ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَتَقُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْتَلِكْ بِهَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

[فِي مَجْلِسِ قَتِيبة بن مسلم الباهلي]

وَيَزَعُمُ الرَّوَاةُ^(٧) أَنَّ قَتِيبةَ بْنَ مُسْلِمٍ لَمَّا فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى^(٨). إِلَى أَثَاثٍ لَمْ

(١) ساقطة من ر. (٢) ساقطة من ر. (٣) ر: «الإمارة». (٤) ر: «تخرج». (٥) ساقطة من ر. (٦) ر: «آدابا». (٧) ر: «الرقاشي». (٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يُرَ مِثْلُهُ، وَإِلَى آلَاتٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا^(١). فَأَرَادَ أَنْ يُرَى النَّاسَ عَظِيمَ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيُعَرِّفَهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ. فَأَمَرَ بِدَارٍ ففَرَشَتْ، وَفِي صَحْنِهَا قُدُورٌ تُرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ. فإِذَا بِالْحُضَيْنِ بْنِ الْمَنْذَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الرُّقَاشِيِّ قَدْ أَقْبَلَ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، وَالْحُصَيْنُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ لِقُتَيْبَةَ: ائْذَنْ لِي فِي مَعَاتِبَتِهِ. قَالَ: لَا تُرْذَهُ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجَوَابِ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضَعِّفُ، وَكَانَ قَدْ تَسَوَّرَ حَائِطًا إِلَى امْرَأَةٍ قَبْلَ ذَلِكَ - فَأَقْبَلَ عَلَى الْحُضَيْنِ [بِْنِ الْمَنْذَرِ]^(٢). فَقَالَ: أَمِنَ الْبَابَ دَخَلْتَ يَا أَبَا سَاسَانَ؟ قَالَ: أَجَلُ أَسَنَ عَمَّكَ عَنْ تَسَوَّرِ الْحِيطَانِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْقُدُورَ؟ قَالَ: هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَلَّا تُرَى، قَالَ: مَا أَحْسَبُ بِكَرْبِ بْنِ وَائِلٍ رَأَى مِثْلَهَا! قَالَ: أَجَلُ، وَلَا عَيْلَانَ، لَوْ كَانَ رَأَاهَا سُمِّيَ شُبْعَانَ، وَلَمْ يُسَمَّ عَيْلَانَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: يَا أَبَا سَاسَانَ، أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَاها تَبْتَغِي مِنْ تُحَالِفٍ

قال: أَعْرِفُهُ، وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

وَخَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةَ بِنِ يَعْصُرَ وَالرَّكَّابِ

يُرِيدُ يَا خَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ. قَالَ: أَفَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكَرِ بْنِ وَائِلٍ^(٣)

قال: نَعَمْ^(٤). وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

قَوْمٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قال: أَمَّا الشَّعْرُ فَأَرَاكَ تَرَوِيهِ، فَهَلْ^(٥) تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالَ: أَقْرَأُ مِنْهُ الْأَكْثَرَ الْأَطْيَبَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٦). قَالَ^(٧): فَأَغْضَبَهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ امْرَأَةَ الْحُضَيْنِ حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حُبْلَى

(١) ر: «لم يسمع بمثلها». (٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرا من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١.

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

من غيره. قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى، ثم قال على رسله: وما يكون! تلد غلاماً على فراشي فيقال: فلان بن الحُضَيْن. كما يقال: عبد الله ابن مسلم. فأقبل قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبعد الله غيرك.

[قال أبو العباس^(١): الحُضَيْن^(٢) بن المنذر بن الحارث بن وعلّة. وكان الحُضَيْنُ بيده لواءُ عليّ بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة، وله يقولُ القائلُ: لِمَنْ رَايَهُ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُضَيْنٌ تَقَدَّمَا

[للأعشى يمدح لهوذة بن عليّ]

وللحارث بن وعلّة يقولُ الأعشى - وكان قصده فلم يحمده. فعرج^(٣) عنه إلى هوذة بن عليّ ذي التاج. وهوذة من بني حنيفة بن لجيم بن صعّب بن عليّ ابن بكر بن وائل، والحارث بن وعلّة من بني رقاش، وهي امرأة، وأبوهم مالك ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعّب بن عليّ بن بكر بن وائل. فقال الأعشى يذكر الحارث بن وعلّة وهوذة بن عليّ:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ	فَكَانَ حَرِيثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِدًا
إِذَا مَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ فَكَأَنَّمَا	يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدًا
لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةً فِي النَّدَى	شَمَائِلُهُ وَلَا أَبَاهُ مُجَالِدًا
وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ	بَجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدًا
تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي	وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدًا
وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعَشَا بِوَكِيدَةٍ	فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوُذَ حَامِدًا
فَتَى لَوْ يَبَارَى الشَّمْسَ أَلْقَتْ قَنَاعَهَا	أَوِ الْقَمَرَ السَّارَى لِأَلْقَى الْمُقَالِدَا
يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً	وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا

وهي كلمة.

(٢) ر: «هذا الحُضَيْن».

(١) من س.

(٣) ر: «وعرج».

قوله: «أَتَيْتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيره على لفظه^(١): حَوَيْرَثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخرُ يقال له تصغيرُ التَّرخيمِ، وهو أن تَحذفَ الزوائدَ من الاسمِ ثم تصغرَ حروفه الأصلية. فتقولُ في تصغيرِ أحمدَ: حُميدٌ لأنه من الحمد. وفي الحارث: حُرَيْثٌ، لأنه من الحرث. وفي غضبانَ: غُضَيْبٌ، لأنه من الغضب، لأن الألف والنون زائدتان، وكذلك ذوات الأربعة، تقولُ في تصغيرِ «قُنْدِيلٍ» على لفظه «قُنْدِيلٍ». فإن صغرتَه مرخمًا حذفتَ الياءَ فقلت: «قُنْدِيلٌ»، فعلى هذا مجرى الباب.

وقوله: «عن جنابة»، يقول: عن غُرْبَةٍ وبُعْدٍ. يقال: هُمْ نَعْمَ الْحَيُّ لجارهم جار الجنابة. أى الغُرْبَة. يقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلٌ جانبٌ، أى غريبٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾^(٢). وقال الحطَّيْنَةُ:

والله ما معشرٌ لامُوا امرأً جنبًا فى آل لائى بن شماسٍ بأكياس
وقال علقمة بن عبدة:

فَلا تَحْرِمْنِي نائِلًا عن جنابةٍ فإِنِّى امرؤٌ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبٌ

فمن قال للواحد: جنبٌ قال للجميع: أَجْنابٌ، كقولك: عُنُقٌ وأَعناقٌ، وَطُنْبٌ وأَطْنابٌ. ومن قال للواحد: جَانِبٌ، قال للجميع: جُنَّابٌ. كقولك: رَاكِبٌ وَرُكَّابٌ، وضاربٌ وضَرَّابٌ. قالت الخنساء:

ابكى أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ وابكى أَخَاكَ إِذَا جَاوَرْتَ أَجْنَابًا

وإن كان من الجنابة التى تُصيب الرجلَ قلت: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأةُ والجميعُ، وقد تجوزُ وليس بالوجه. رجُلان جنبان، وامرأةٌ جُنْبَةٌ، وقومٌ أَجْنابٌ.

وقوله:

* يَرَى أَسَدًا فى بيته وأساودا *

(١) س: «على اللفظ».

(٢) سورة النساء: آية ٣٦.

يريد جَمَعَ أَسْوَدَ سَالِخٍ، وَأَسْوَدَ هَاهُنَا نَعْتُ، وَلَكِنَّهُ غَالِبٌ، فَلِذَلِكَ جَرَى هَاهُنَا مَجْرَى الْأَسْمَاءِ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْحَيَّةِ، وَ «أَفْعَلٌ»، إِذَا كَانَ نَعْتًا بِنَفْسِهِ فِجْمَعُهُ: «فُعْلٌ»، نَحْوُ: أَحْمَرَ وَحُمْرٌ، وَأَسْوَدَ وَسُودٌ، وَإِذَا كَانَ نَعْتًا فَأُجْرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ فِجْمَعُهُ: «أَفَاعِلٌ» نَحْوُ أَسَاوَدَ، وَأَجَادَلَ، وَأَدَاهِمَ، إِذَا أَرَدْتَ الْقَيْدَ، لِأَنَّهُ نَعْتُ غَالِبٌ يَجْرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَذْهَمَ - الَّذِي هُوَ نَعْتُ مُحَضٌّ - قُلْتَ: دَهْمٌ، قَالَ الْأَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ:

أُسْوَدُ شَرَّى لَأَقْتَ أُسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ
فَأَجْرَاهُ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ. نَحْوُ: الْأَصَاغِرِ، وَالْأَكَابِرِ، وَالْأَحَامِدِ.
وقوله:

لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةَ فِي النَّدَى شَمَائِلُهُ
فَإِنَّهُ جَعَلَ: «شَمَائِلُهُ»، بَدَلًا مِنْ: «وَعِلَّةٌ»، وَالتَّقْدِيرُ: مَا أَشْبَهْتَ شَمَائِلَ
وَعِلَّةٍ.

وَالْبَدَلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرَبَ:

فَوَاحِدٌ مِنْهَا أَنْ يُبَدَلَ أَحَدُ الْأَسْمَيْنِ مِنَ الْآخَرِ إِذَا رَجَعَا إِلَى وَاحِدٍ. وَلَا يُبَالَى
أَمْعَرَفَتَيْنِ كَانَا أُمَ مَعْرِفَةٍ وَنَكْرَةٍ، وَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِأَخِيكَ زَيْدًا، لِأَنَّ «زَيْدًا» هُوَ الْأَخُ،
وَكَذَلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَبْدَ اللَّهِ، فَهَذَا وَاحِدٌ.

وَأَخْرُ أَنْ يُبَدَلَ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ. نَحْوُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا رَأْسَهُ، لَمَّا قُلْتُ:
ضَرَبْتُ زَيْدًا، أَرَدْتُ أَنْ تُبَيَّنَ مَوْضِعَ الضَّرْبِ مِنْهُ.

فَمَثَلُ الْأَوَّلِ قَوْلُ اللَّهِ تَبَاكَ وَتَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ * صِرَاطِ
اللَّهِ ﴿٢﴾. وَ ﴿لَنْسَفَعًا بِالْغَاسِيَةِ﴾ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٣﴾.

وَمَثَلُ الْبَدَلِ الثَّانِي قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا﴾ ﴿٤﴾.

(٢) سوري الشوري ٥٢، ٥٣ .

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧ .

(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

(٣) سورة العلق ١٥، ١٦ .

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من «الناس»، ومثله، إلا أنه أُعيدَ حرفُ
الخفض: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ (١).

وبدَلِ الثالثِ مثلُ ما ذكرنا فى البيت، أبْدَل: «شمائله» منه. وهى غيرُه،
لاشتمال المعنى عليها، ونظيرُ ذلك: أَسْأَلُكَ عَنْ زَيْدٍ أَمْرَهُ. لَأَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْأَمْرِ.
وتقولُ على هذا: سُلِبَ زَيْدٌ ثَوْبَهُ، فَالْثَوْبُ غَيْرُهُ، وَلَكِنْ بِهِ وَقَعَ السَّلْبُ. كما
وقعت المسألة عن خبرِ زَيْدٍ، ونظيرُ ذلك من القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
قِتَالٍ فِيهِ﴾ (٢). لَأَنَّ الْمَسْأَلَةَ إِنَّمَا كَانَتْ عَنِ الْقِتَالِ: هَلْ يَكُونُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؟ وَقَالَ
الشَّاعِرُ [وَهُوَ الْأَخْطَلُ] (٣):

إِنَّ السُّيُوفَ غَدُوَّهَا وَرَوَّاحَهَا تَرَكْتَ هَوَازَنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْضَبِ (٤)

وبدَلِ رابعٌ. لا يكونُ مثله فى القرآن ولا فى الشعر، وهو أن يغلطَ المتكلمُ
فيستدرك (٥) غلطَه، أو ينسى فيذكرَ فيرجعَ إلى حقيقة ما يقصدُ له، وذلك قوله:
مررتُ بالمسجدِ دارِ زَيْدٍ، أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: مررتُ بدارِ زَيْدٍ، فإِذَا نَسِيَ، وَإِذَا غَلِطَ،
فَاسْتَدْرَكَ فَوَضَعَ الَّذِى قَصَدَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الَّذِى غَلِطَ فِيهِ.

وقوله: «بِجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمامة.

وقوله: «تَضَيَّفَتْهُ يَوْمًا»: إما هو «تَفَعَّلَتْهُ»، من الضيافة. يقال: ضِيفْتُ
الرجلَ، أى نزلتُ به، وَأَضَافَنِي، أى أَنْزَلَنِي.

وقوله: «وَأَصْفَدَنِي»: يقولُ: أعطاني، وهو الإصْفَادُ، وَالصَّفْدُ الْأِسْمُ،
وَالْإِصْفَادُ الْمَصْدَرُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

❖ فَلَِمَ أَعْرَضُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ بِالصَّفْدِ ❖

ويقال: صَفَدْتُ الرَّجُلَ فَهُوَ مَصْفُودٌ، مِنَ الْقَيْدِ، وَلَا يَقَالُ فِي الْقَيْدِ
أَصْفَدْتُ، وَلَكِنْ صَفَدْتُهُ صَفْدًا، وَاسْمُ الْقَيْدِ الصَّفْدُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مُقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٦). كَقَوْلِكَ: جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ، وَصَنَمٌ وَأَصْنَامٌ.

(١) سورة الأعراف ٧٥ .

(٢) سورة البقرة ٢١٧ .

(٣) من س .

(٤) الأعضب: الكبش المكسور القرن .

(٥) ر: «فيدرك» .

(٦) سورة ص ٣٨ .

وقوله: «فتى لو يبارى الشمس»، يقول: يعارض، يقال: انبرى لى فلان، أى اعترض [لـ^(١)] فى هذا المعنى، وفلانٌ يبارى الريحَ، من هذا، أى يعارضُ الريحَ بجُوده، فهذا غير مهموز. فأما: بَارَأْتُ الْكَرَى فهو مهموز، لأنَّه من أْبْرَأْنِي وأْبْرَأْتُهُ. ويقال: بَرَأَ فلانٌ من مَرَضِهِ، وَبَرِئَ يَفْتَى؛ والمصدرُ منهما الْبَرُّ فاعلم، وَبَرِئْتُ الْقَلَمَ غيرُ مهموز. واللَّهُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ. ويقال: ما بَرَأَ اللَّهُ مثْلَ فلانٍ، مهموز، وقولك: «الْبَرِيَّةُ»، أصلُهُ من الهمز، وَيُخْتَارُ فيه تخفيفُ الهمز، وَلَفْظُ التَّخْفِيفِ والبدل واحد، وكذلك يُخْتَارُ فى «النَّبِىِّ» التَّخْفِيفُ، وَمَنْ جعلَ التَّخْفِيفَ لازماً قال فى جمعه: أنبياء، كما يُفْعَلُ بِذَوَاتِ الْيَاءِ والواو، وتقول: وَصِىُّ وَأَوْصِيَاءُ، وَتَقَىُّ وَأَتْقِيَاءُ، وَشَقَىُّ وَأَشْقِيَاءُ. وَمَنْ هَمَزَ الْوَاحِدَ قال فى الجمع: نُبَاءٌ، لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ، كما تقول: حَكِيمٌ وَحُكَمَاءُ، وَعَلِيمٌ وَعُلَمَاءُ وأنبياءُ لغة القرآن والرسول ﷺ. وقال العباس بن مرداس السُّلَمِى:

يا خاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بالحقِّ كلُّ هُدَى السَّيْلِ هُداكا (٢)
وقوله:

❖ أو لَقَمَرِ السَّارَى لَأُلْقَى الْمَقَالِدَا ❖

إنما سَكَنَ (٣) الياءَ ضرورةً، وإنما جازَ ذلكَ لأنَّ هذه الياءَ تَسْكُنُ فى الرفعِ والخَفْضِ، فإذا احتاجَ الشاعرُ إلى إسكانِها فى النصبِ قاسَ هذه الحركةَ على الحركتين: الضَّمَّةَ والكسرةَ الساقطتين؛ فَشَبَّهَها بهما، فَجَعَلَهَا كالْألفِ التى فى: «مثنى» التى هى على هيئةٍ واحدةٍ فى جميعِ الإعرابِ، قال النابغة:

رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقْصِيهِ وَلَبَّاهُ ضَرَبَ الْوَكِيدَةَ ياً مِسْحَاةً فى الثَّأْدِ (٤)
فَأَسْكَنَ الْيَاءَ فى: «أَقاصيه». وقال رُؤْبَةُ:

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ (٥) أَيْدَى جَوَّارٍ يَتَعَاطِينَ الْوَرِقِ (٦)

(١) تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن».

(٤) الثَّأْد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما أبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر. «والورق هو ورق الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر فتلتقطه الجوارى بسرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَى مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطُ الْحَقِّ (١) *

[وَيُرَوَّى: «تَقْطِيطٌ»، بالنصب، وهو أجود، لأن بعده:

* تَفْلِيلٌ مَا قَارَعَنَ مِنْ سُمُرِ الطُّرُقِ *

والطُّرُقُ: جمع طُرُقَةٍ (٢).

وقال آخر:

كَفَى بِالنَّأَى مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافٍ

وأما قوله:

وَأُمْتَعَنِي عَلَى الْعَشَا بُولِينِدَةٍ فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْدَ حَامِدَا

فإنه كان يتحدث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة.

والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (٣). كانت المخاطبة للأمة، ثم صُرِّفت (٤) إلى النبي ﷺ إخباراً عنهم. وقال عنترة:

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسْرًا عَلَى طِلَابُكِ ابْنَةَ مَحْرَمٍ

فكان يحدث (٥) عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:

وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَتَدَرْنَ مَلَامَتِي فَإِذَا أَرَدَنْ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

وقال الآخر:

فَدَى لَكَ وَالِدِي وَسِرَاةَ قَوْمِي وَمَا لِي إِنْهُ مِنْهُ أَتَانِي

وهذا كثيرٌ جداً.

(١) الماحي هنا: الخوافر، على التشبيه.

(٢) ما بس العلامين من ريادات ر. وتفليل: تكسير. ما قارعن. ما ضربن بها. والطرق: حجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(٣) سورة يونس ٢٢.

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر. «انصرفت».

(٥) ر. «ينحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمَعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *

أى قليلا . من الاقتصار . وِبُرْوَى : «وَيَعْدُو» . و «يَعْدُو» جميعاً .

[من أخبار هُوذة بن علي]

وكان هُوذة بن عليّ ذا قَدْر عالٍ ، وكان^(١) له خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ فَتُجَعَلُ عَلَى رَأْسِهِ . تَشْبَهُهُ بِالْمَلُوكِ .

وحدثني التَّوَزِيُّ عن أبي عُبَيْدَةَ . قال : ما تَتَّوَجَّ مَعَدْيٌ قَطُّ ، إِنَّمَا كَانَتِ التَّيْجَانُ لِلْيَمَنِ ، قال : فسألته عن قول الأعشى لهُوذة^(٢) .

مَنْ يَرَى هُوذَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
قال : إِنَّمَا كَانَتِ خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ لَهُ^(٣) .

وكتبَ رسولُ الله ﷺ . إلى هُوذة . كما كَتَبَ إِلَى الْمَلُوكِ .

وكانت بنو حَنيفَةَ بن لُجَيْمٍ أَصْحَابَ الْيَمَامَةِ ، وَيَقُولُ بَعْضُ النَّسَابِينَ :

إِنَّ عُبَيْدَ بْنَ حَنيفَةَ كَانَ أَتَى الْيَمَامَةَ وَهِيَ صَحْرَاءُ ، فَاخْتَطَّهَا ، فَجَعَلَ يَرْكُضُ حَوَالَيْهَا بِرَمَحِهِ فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا أَصَابَ مِنَ النَّخْلِ ، وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا مَا أَصَابُوا تَحْتَهُ مِنَ التَّمْرِ ، فَلَمَّا طَلَعَ لَهُمُ التَّمْرُ بَعْدُ لَمْ يَهْتَدُوا لَصُعودِ النَّخْلِ ، فَأَقْبَلُوا يَجْدُونَهُ ، حَتَّى فَكَّرُوا فَأَعَدُّوا لَهُ السَّلَالَ ، فَلَمَّا عَمَرَتِ الْيَمَامَةُ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَنْجِعُهُمْ لِمَوْضِعِ التَّمْرِ فَيُجَاوِرُونَ الْعَزِيزَ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَقَالُ لِمَنْ دَخَلَهَا مِنْ هَؤُلَاءِ : السَّوَاقِطُ ؛ مِمَّنْ كَانُوا .

ويقالُ إِنَّ الْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْقَرَيْتَيْنِ وَمَوَاضِعَ هُنَاكَ كَانَتْ لَطَسِمٍ وَجَدِيسٍ ، وَالْخَبَرُ فِي ذَلِكَ مشهورٌ بِزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَعْشَى فِي قَوْلِهِ :

(١) ر . «وكانت» . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنو شروان لما دخل عليه هُوذة بن عليّ أعجب به . فدعا بعقد من در فقعد على رأسه ، ومن ثم سمي هُوذة ذا التاج . نقله الموصفي .

[ما نَظَرَتْ ذاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا
قالتُ أرى رجُلًا في كَفِّه كَتَفٌ
وكذبُها بما قالتُ فَصَبَّحَهُمْ
حقًّا كما نَطَقَ الذَّبْيُ إِذْ سَجَعَا] (١)
أَيَخْصِفُ النِّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعَا
ذو آلِ غَسَّانٍ يُزْجِي الموتَ والشرَّعَا (٢)

وحدثني التَّوَزِيُّ عن أبي عُبيدة والأصمعي عن أبي عمرو قال: قال لي رجلٌ
من أهل القريتين: أَصَبْتُ هَاهُنَا دَرَاهِمَ، وَزَنُ الدَّرْهَمِ سِتَّةَ دَرَاهِمَ وَأَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ،
من بقايا طَسْمٍ وَجَدِيسَ، فَخَفْتُ السُّلْطَانَ فَأَخْفَيْتُهَا.

وقد ذكر ذلك زهيرٌ في قوله:

عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَتَيْنِ وَقَدْ
فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَّةً
زَالَ الْهَمَالِيَجُ بِالْفَرُسَانِ وَاللُّجُمِ (٣)
تَرَعَى الْحَرِيفَ فَأَدْنَى دَارِهَا ظَلَمٌ (٤)

[لجرير يهجو بني حنيفة]

وقال جرير يهجو بني حنيفة:

هَجَانِي النَّاسُ مِ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
أَصْحَابُ بَخْلٍ وَحِيطَانٍ وَمَزْرَعَةٍ
دَلَّتْ وَأَعْطَتْ يَدًا لِلسُّلَمِ صَاغِرَةً
صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثُلُثُهُمْ
حَتَّى حَنِيفَةً تَفْسُو فِي مَنَاحِيهَا (٥)
سُيُوفُهُمْ خُشْبٌ فِيهَا مَسَاحِيهَا
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يَفْنِيهَا
أَضْحَوْا عَبِيدًا وَثُلُثٌ مِنْ مَوَالِيهَا

قوله: «مَنَاحِيهَا»، المَنَحَاةُ: مَقَامُ السَّانِيَةِ عَلَى الْخَوْضِ، وَالْحَائِطُ: الْبَسْتَانُ

وقوله:

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر. والذَّبْيُ هو سطيح الكاهن؛ وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدى؛
وكان ضعيفا منبسطا لا يقدر أن يقعد (من شرح ديوان الأعشى ٧٤).

(٢) الشرع: الأوتار. واحده شرعة.

(٣) ر. «عهد بها»، وما أثبتته رواية الديوان ١٥٠، والأصل، س. وباب القريتين، التي في طريق مكة؛ وهي
قرية كانت لطسم وجديس، والهماليج: جمع الهملاج؛ وهي الدالة في سيرها سرعة ويختره؛ يريد بها
هنا الإبل.

(٤) يمانية: ناحية اليمن، وظلم: اسم جبل.

(٥) زيادات ر. «تعبير مو حيفة بالفسو؛ لأن بلادهم بلاد نحل، فيأكلون ويحدث في أجوافهم الرياح
والقراقرير».

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ سَيْفُ اللَّهِ يُفْنِيهَا ﴾

يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته بمسئلة الكذاب . وللسائين بعد هذا قول منكر .

وقال جرير:

أبْنَى حَنِيفَةً نَهْنَهُوا سَفْهَاءَكُمْ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا (١)
أبْنَى حَنِيفَةً إِنِّى إِنْ أَهْجَكُمُ أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُوَارِى أَرْنبَا

[لهمارة بن عقيل يهجو بنى حنيفة]

وقال عمارة بن عقيل:

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَاضِى لَطِيبَتُهُ بَلِّغْ حَنِيفَةً وَأَنْشُرْ فِيهِمُ الْخَبْرَا
أَكَانَ مَسْئَلَةُ الْكَذَّابِ قَالَ لَكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا الْمَجْدَ حَتَّى تُغْضِبُوا مُضْرَا
مَهْلًا حَنِيفَةً إِنَّ الْحَرْبَ إِنْ طَرَحَتْ عَلَيْكُمْ بَرَكَهَا أَسْرَعَتْمُ الضَّجْرَا

البرك: الصدر، إذا فتحت الباء ذكَّرت، وإن أردت التأنيث كسرت الباء، قلت: بركة، قال الجعدي:

وَلَوْحَا ذِرَاعَيْنِ فِي بَرَكَةٍ إِلَى جُؤْجُؤِ رَهْلِ الْمُنْكَبِ (٢)

وزعم الأصمعي أن زيادًا كان يُقال له: أشعرُ برُّكا لأنه كان أشعرَ الصدر.

وغير الأصمعي زعم (٣) أن هذا كان يقال للوليد بن عُقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية.

(١) بهنوها سفهاءكم . كتموهم ، ااجروهم .

(٢) الحوحن الصدر . أه سحق رءوس عظام الصدر ، والمنكب : مجتمع العضد والكتف . ورهله . اسرجاه من السرج

(٣) هذا فى الأصل س . وفى ر "زعم" .

[من أخبار الوليد بن عقبة وشعره]

وذكروا أن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوماً: ألا تعجبون لهذا، أشعر بركاً! يولّى مثل هذا المصرا! والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر: أنشد الله رجلاً سماني أشعر بركاً إلا قام! فقام عدى بن حاتم فقال: أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول: أنا سميتك أشعر بركاً لجرىء، فقال: اجلس يا أبا طريف؟ فقد برأك الله منها. فجلس وهو يقول: والله ما برأني الله منها.

وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله، وهي أروى بنت كرز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، ومن ثم قال الوليد لعل بن أبي طالب رحمه الله: أنا ألقى رسول الله ﷺ بأُمِّي من حيث تلقاه بأبيك.

وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب: قبة الديباج. واسمها أم حكيم، ولذلك قيل لعثمان وللوليد^(١) يابن أروى، ويابن أم حكيم.

وقال الوليد لبني هاشم لهذا النسب^(٢) حين قتل عثمان رحمه الله:

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم	ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا	وعند علي درعه ونجائبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه	كما غدرت يوماً بكسرى مرأيه

وهذا القول باطل. وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مقتل عثمان يقول: كان علي أتقى لله من أن يقتل عثمان^(٣). وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله علي^(٤).

(١) كذا في الأصل: س. وفي ر «أو للوليد».

(٢) كذا في الأصل: س. وفي ر «السب».

(٣) ر «من أن يعين في قتل عثمان».

(٤) ر «من أن يعين في قتل».

وقال الوليدُ بن عُقبة :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التَّجِيبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ (١)
وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَتَبْكِي أَقَارِبِي وَقَدْ حُجِّبَتْ عَنَّا فُصُولُ أَبِي عَمْرٍو!

[لَيْلَى الْإِخْلِيَّةِ تَرثِي عَثْمَانَ بْنَ عَفَا]

وقالت لَيْلَى الْإِخْلِيَّةُ، أَنشَدْنِيه الرِّيَاشِيَّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ :

أَبْعَدَ عَثْمَانَ تَرْجُو الْخَيْرَ أُمَّتَهُ وَكَانَ آمَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى سَاقِ
خَلِيفَةِ اللَّهِ أَعْطَاهُمْ وَخَوَّلَهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ وَأُورَاقِ
فَلَا تُكَذِّبُ بِوَعْدِ اللَّهِ وَارْضَ بِهِ وَلَا تُوَكِّلْ عَلَى شَيْءٍ بِإِشْفَاقِ
وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ : سَوْفَ أَفْعَلُهُ قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ مَا كُلُّ امْرِئٍ لَاقِ

[لِأَخْرِيرِثِيهِ أَيْضًا]

وقال الآخرُ :

أَلَا قُلْ لِقَوْمِ شَارِبِي كَأْسِ عَلَقَمٍ بِقَتْلِ إِمَامٍ بِالْمَدِينَةِ مُحَرَّمِ
قَتَلْتُمْ أَمِينَ اللَّهِ فِي غَيْرِ رَدَّةٍ وَلَا حَدَّ إِحْصَانٍ وَلَا قَتْلِ مُسْلِمِ
تَعَالَوْا فَفَاتُونَا فَلِنْ كَانَ قَتْلُهُ لَوَاحِدَةٍ مِنْهَا يَحِلُّ لَكُمْ دَمِي (٢)
وَلَا فَاَعْظَمُ بِالَّذِي قَدْ أَتَيْتُمْ وَمَنْ يَأْتِ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ يَظْلَمِ
فَلَا يَهْنِ الشَّامَتِينَ مُصَابُهُ فَحَظُّهُمْ مَنْ قَتَلَهُ حَرْبُ جُرْهُمِ (٣)

وَأَنشَدْنِي الرِّيَاشِيَّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ :

[قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : هَذَا الشَّعْرُ لِابْنِ الْغُرَيْرَةِ الضُّبِّيِّ :]

لَعَمْرُ أَيْيِكَ فَلَا تَذْهَلَنَّ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا
وَقَدْ فَتَنَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنُ عَفَّانٍ سِرًّا طَوِيلًا

(١) ر : «التجويبي» صوابه في الأصل . س منسوب إلى تجيب . قبيلة .

(٢) فماتونا ، فحاكمونا ، وفي ر «فحل» ، على الفعل الماضي ، وما أثبتته عن الأصل .

(٣) نقل المرصعي عن الطبري أد الشعر لحنات بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق .

ومثله قول الراعى :

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحَرَّمًا وَدَعَا فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ مَخْذُولًا
فَتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَصَاهُمْ شِقْقًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُمْ مَسْلُولا^(١)

قوله : «مُحَرَّمًا» يريد فى الشهر الحرام ، وكان قُتِلَ فى أَيَّام التشريق . رحمه الله .

[لَأَيُّمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ يَرِثِيهِ أَيُّضًا]

وقال أَيُّمَنَ بْنُ خُرَيْمٍ بن فاتك الأَسَدِيُّ . وكانت له صحبة :

تَفَاقَدَ الذَّابِحُو عِثْمَانَ ضَاحِيَةً^(٢) أَيْ قَتِيلَ حَرَامٍ ذَبَّحُوا ذَبَّحُوا
ضَحَّوْا بِعِثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِى طَمَحُوا
فَأَيَّ سَنَةٍ جَوَّرَ سَنًا أَوَّلَهُمْ وَبَابُ جَوْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحَّوْا
مَاذَا أَرَادُوا أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ مِنْ سَفَحِ ذَلِكَ الدَّمِ الزَّاكِي الَّذِى سَفَحُوا
فَاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَمَامِ ظَمٍّ كَمَا يَسْتَوْرَدُ النَّضْحُ^(٣)
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفَفَهَا لُقُّوا^(٤) أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَبَّحُوا

الظَّمُّ : : ما بين الشَّرْبَتَيْنِ ، وقوله : «ضَحَّوْا بعِثْمَانَ» : إنما أصله فَعَلَ فى الضُّحَى ، قال زهير :

ضَحَّوْا قَلِيلًا عَلَى كُثْبَانَ أَسْنَمَةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقَسُومِيَّاتِ مَعْتَرَكُ^(٥)

أى نزلوه ضُحَى . ويقال : بَيَّتُوا ذَاكَ . أى فعلوه ليلا . قال الله جل وعز :
﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٦) . وأنشد أبو عبيدة :

(١) شققا : جمع شقة ، بالكسر ، وهى الشطبة .

(٢) ضاحية : علانية .

(٣) استوردتهم : من استورد الماء ؛ أى ورده ، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها .

(٤) رواية الديوان ١٦٥ :

﴿وَعَرَّسُوا سَاعَةً فِي كُثْبِ أَسْنَمَةٍ﴾

وما أورده المبرد ، هى رواية الأصمعى أسنمة : موضع بعينه . كذلك القسوميات ، مواضع ، والمعترك

المزدحم

(٦) سورة النساء ١٠٨

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا يَبْتَئُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
لَأُنْكِحَ أَبْنَاهُمْ مُنْذَرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرًّا لِحُرٍّ!

وقوله:

* من سَفَحَ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا *

أى فى صَبَّ ذَاكَ الدَّمِ، يقال: سَفَحْتُ دَمَهُ وَسَفَكْتُ دَمَهُ، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ (١).

وقوله: «على تمام ظمء» فهذا مثل، وأصلُ الظَّمء: أن تشربَ الإبلَ يوماً ثم تُغَبَّ يوماً لا تردُّ الماء، فما بين الشَّربَتَيْنِ ظَمءٌ، فيكون الظَّمءُ يومين، فيقال له: الرَّبْعُ، كما يقال فى الحُمَّى، لأنهم يَعْتَدُونَ بِيَوْمَى شَرْبِهَا. والخَمْسُ: أن تَظْمَأَ ثلاثة أيام، والنَّضْحُ: الحوضُ.

والأثام: الهلاك، قال الله عزَّ ذكره: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ثم فسَّرَ فقال: ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٢). فجزم «يُضَاعَفُ» لأنه بدلٌ من قوله: «يَلْقَى أَثَامًا» إذ كَانَ إِيَّاهُ فى المعْنَى، وأنشدنى أبو عبيدة: جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ إِذْ لَحِقْنَا عُقُوقًا وَالْعُقُوقُ مِنَ الْأَثَامِ

وقوله: «على مطمَح الكَفِّ» يقول: على رَفْعِهَا وإِبْعَادِهَا، يقال: طَمَحَ بَصَرُهُ، إذا ارتفع فأَبْعَدَ النَّظَرَ، قال امرؤ القيس:

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

(١) سورة الأنعام ١٤٥

(٢) سورة العرقان ٦٨ . ٦٩ .

باب

فى التشبيه

قال أبو العباس: وهذا بابٌ طريفٌ نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مرَّ للعرب من التشبيه المصيب، وللمحدثين^(١) بعدهم.

فأحسن ما جاء بإجماع الرواة -: ما مرَّ لامرئ القيس فى كلام مختصر، أى بيت واحد، من تشبيه شىء فى حالتين مختلفتين^(٢) بشيئين مختلفين، وهو قوله: كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالَى^(٣) فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: فهلاً فصل فقال: كأنه رطباً العُنَابُ وكأنه يابساً الحشف! قيل له: العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوماً، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيًّا، قال الله جل وعزَّ، وله المثل الأعلى: ﴿وَمَنْ رَحِمْتَهُ جَعَلْ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤)، علماً بأن المخاطبين يعلمون^(٥) وقت السكون ووقت الاكتساب.

ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله: كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ. الذى لم يشق^(٦) ومن ذلك قوله: إِذَا مَا الثَّرِيَّا فِى السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَّاحِ الْمَفْصَلِ^(٧)

(١) ر: «المحدثين»: وما أثبتته عن الأصل، س.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) الحشف البالى: ردى النمر؛ قال شارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها».
(٤) سورة القصص ٢٣.
(٥) ر «يعرفون».
(٦) الجزع: خرز فيه بياض وسواد. شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخرز. وجعله غير مثقّب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.
(٧) تعرضت: أى أرتك عرضها. أى ناحيتها، والوشاح المفصل. الذى جعل بين كل حرزتين فيه لؤلؤة. والأثناء: جمع ثنى.

وقد أَكْثَرُوا فِي الثَّرِيَّا^(١). فلم يَأْتُوا بَمَنْ يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا بِمَا يَقَارِبُ سُهولةَ هَذِهِ الْأَفَافِ.

وَمَنْ أَعْجَبَ التَّشْبِيهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُتَتَّيْ عَنْكَ وَاسِعٌ

وقوله:

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمْدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَى نَوَازِعٍ^(٢)

وقوله:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

وَمَنْ عَجِبَ التَّشْبِيهِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

وَرَدَّتْ أَعْتِسَافًا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٍ^(٣)

وقوله:

فَجَاءَتْ بَنَسُجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبِرُقٍ^(٤)

وتأويله^(٥) أَنَّهُ يَصِفُ مَاءً قَدِيمًا لَا عَهْدَ لَهُ بِالْوَرَادِ^(٦). فَقَدْ اصْفَرَّ وَاسْوَدَّ،

فَقَالَ:

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدُ بِالنَّاسِ^(٧) آجِنٌ كَأَنَّ الدَّبَا مَاءَ الْغُضَا فِيهِ تَبْصُقُ^(٨)

(١) ر: «وقد أكثر الناس في الثريا».

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حديدة معقوفة الرأس. ونوازع: جواذب، يقول: ولك خطاطيف أجز بها إليك. فليس عنك مهرب.

(٣) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلق على مرتفع (من شرح ديوانه ٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوب الدلو، والعرقوبان: خشبتان.

(٥) ر: «وتأويل هذا».

(٦) ر: «بالورادة».

(٧) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبتته هو رواية الديوان والأصل: س.

(٨) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا: الجراد. والغضا: شجر له هذب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل في وصف الماء الآجن، حيث يقول:
 إذا وردت ماء كأنَّ جِمامَهُ من الآجنِ حنَّاءٌ معاً وصَبِيبُ
 فقال ذو الرمة في وصف هذا الماء، فقرنَ بتغيُّره بُعدَ مطلبه. فقال:
 فأدلى غلامِي دَلْوَهُ يَتَغَيَّ بها شفاءَ الصَّدَى واللَّيلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ
 يريدُ أنَّ الفجرَ قد نجمَ فيه، فجاءت - يعنى الدَّلْوُ - بنسجِ العنكبوت. كأنه
 على عَصَوَيْهَا سَابِرِي مُشْبِرَقُ. والسَّابِرِي: الرقيقُ من الثياب والدروع^(١).
 والمشبِق: الممزق. وأنشد أبو زيد:
 لَهَوْنَا بِسِرْبَالِ الشَّبَابِ مُلَاوَةً^(٢) فأصبحَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ شِبَارِقًا

ومن التشبه العجيب قولُ ذى الرمة في صفة الظليم:
 شَخْتُ الجِرَازَةِ مِثْلُ البَيْتِ سَائِرُهُ مِنَ المَسْوَحِ خِدَبٌ شَوْقَبٌ خَشِبُ
 الشَّخْتُ: الضَّئِيلُ اليابسُ الضَّعِيفُ. الجِرَازَةُ القَوَائِمُ. وقوله: «مِثْلُ البَيْتِ
 سَائِرُهُ مِنَ المَسْوَحِ». يعنى إذا مدَّ جَنَاحِيَهُ. وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة:
 صَعْلُ كَأَنَّ جَنَاحِيَهُ وَجُوجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومُ
 الضَّعْلُ: الصَّغِيرُ الرَّاسِ. الخَرْقَاءُ التى لا تُحْسِنُ شَيْئًا. فهى تُفْسِدُ ما
 عَرَضَتْ لَهُ. قال الخطيئة:
 هُمْ صَنَعُوا لِجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الخَرْقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
 والمهجوم: المهذوم، وفى الخبر أنه لما قُتِلَ بِسْطَامُ بن قَيْسٍ لم يَبْقَ بَيْتٌ فى
 بكر بن وائلٍ إِلَّا هُجِمَ، أى هُدمَ، والخِدَبُ: الضَّخْمُ. والشَّوْقَبُ الطويلُ.
 والحِشْبُ: الذى ليس بَلَيْنٌ على مَنْ نَزَلَ بِهِ.

ومن التشبيه المصيبِ قوله فى صفةِ روضةٍ:

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد ببيت ذى الرمة.
 (٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَرَحَاءُ حَوَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ فِيهَا الذَّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ
 قَرَحَاءُ: يريدُ الأنوَاءَ. وقوله: «حَوَاءُ» يقول: تضرب إلى السَّوَادِ لشدة رِيهَا
 وَخُضْرَتِهَا، وكذلك قال المفسرون^(١) في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾^(٢).
 تَضْرِبَانِ إِلَى الدَّهْمَةِ، لَشِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا وَرِيَّهِمَا.
 وقوله: «أَشْرَاطِيَّةٌ» ليس مما قَصَدْنَا لَهُ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَجْرِي فَنَفْسَرُهُ. ومعناه:
 أَنَّهَا مُطَرَّتٌ بِنَوءِ الشَّرْطَيْنِ^(٣).

وحدثني الزِّيَادِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ - وَسُئِلَ بِحَضْرَتِي، أَوْ سَأَلْتُهُ عَنْ
 قَوْلِهِ: «أَشْرَاطِيَّةٌ» - فَقَالَ: بَاسْتِهِ وَاسْتِ عَرْسُهُ! وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ لَا يُنْشِدُ
 وَلَا يُفَسِّرُ مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ الْأَنْوَاءِ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ
 فَأَمْسِكُوا». لِأَنَّ الْخَبَرَ فِي هَذَا بَعِينٌ. «مُطَرَّنَا بِنَوءٍ كَذَا وَكَذَا»، وَكَانَ لَا يُفَسِّرُ وَلَا
 يُنْشِدُ شِعْرًا فِيهِ هَجَاءٌ. وَكَانَ لَا يُفَسِّرُ شِعْرًا يُوَافِقُ تَفْسِيرَهُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، هَكَذَا
 يَقُولُ أَصْحَابُهُ، وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ الشَّمَاخِ:

طَوَى ظِمَامَهَا فِي بَيْضَةِ الْقَيْظِ^(٤) بَعْدَمَا جَرَى فِي عِنَانِ الشُّعْرَيْنِ الْأَمَاعِزِ^(٥)
 فَأَبَى أَنْ يَفْسَرَ «فِي عِنَانِ الشُّعْرَيْنِ».

قَوْلُهُ^(٦): «الذَّهَابُ»^(٧) فَهِيَ الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ الدَّائِمَةُ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا أَنْجَعُ الْمَطَرِ
 فِي النَّبْتِ، وَكَذَلِكَ الْعَهَادُ، وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ:

أَمِيرٌ عَمَّ بِالنَّعْمَاءِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ جَلَّلَهَا الْعِهَادُ^(٨)

وَالْبَرَاعِيمُ؛ وَاحِدُهَا^(٩) بُرْعُومَةٌ، وَهِيَ أَكْمَةُ الرَّوْضِ قَبْلَ أَنْ تَتَفَتَّقَ، يَقَالُ

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».

(٢) سورة الرحمن ٦٤.

(٣) الشرطان: مثنى شرط بالتحريك وهى من الحمل قرناه.

(٤) ر: «بيضة الصيف».

(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئها فى السير. والظم: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها
 الماء، وبيضة القَيْظِ: شدته. وقوله: «جرى فى عنان الشعيرين الأماعز» جعل للشعيرين الصور والغميصاء
 - وهما كوكبان يطلعان فى القَيْظِ - عناناه طرفاه محيطان برأس الأماعز، وهى الأمكنة الغليظة (من رغبة
 الآمل).

(٧) الذهب: جمع ذهبية.

(٦) ر «وأما قوله».

(٩) ر: «واحدتها».

(٨) جمع عهدة.

لواحدةها: كِمٌ^(١). وكمامٌ، فمن قال: كَمَامٌ، فجمعه أَكَمَّةٌ، مثلُ صَمَامٍ وَأَصَمَّةٍ، وزمامٍ وَأَزَمَّةٍ، ومن قال: كِمٌ، فالجمع أَكَمَامٌ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٢).

ومن ذلك قول الآخر، أَحْسِبُهُ تَوْبَةً بَنَى الْحُمَيْرِ :

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب] :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى	بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ ^(٣)
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فَبَاتَتْ	تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلَقَ الْجَنَاحُ
[لَهَا فَرُخَانٌ قَدْ غَلَقَا يُوَكِّرُ	فَعُشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيَّاحُ ^(٤)
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرْجَى	وَلَا بِالصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَّاحُ ^(٥)

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانِيُّ^(٦) لِلْحَجَّاجِ :

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
فهذا يجوز أن يكونَ في الحَفَقَانِ وفي الذهابِ أَلْبَتَةً.

ومن التشبيه المحمود قول الشاعر:

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ	أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحَجَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ ^(٧)	تَقَلَّبُ طَرْفُهَا حَذَرَ الصُّقُورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور.
(٢) سورة الرحمن ١١ .
(٣) ر: «تعالجه»، وفي نهاية الأبيات. و«يروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب». (٤) غلقا: من الغلق. وهو الحبس.
(٥) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر .
(٦) هو عمران بن حطان.
(٧) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

وَنَصَّبَ «عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ» عَلَى الدِّمِّ، وتَأْوِيلُهُ: إنه إذا قال: «جاءني عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يَقُولُهُ (١) إلا وقد عَرَفَهُ بِالْفُسْقِ وَالْخُبْثِ (٢). فَنَصَّبَهُ «أَعْنِي» وما أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ، نحو «أَذْكُرُ»، وهذا أَبْلَغُ فِي الدِّمِّ، أَنْ يُقِيمَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْأَسْمِ، وكذلك المدحُ. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بعد قوله: ﴿لَكِنَّ الرَّاكِّسِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ (٣). إنما هو على هذا. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَرَادَ: «وَمِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» فمَخْطِئٌ فِي قول البصريين، لأنهم لا يَعْطِفُونَ الظَّاهِرَ عَلَى الْمُضْمَرِ الْمُخْفُوضِ، وَمَنْ أَجَاذَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ فَعَلِيَ قَبِيحٌ، كالضَّرُورَةِ. والقرآنُ إنما يَحْمِلُ عَلَى أَشْرَفِ الْمَذَاهِبِ. وقرأ حمزة: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤). وهذا مما لا يجوزُ عِنْدَنَا إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ شَاعِرٌ، كما قال:

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

وقرأ عيسى بن عُمَرُ: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٥). أَرَادَ: وَأَمْرَأَتُهُ فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، فنصب «حَمَّالَةَ» عَلَى الدِّمِّ. وَمَنْ قَالَ إِنَّ «أَمْرَأَتَهُ» مرتفعةٌ بقوله: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾: فهو يجوزُ. وليس بالوجه أن يُعْطَفَ الْمَظْهَرُ الْمَرْفُوعُ عَلَى الْمُضْمَرِ حَتَّى تُؤَكِّدَ، نحو: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَقَاتِلَا﴾ (٦). و: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (٧). فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ (٨). فإنه لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ وَزِيدَتْ (٩) فِيهِ «لَا» احْتَمَلَ الحذفَ وهذا على قبيح جائرٍ فِي الْكَلَامِ (١٠). أعنى: ذهبتُ وزيدٌ، وأذهبُ وعمرو، قال جرير:

وَرَجَا الْأَخِيظِلُّ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنَالَا

وقال ابنُ أَبِي ربيعة:

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ وَزُهْرٌ تَهَادَى كِنَعَاكِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلَا (١١)

(١) ر: «يقول» . (٢) ر: «بالخبث والفسق» .

(٣) سورة النساء ١٦٢ . (٤) سورة النساء ١ .

(٥) سورة المسد ٤ . (٦) سورة المائدة ٢١ .

(٧) سورة البقرة ٣٥ . (٨) سورة الأنعام ١٤٨ .

(٩) ر: «وزادت»، وما أثبتته عن الأصل، س .

(١٠) لفظ «في الكلام» ساقط من ر .

(١١) الملا: الفلاة .

ومما يُنصبُ على الدَّمِّ قولُ النابغةِ الذبياني (١):

لَعَمْرِي وما عَمْرِي على بهينٍ لقد نَطَقْتُ بَطَلاً على الأَقَارِعِ (١)
أَقَارِعَ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غيرها وجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ (٢)
وقال عُرْوَةُ بنُ الوردِ العبَّسيُّ:
سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

والعربُ تُنشدُ قولَ حاتمِ الطائي رَفْعاً وَنَصَباً :

إِنْ كُنْتَ كَارِهَةً مَعِيشَتَنَا هَاتَا فَحُلِّي فِي بَنِي بَدْرٍ
الضَّارِبِينَ، لَدَى أَعْيَتِهِمْ والطَّاعِينَ وَخَيْلُهُمْ تَجْرِي
وإنما خَفَضُوهُمَا على النعتِ، وَرَبَّما رَفَعُوهُمَا على القطعِ والابتداءِ .
وكذلك قولُ الخرنيقِ بنتِ هَفَّانِ القَيْسِيَّةِ، مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبٍ :

لا يَعْدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

وكل ما كان مِنْ هَذَا فعلى هذا الوجه (٤) .

وإن لم يردْ مَدْحًا وَلَا ذَمًّا قَدْ اسْتَقَرَّ لَهُ فَوَجْهُهُ النعتُ . وقرأ بعضُ القراءِ :
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (٥) .

وأكثرُ ما تُنشدُ العربُ بيتَ ذِي الرُّمَّةِ نَصَباً، لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ مَا يَحِنُّ إِلَيْهِ
وَيَصُبُّ إِلَى قُرْبِهِ أَشَادَ بِذِكْرِ مَا قَدْ كَانَ يَبْغِي، فَقَالَ :
دِيَارَ مَيَّةَ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ
وفى هذه القصيدة من التشبيهِ المُصِيبِ قوله :

(١) ساقط من ر .

(٢) البطل : ضد الحق . والأقارِع : هم بنو قريع بن عوف بن كعب .

(٣) تجادع : تشاتم، وفى ر : «تخادع» .

(٤) كذا فى الأصل . س ، وفى ر : «فعلى هذا أكثر إنشاده» .

(٥) سورة المؤمنون ١٤ .

بَيَّضَاءُ فِي دَعَجٍ، صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(١)
 وفيها من التشبيه المصيب قوله^(٢) :
 تَشْكُو الخِشَاشَ وَمَجْرَى النَّسْعَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ إِلَى عَوَادِهِ الْوَصِيبِ^(٣)
 والخشاش^(٤) : ما كان في عَظْمِ الأنفِ، وما كَانَ فِي الْمَارِنِ فهو بُرَّةٌ، يقالُ:
 أَبْرَيْتِ النَّاقَةَ، فهي مُبْرَأَةٌ، قال الشَّماخُ - وهذا من التشبيه العجيب :
 فَقَرَّبْتُ سُبْرَةَ تَخَالُ ضُلُوعَهَا مِنْ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسِيِّ الْمُؤْطَرِّ^(٥)
 وَمَاسِخَةٌ، من نصر^(٦) بن الأزْدِ، وإليهم تنسب^(٧) الْقِسِيُّ الْمَاسِخِيَّةُ .
 وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي :
 وَكَأَنَّمَا انْتَطَحَتْ عَلَى أَثْبَاجِهَا فُدرٌ بِشَابَةٍ قَدْ يَمَمْنَ وَعُولا^(٨)
 الْفَادِرُ: المسنُّ من الوُعُولِ .
 وذو الرِّمَّةُ أخذ ذلك من الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ، قال الْمُثَقَّبُ^(٩) :
 إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأْوَهُ آهَةٌ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

ومن التشبيه المستحسن قولُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِةَ :
 كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(١٠)
 فهذا حسن جدا .

- (١) الدعج: سواد العين. والنعج: البياض الخالص. ورواية الديوان ٥ : «كحلاء في برج»؛ والبرج: سعة في بياض العين.
 (٢) النسعة والنسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره، وأن من الأئین.
 (٣) ر: «الخشاش» بحذف الواو .
 (٤) أصل الإطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه. وفي ر: «الموترا»، والموتر: المشدود.
 (٥) ر: «نصر من الأزْد». (٦) ر: «نسبت» .
 (٧) الأثباج: جمع ثبج، وهو معظم الظهر. وفيه محاني الضلوع. وشابة: جبل بعينه. يَمَمْنَ: قصدت، وخفف في البيت للشعر
 (٨) ر: «أخذ ذلك المعنى من قول المَثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ» .
 (٩) الشرف: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله. مقدم: مغطى بالقدم، وهو من وصف الإبريق .
 (١٠) سببا الكتان، يريد سبائب الكتان؛ والسبائب: جمع سبيبة؛ وهي شقة بيضاء. ملثوم: من اللثام؛ وهو ما يوضع على الفم؛ واستعاره للإبريق .

وقال أبو الهندي، وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شَبَث بن رُبَيْع
الرياحي، من بنى رِيَّاح بن يَرْبُوع. وكان شَبَثُ سَيِّدَ بنى يَرْبُوع بالكوفة:

مُفَدِّمَةٌ قَزًّا كَانَ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْزَعَهَا الرَّعْدُ

[من أخبار أبي الهندي]

وكان أبو الهندي قد غَلَبَ عليه الشراب، على كرم مَنْصِبِهِ، وشرف أَسْرَتِهِ،
حتى كاد يُبْطِلُهُ.

وكان عَجِيبَ الجواب، فجلس إليه رجلٌ مَرَّةً يُعْرِفُ بِيَرِزِينَ المناكير، وكان
أَبُوهُ صُلْبٌ فِي خَرَابَةٍ، والخَرَابَةُ عندهم: سَرَقُ الْإِبِلِ خَاصَّةً. فَأَقْبَلَ يُعَرِّضُ لِأَبِي
الهندي بالشراب، فلما أَكْثَرَ عليه قال أبو الهندي: أَحَدُهُمْ يَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ
وَلَا يَرَى الْجَذْعَ فِي إِسْتِ أَبِيهِ.

وفى الخَرَابَةُ يقول الراجز:

وَالْخَارِبُ اللَّصُّ يُحِثُّ الْخَارِبَا وَتِلْكَ قَرْبَى مِثْلَ أَنْ تُنَاسِبَا
أَنْ تُشَبِّهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا (١)

وقال الآخر:

إِيْتِ الطَّرِيقَ وَاجْتَنِبْ أَرْمَامَا إِنَّ بِهَا أَكْثَلَ أَوْ رَزَامَا (٢)

خُوَيْرِيَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا (٣)

[زاد أبو الحسن: * لَمْ يَتْرُكَا لِمُسْلِمٍ طَعَامًا *]

نَصَبَ «خُوَيْرِيَيْنِ» عَلَى «أَعْنَى» لَا يَكُونُ غَيْرُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَثْبَتَ أَحَدَهُمَا
بِقَوْلِهِ: «أَوْ».

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهى السجى والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكثل ورزام: لسان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

ومرَّ نصرُ بن سَيَّار الليثيُّ بأبي الهندي وهو يَمِيلُ سُكْرًا، فقال له: أَفْسَدْتَ شَرْفَكَ! فقال أبو الهنديُّ: لو لم أَفْسِدِ شَرْفِي لم تكنْ أنتَ واليَ خِرَاسَانَ.

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّار مرة، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيت الله ومَحَلٍّ حرمه^(١) فَدَعَّ لِي الشَّرَابَ حَتَّى يَنْفِرَ النَّاسُ، وَاحْتَكِمْ عَلَيَّ، فَفَعَلَ. فلما كان يومُ النَّفَرِ أَخَذَ الشَّرَابَ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَقْبَلَ يَشْرَبُ وَيَبْكِي، ويقول:

رَضِيعَ مَدَامَ فَارَقَ الرَّاحَ رُوحُهُ فَظَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهْلًا الْمَدَامِعَ
أَدِيرًا عَلَى الْكَأْسِ إِنِّي فَقَدْتُهَا كَمَا فَقَدَ الْمَفْطُومُ دَرَّ الْمَرَاضِعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوليد الكِنَانِيَّ، وكان أبو الوليد ناسكًا فاستَعْدَى عليه وعلى ابنه، فَهَرَبَا مِنْهُ. وقال أبو الهندي:

قُلْ لِلسَّرِيِّ أَبِي قَيْسٍ: أَتَوَعَدُنَا وَدَارِنَا أَصْبَحْتُ مِنْ دَارِكُمْ صَدَدًا^(١)
أَبَا الْوَلِيدِ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَمَلْتُ فَيَكُ الشَّمُولُ لِمَا حَرَّمْتُهَا أَبَدًا
وَلَا نَسِيتَ حُمَيَّاهَا وَلَذَّتْهَا وَلَا عَدَلْتُ بِهَا مَالًا وَلَا وَكْدًا

ثم نرجعُ إلى التشبيه، وربما عَرَضَ الشَّيْءُ وَالْمَقْصُودُ غَيْرُهُ، فيذكر للفائدة تقع فيه، ثم يعادُ إلى أصلِ الباب.

قال أبو العباس: وقال عُرْوَةُ بن حَزَامٍ العُدْرِيُّ:
كَأَنَّ قِطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ

ويقال: إن المرأة إذا كانت مُبْغِضَةً لزوجها، فأية ذلك أن تكون عند قُرْبِهِ مِنْهَا مُرْتَدَّةَ النَّظَرِ عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراء^(٢)، وإذا كانت مُحِبَّةً له لَا تُقْلَعُ عن النظر إليه، وإذا نَهَضَ نظرت من ورائه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها، فقال رجلٌ: أردتُ أن أعلمَ كيف حَالِي عند امرأتِي، فالتفتُ وقد نَهَضَتْ من بين يديها فإذا هي تُكَلِّحُ^(٣) فِي قَفَايَ.

(١) ر: «ومحمل «وفوده».

(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أى قريبة.

(٣) ر «من ورائه»؛ وما أثبتته عن الأصل.

(٤) التكليح: التكشير فى عبوس.

وقال الفرزدقُ في هذا المعنى ، والنَّوَارُ تخاصمه عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن
العوام :

فَدُونَكُهَا يَا بَنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الْحَجَارَةَ قِيلُهَا
إِذَا جَلَسَتْ عِنْدَ الْإِمَامِ كَأَنَّمَا ^(١) تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِهَا تَسْتَحِيلُهَا

قوله : «مُوَلَّعَةٌ» . يقول : كأنها ^(٢) مُوَلَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرة هاهنا .
وقوله : «تَرَى رُفْقَةً يَقَالُ : رُفْقَةً وَرُفْقَةً» . ومعنى «تَسْتَحِيلُهَا» تَبَيَّنُ حَالَاتِهَا ، قال
حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

إِذَا خَرَجْتَ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ ^(٣) مِنْ الْخَوْفِ تَسْمَعُ مَا لَا تَرَى ^(٤)

ومن عجيب التشبيه قولُ جريرٍ يما يُكْنَى عن ذكره :
تَرَى الصَّبِيَّانَ عَاكِفَةً عَلَيْهَا كَعَنْفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا ^(٥)
ويقالُ : إن الفرزدقَ حين أنشِدَ النصفَ الأولَ ضربَ بيده إلى عنفَقته توقُّعًا
لِعَجْزِ الْبَيْتِ .

ومن التشبيه الحسن قولُ جريرٍ في صفة ^(٦) الخيل :
يَشْتَفْنَ لِلنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ
قوله : «يَشْتَفْنَ» و «يَشْتَوْنَ» في معنى واحد . وقوله : «كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ
الْأَشْطَانِ» ، أراد شدة صهيلها . يقول : كَأَنَّمَا يَصْهَلْنَ فِي آبَارٍ وَاسِعَةٍ تَبَيَّنُ أَشْطَانُهَا
عَنْ نَوَاحِيهَا .

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجعديّ :
وَيَصْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ صَهِيلًا يُبَيِّنُ لِلْمَعْرَبِ

(١) ر : «كأنها» ؛ وما أثبتته عن الأصل ؛ س .

(٢) ساقطة من ر .

(٣) كذا في الأصل س ؛ وفي ر : «مروعة تستحيل الشخوص» وهي رواية الديوان ٤٧ .

(٤) وفي زبادات طبعة المرصفي : قوله : «مروعة» يقول : كل شيء يدنني من الظفر بها يروعها وبفرها .

(٥) العنفقة . ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر .

(٦) قال المرصفي : «هذا خطأ ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بني تغلب ، وهو في ديوانه ٨٨٢ .

المُعَرَّب: العالمُ بالخيلِ العَرَابِ.

ومن حَسَنَ التشبيه قولُ عَتْرَةَ:
غَادَرْنَ نَضْلَةً فِي مَعْرَكٍ يَجُرُّ الْأَسِنَّةَ كَالْمُحْتَطِبِ^(١)
يقول: طُعِنَ وَغُودِرَتِ الرِّمَاحُ فِيهِ، فَظَلَّ يَجْرُهَا، كَأَنَّهُ حَامِلٌ حَطْبٍ.

ومن التشبيه المتجاوز المُفْرِط قولُ الخَنْسَاءِ:
وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
فَجَعَلَتِ الْمَهْتَدَى يَأْتُمُ بِهِ، وَجَعَلَتْهُ كَنَارٍ فِي رَأْسِ عَلَمٍ، وَالْعَلَمُ: الْجَبَلُ، قَالَ
جَرِيرٌ:

❖ إِذَا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَأَ عَلَمٌ ❖

وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢).
ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ الْعَجَّاجِ:

❖ تَقْضَى الْبَارِى إِذَا الْبَارِى كَسَرَ ❖

والتَّقْضَى: الانْقِضَاضُ. وإنما أراد سرعتها، والعربُ تُبَدِّلُ كَثِيرًا الْيَاءَ مِنْ أَحَدِ
التَّضْعِيفَيْنِ، فيقولون: تَظَنَّتِ وَالْأَصْلُ: «تَظَنَّتْ»، لَأَنَّهُ «تَفَعَّلَتْ» مِنَ الظَّنِّ،
وكذلك: تَقْضَيْتُ؟ مِنَ الْانْقِضَاضِ، أَيْ تَقْضَضْتُ، وكذلك تَسَرَّيْتُ، ومثل هذا
كثيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المستطرف قولُ بَشَّارٍ:
كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُورَةٌ تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ إِنَّ نَفْعَ الْحِذَارِ

(١) الضمير في «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسى؛ قال المرصفي.

(٢) سورة الرحمن ٢٤.

[يَرَوُّعُهُ السَّرَّارُ بِكُلِّ أَمْرٍ مُحَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَّارُ] (١)

وفى هذه القصيدة:

جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التُّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قَصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا ! أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر:

فَإِذَا مَا لَمَسْتَهَا فَهَبَاءٌ تَمْنَعُ اللَّمَسَ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا
دَرْسَ الدَّهْرِ مَا تَحْسَمُ مِنْهَا وَتَبْقَى لُبَابُهَا الْمَكْنُونَا
فَهِيَ بِكْرٌ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أَنْ يَكُونَا
فِي كُؤُوسِنَ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ جَارِيَاتٌ بَرُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا
فهذه قطعة من التشبيه غايةً، على سُخْفِ كَلَامِ الْمُحَدِّثِينَ.

وقال الحنفى: وهو إسحاق بن خلف - فى صفة السيف:

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمَتَاحِ (٢)
وَكَأَنَّمَا دَرَّ الْهَبَابُ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فى مَدْحِهِ يَزِيدَ بْنَ مَزِيدَ:

يَمْضَى الْمَنَاءُ كَمَا تَمْضَى أَسْتَتُهُ كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضَرْغَامًا (٣)

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستتر فيها القمر ويختفى.

(٢) ر: «فكأنما» وما أثبتته عن الأصل.

(٣) ر: «تمضى»، وما أثبتته عن الأصل.

وقال دُعْبُلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي صِفَةِ الْمَصْلُوبِ^(١):

لَمْ أَرَ صَفًّا مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ تَسْعِينَ مِنْهُمْ صُلِبُوا فِي خَطِّ^(٢)
مَنْ كُلُّ عَالٍ جَذَعُهُ بِالْشُطِّ كَأَنَّهُ فِي جَذَعِهِ الْمَشْتِطُّ^(٣)
أَخُو نُعَاسٍ جَدَّ فِي التَّمَطِّي قَدْ خَامَرَ النَّوْمَ وَلَمْ يَغِطْ^(٤)

وقال يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي مِثْلِهِ^(٥):

قَامَ وَلَمَّا يَسْتَبْعِنُ بِسَاقِهِ أَلْفَ مَثْوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي أَشْدَاقِهِ *

أَرَادَ بِيَاضَ الشَّرِيطِ فِيهِ .

وقال أَعْرَابِيٌّ فِي صِفَةِ مَصْلُوبٍ، وَهُوَ الْأَخْطَلُ:

[قال أبو الحسن: الْأَخْطَلُ الَّذِي يَعْنِي رَجُلٌ مُخْدَتٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ،
وَيَعْرِفُ بِالْأَخِيطَلِ، وَيُلَقَّبُ بِبَرْقُوقَا، وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ كَانَ يُدَلِّسُ
بِهِ.]

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَحِلٍ
أَوْ قَائِمٌ مِنْ نُعَاسٍ فِيهِ لُوثُهُ مُوَاصِلٌ لَتَمَطِّيهِ مِنَ الْكَسَلِ^(٦)

[وقال مسلم بن الوليد:

وَضَعْتَهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيحُ بِهِ وَتَحْسَدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَلَدِ^(٧)

وقال حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ [قال أبو الحسن: يَعْنِي بِهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الطَّاهِرِيُّ]:

(١) ر. «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.

(٣) كذا في الأصل، ويريد بالمشط الطويل، وفي ر: «المشتط».

(٤) الغطيط صوت نفس النائم.

(٥) في ربادات ر. «وقال آخر في صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبى»، وما أثبتته من الأصل.

(٦) اللوثة. الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قد قَلَّصَتْ شَفَاتَهُ مِنْ حَفِيزَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّقْلِيلِصِ مُبْتَسِمًا^(١)
 وقال أيضًا في رجل يَنْسُبُهُ إِلَى الدَّعْوَةِ^(٢) :
 وَتَنْقُلُ مِنْ مَعْشَرٍ فِي مَعْشَرٍ فَكَأَنَّ أُمَّكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبَيْقُ
 يقال: زُبَيْقٌ، وَزُبَيْرٌ، مَهْمُوزَانِ، وَدَرَهُمٌ مُزَابِقٌ، وَثُوبٌ مُزَابِرٌ^(٣).

وَمِنْ إِفْرَاطِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهُذَلِيِّ يَصِفُ سُرْعَةَ إِبْلِهِ فِي الْعَدُوِّ:
 كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاشِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ
 يُبَادِرُ جَنَحَ اللَّيْلِ فَهُوَ مَهَابِدٌ يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبْسِطِ وَالتَّقْبِضِ
 وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ [قال أبو الحسن: أَهْلُ الْكُوفَةِ يَرَوْنَهَا لَعْبِيدَ بْنِ
 الْأَبْرَصِ]:

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَدَكْنَ فِي الْحَانُوتِ نَضَّاحٍ
 أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنْايِبِ رُمَّانٍ وَتَفَّاحٍ^(٤)

وقال ابنُ عَبْدِكَ يَهْجُو رَجُلًا بِالْبَحْرِ:
 نَكَهْتَ عَلَى نَكْهَةٍ أَخْذَرَى شَتِيمِ شَابِكِ الْأَيْيَابِ وَرْدٍ^(٥)

وفى هذا الشَّعْرُ:

فَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طُلِّيتُ مُشَافِرَةً بِقَنْدٍ^(٦)
 يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا وَشَيْكًا إِنْ هَمَّ مَنْ لَهُ يَوْرَدٌ

(١) التَّقْلِيلِصُ: التَّقْبِضُ. وفى ر: «من شدة التبعس».

(٢) فى زيادات ر: «وهو إسحاق بن إبراهيم الطاهري» ودفعها المرصفي، وقال: هو عتبة بن أبي عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدد بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئير: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخبز.

(٤) الاغتباق: شرب العشى. والأدكن: ما تعلقه الدكنة؛ وهى لون بين الحمرة والسواد أراد به الزرق. والورهاء: الريح التى فى هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدرى من وصف الحمار الوحشى.

(٦) القند: عسل قصب السكر.

الدُّبَابُ: الواحد من الدُّبَّان، وأدنى العدَد فيه أذبةٌ، والكثير في الدُّبَّان، ولكنه ذكر واحداً ثم خبر عن سائر الجنس، والأسدُ أتنُّ السَّبَّاحِ فمَّا، كما أن الصَّقْرَ أتنُّ الطير فمَّا.

قال بعضُ المحدثين في رجل يهجوهُ، والمهْجُو داود بن بكر، وكان وكى الأهوازَ وفارسَ، والشعرُ لأبى الشَّمَقَمَق:

وله لِحْهِيَّةٌ تَيْسٌ وله مِنْقَارٌ نَسْرٌ
وله نَكْهَةٌ لَيْثٌ خالَطَتْ نَكْهَةً صَقْرٌ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة:

من يكن إبطه كآباطِ ذا الخَلْقِ فإِبطاى فى عِدَادِ الْفِقَاحِ^(١)
لى إِبْطَانِ يَرْمِيَانِ جَلِيسَى بشبيه السَّلاحِ^(٢) أو بالسُّلاحِ
فكأننى من نتن هذا وهذا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصُباحِ

يعنى مصعب بن عبد الله الزُّبَيْرى، وصباح بن خاقان المنقرى. وكانا جلسين لا يكادان يفترقان، وصديقين متواصلين، لا يكادان يتصارمان. فحدثت أن أحمد بن هشام لقيهما يوماً، فقال: أمّا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعنى إسحاق بن الموصلى، فقالا: ما قال فينا إلا خيراً، قال: قال:

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصُباحٌ فعصينا مُصْعَبًا وصُباحا
وأبينَا غيرَ سَعى إِلَيْهَا فاسترحنا منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيراً، ولكن^(٣) المكروه ما قال فيك، إذ يقول:

وصافية تُعشى العُيونَ رَقِيقَةً رَهِينَةً عامٍ فى الدُّنَانِ وعَامٍ
أدرنا بها الكأسَ الرُّويَّةَ مَوْهِنًا من الليل حتى انجَابَ كلُّ ظلامِ^(٤)
فما ذرَّ قرنَ الشمسِ حتى كأننا من العيِّ نحكى أَحْمَدَ بنَ هِشَامِ

(١) الفقاح: جمع فححة. وهى حلقة الدبر.

(٢) السَّلاح: العذرة.

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الموهن: نحو نصف الليل.

واعلم أن التشبيه حدًّا؛ لأن الأشياء^(١) تشابه من وجوه، وتباين من وجوه؛
 فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع^(٢)، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر^(٣) فإنما يراد
 به^(٣) الضياء والرونق، ولا يراد به^(٣) العظم والإحراق. قال الله جل وعز:
 ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾^(٤)، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاء ورقة
 لونه^(٥)، قال الراعي:

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَبْلَحِهَا إِذَا اجْتَبَلَاهُنَّ قَيْطُ لَيْلُهُ وَمِدُّ^(٦)

وقيل للأوسية - وهي امرأة حكيمة في^(٧) العرب - بحضرة عمر بن الخطاب
 رحمه الله: أَيْ مَنْظَرٌ أَحْسَنُ؟ فقالت: قُصُورٌ بَيْضٌ، فِي حَدَائِقِ خَضِرٍ، فَأَنْشَدَ عُمَرُ
 ابْنَ الْخَطَّابِ لِعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

كَدُمِي الْعَاجَ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ
 وَقَالَ آخَرُ:

كَالْبَيْضِ فِي الْأَدْحَى يَلْمَعُ بِالضُّحَى^(٨) فَالْحُسْنُ حُسْنٌ وَالنَّعِيمُ نَعِيمٌ
 وَقَالَ جَرِيرٌ:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ يَرَوْقُهُمْ^(٩) إِلَّا رَأَوْا أُمَّ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا
 كَأَنَّهَا مَزْنَةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ مَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفُ^(١٠)

المزنة: السحابة البيضاء خاصة، وجمعها مزن، قال الله جل وعز: ﴿أَأَنْتُمْ
 أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾^(١١)، فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها، قال
 الأعشى:

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبتته عن الأصل.

(٢) ر: «من حيث وقع».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) سورة الصافات ٤٩.

(٥) ر: «ونعمة لونه».

(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجيء في صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.

(٧) كذا في الأصل، وفي ر، س: «من العرب».

(٨) الأدحى: مبيض النعام تدحوه برجلها، ثم تبيض فيه.

(٩) ر: «عن شيء بروقهم»، وما أثبتته عن الأصل، س.

(١٠) ر: «لا يوارى لونها».

(١١) سورة الواقعة ٦٩.

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلَحَّقه العَيْنُ منها، فأما الخَفَّةُ فهي كَأَسْرَعِ مَرٍّ،
وإنْ خَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الْبَصَرِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ
تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (١).

وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْمَرْأَةَ بِالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْغَصَنِ، وَالْكُثِيبِ (٢). وَالْغَزَالِ،
وَالْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ، وَالسَّحَابَةِ الْبَيْضَاءِ، وَالْدُّرَّةِ، وَالْبَيْضَةِ، وَإِنَّمَا تَقْصِدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِلَى شَيْءٍ.
قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

وَمَيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيدًا (٣)	وَسَالِفَةٌ وَأَحْسَنُهُمْ قَذَالًا (٤)
فَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا نَظَرًا وَعَيْنًا	وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا
تَرِيكَ بَيَاضَ غُرَّتِهَا وَوَجْهَهَا	كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا
أَصَابَ خِصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا	كَلَاً وَأَنْغَلَ سَائِرُهُ أَنْغَلَا (٦)

الْجِيدُ: الْعُنُقُ، وَالسَالِفَةُ: نَاحِيَةُ الْعُنُقِ، وَالْقَذَالَانِ: نَاحِيَتَا الْقَفَا مِنَ الرَّأْسِ.
وَقَوْلُهُ: «أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا»، يُقَالُ: أَفْتَقَ السَّحَابُ، إِذَا انْكَشَفَ انْكَشَافَةً فَكَانَتْ
مِنْهُ (٧) فُرْجَةٌ يَسِيرَةُ بَيْنَ السَّحَابَتَيْنِ. تَقُولُ الْعَرَبُ: دَامَ عَلَيْنَا الْغَيْمُ ثُمَّ أَفْتَقْنَا، وَإِذَا
نَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِنْ فَتْقِ السَّحَابِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ وَأَشَدُّ اسْتِنَارَةً.
وَقَوْلُهُ: «كَلَاً» يَرِيدُ فِي سُرْعَةٍ مَا بَدَأَ ثُمَّ غَابَ.

(١) سورة النمل ٨٨ .

(٢) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهي في الأصل، س.

(٣) الديوان: «خدا».

(٤) الديوان: «وأحسنه».

(٥) الديوان: «تريك بياض لبثها».

(٦) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلًا، أى ضعيفًا؛ ليس مبین الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل في الحساب. (من شرح الديوان).

(٧) ر. «صعه» وما أثبتته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١). وقال تبارك وتعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾^(٢).

والمكنون: المصون، يقال: كُنْتُ الشيءَ، إذا صُنِّتَ. وأَكْنَنْتُهُ، إذا أَخْفَيْتُهُ، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٣). وقد يقال: كُنَنْتُهُ، أَخْفَيْتُهُ.

وقد قال جريرٌ في يزيدَ بن عبد الملك، وأُمِّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

الحزْمُ والجودُ والإيمانُ قد نزلوا على يزيدَ أمينَ الله فاختَلَفُوا^(٤)
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمانُ، غُرَّتْهُ كالبدرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتَصِفُ^(٥)

وقال ذو الرُّمَّة:

فياظْبِيَّةَ الوعساءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ^(٦)
وقال ابنُ أبي ربيعة:

أَبْصَرْتُهَا ليلةَ ونَسَوْتُهَا يَمَشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
يَرْفُلْنَ فِي الرِّيطِ وَالْمَرْوِطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى سَوَاكِنُ الْبَقَرِ^(٧)
فهذه تشبيهاتٌ غريباتٌ مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوى^(٨):

قد رأينا الغزال والغُصْنَ والنَّجْمَيْنِ شَمْسَ الضُّحَى وَبَدْرَ الظَّلَامِ
فَوَحَقَّ الْبَيَانَ يَعْضَدُهُ الْبُرُ هَانِ فِي مَاقِطٍ أَلَدَّ الْخِصَامِ

(١) سورة الرحمن ٥٨ . (٢) سورة الواقعة ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٤) احتلفوا، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.

(٥) الدسبعة: العطية. سميت دسبعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.

(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلال: جبل بعينه.

(٧) الريط: جمع ربطة؛ وهى الملاة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.

(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

ما رَأَيْنَا سِوَى الْحَبِيبَةِ شَيْئًا^(١) جَمَعَ الْحُسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
فَهِيَ تَجْرَى مَجْرَى الْأَصَالَةِ فِي الرَّأْيِ . وَتَجْرَى الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ

البرهان: الحجة، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢). أَيْ حَجَجْكُمْ. وَالْمَاقِطُ: مَوْضِعُ الْحَرْبِ، فَضْرِبُهُ مَثَلًا لِمَوْضِعِ الْمُنَازَعَةِ وَالْمُحَاجَّةِ. وَالْأَلْدُ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٣). وَقَالَ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٤).

وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ^(٥):
كَأَنَّ فَتْنَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ بَنَجْدٌ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمَتَغُورِ
وَلَمْ يَقْدَعْ الْخَصْمَ الْأَلْدَ وَيَمْلَأِ الْـ سَجْفَانٌ سَدِيقًا يَوْمَ نَكْبَاءٍ صَرَصَرٍ^(٦)
السَّدِيفُ: شَقَقُ السَّنَامِ.

(الرِّيحُ وَمَوَاقِعُهَا)

وَالنَّكْبَاءُ: الرِّيحُ بَيْنَ الرِّيحَيْنِ، لِأَنَّ الرِّيحَ أَرْبَعٌ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ رِيحَيْنِ نَكْبَاءٌ، فَهِيَ ثَمَانٌ فِي الْمَعْنَى.

فَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ سُهَيْلٍ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ جَنُوبٌ، وَإِنَّمَا تَأْتِي الْجَنُوبُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ، قَالَ جَرِيرٌ:

وَحَبْدًا نَفَّحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ جَبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا^(٧)
وَإِذَا هَبَّتْ مِنْ تِلْقَاءِ الْفَجْرِ فَهِيَ الصَّبَا تَقَابِلُ الْقِبْلَةِ، فَالْعَرَبُ تَسْمِيهَا الْقُبُولَ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٨):

إِذْ قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيْجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ

(٢) سورة البقرة ١١٠ .

(٤) سورة البقرة ٢٠٤ .

(٦) لم يقْدَعْ: لم يكف.

(١) ر: «سوى الملية».

(٣) سورة مريم ٩٧ .

(٥) من كلمة تَرثَى بِهَا تَوْبَةُ بَنِ الْحَمِيرِ.

(٧) الريان: جبل من بلاد طيء؛ وفي ر: «من قبل الريان».

(٨) هو أبو صخر الهذلي.

وَإِذْ أَتَتْ مِنْ قَبْلِ الشَّامِ فَهِيَ شَمَالٌ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:
مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ نَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقَطَنِ مَنُشُورٍ
وَهِيَ تَقَابِلُ الْجَنُوبِ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:
فَتُوضِحَ فَاَلْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ
وَإِذَا جَاءَتْ مِنْ دُبُرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَهِيَ الدُّبُورُ، وَهِيَ تَهْبُ بِشِدَّةٍ، وَالْعَرَبُ
تَسْمِيهَا مَحْوَةً. عَنْ أَبِي زَيْدٍ، لَأَنَّهَا تَمَحُو السَّحَابَ. وَمَحْوَةٌ مَعْرِفَةٌ لَا تَنْصَرِفُ، فَأَمَّا
الْأَصْمَعِيُّ فَرَزَعَمَ أَنَّ «مَحْوَةً» مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمَالِ. وَأَنْشَدَا جَمِيعًا:
قَدْ بَكَرَتْ مَحْوَةٌ بِالْعَجَاكِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاكِ
الرَّجَاكِ: حَاشِيَةُ الْإِبِلِ وَضِعَافُهَا. وَقَالَ الْأَعَشَى:
لَهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا د صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُورًا

ولهذه الرياحُ أسماءٌ كثيرةٌ، وأحكامٌ في العربية، لأن بعضهم يجعلها نعوًا،
وبعضهم يجعلها أسماءً، وكذلك مصادرها تحتاجُ إلى الشرح والتفسير، ونحن
ذاكرون ذلك في عَقَبِ هذا الباب، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
يَقَالُ: جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا، وَشَمَلَتْ شَمُولًا، وَدَبَّرَتْ دُبُورًا، وَصَبَّتْ صُبُورًا،
وَسَمَّتْ سُمُومًا، وَحَرَّتْ حُرُورًا، مضموماتُ الأوائِلِ.
فَإِذَا أُرِدَتْ الْأَسْمَاءُ فَتَحَتِ أَوَائِلُهَا، فَقُلْتُ: جَنُوبٌ، وَشَمُولٌ، وَسَمُومٌ،
وَدُبُورٌ، وَحُرُورٌ.

وَلَمْ يَأْتِ مِنَ الْمَصَادِرِ شَيْءٌ مَفْتُوحٌ الْأَوَّلِ، إِلَّا أَشْيَاءُ يَسِيرَةٌ، قَالُوا: تَوَضَّأْتُ
وَصَبُوءًا حَسَنًا، وَتَطَهَّرْتُ طَهُورًا، وَأُولَعْتُ بِشَيْءٍ وَلَوْعًا، وَإِنَّ عَلَيْهِ لِقَبُولًا، وَوَقَدْتُ
النَّارَ وَقُودًا، وَأَكْثَرُهُمْ يَجْعَلُ الْوَقُودَ الْحَطْبَ، وَالْوَقُودَ الْمَصْدَرَ.
وَيَقَالُ: الشَّمَالُ، عَلَى لُغَاتِ سِتٍّ، يَقَالُ: شَمَالٌ، وَشَامَلٌ، وَشَمَالٌ،
وَشَمَلٌ، وَشَمَلٌ، وَشَامَلٌ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ.

ويقال للشّمال: الجريّاءُ، قال ابن أحمَر:
 بجَوْ مِنْ قَسِيَا ذَفِرِ الخَزَامِيَّ ^(١) تَدَاعَى الجِرِيَّاءُ بهـ بالخنيئا ^(٢)
 ويقال للجنوب: الأزيبُ.

ويقال للصّبَا: القُبُولُ، وبعضهم يجعله للجنوب، وهو في الصّبَا أشهرُ، بل
 هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهيرُ، والأيرُ، والهيرُ، قال الشاعرُ:

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارُ إِذَا الْهَيْرُ هَبَّتْ *

فهذا يدلُّ على أنه الصّبَا، وذلك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ بالإطعامِ في المشتاة ^(٢)
 وشدةَ الزمان، كما قال طَرْفَةُ:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدَبَ فِينَا يَتَّقِرُ

الجَفَلَى: العامةُ، والنَقَرَى: الخاصةُ، والآدَبُ: صاحبُ المأدبة، يقال: مَأْدِيَةٌ
 ومَأْدِبَةٌ لِلدَّعْوَةِ، وفي الحديث: «إِنَّ الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ».

قال أهلُ العلم: معناه مَدْعَاةُ اللَّهِ، وليس من الآدَبِ. وأكثرُ المفسرين قالوا
 القولُ الأولُ، وكلاهما في العربية جائزٌ ويدلُّ على القولِ الأولِ قولُ رسولِ الله
 ﷺ: «أَنَا الْجَفْنَةُ الْغَرَاءُ»، أى التى يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها، ويقال في
 الدَّعْوَةِ: أَدَبُهُ يَأْدُبُهُ أَدْبًا، إذا دعاه، قال الشاعرُ:

وَمَا أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إِلَّا كَخَالِ عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا الْمَنِيَّةَ تَأْدِبُهُ

وقولنا في الرياح: إنها تكونُ أَسْمَاءً ونُعُوتًا نُسَرُّه إن شاء الله.

يقولُ أكثرُ العرب: هذه رِيحٌ جَنُوبٌ، وريحٌ شَمَالٌ، وريحٌ دُبُورٌ، فتجعلُ
 جَنُوبًا، وشَمَالًا، ودُبُورًا، وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا قال الأعشى:

لَهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دُبُورًا

(١) قسا: موضعٌ بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد راحته، والخزامي: نوع من العشب، طويل

العيدان، صغير الورق

(٢) ر. «المشنى».

وقال زهير:

مَكْلَلٌ بِأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ رِيحُ شَمَالٍ لُصَاحِي مَائِهِ حُبْكُ^(١)

وقال جرير:

❖ رِيحُ خَرِيقٍ شَمَالٌ أَوْ يَمَانِيَّةٌ ❖

فهذا يكون على النعت أجود، لأنه أوضحه بـ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتاً، لأنها منسوبة، فأما الحريق فهي الشديدة من كل ريح. قال حميد بن ثور:

بِمِثْوَى حَرَامٍ وَالْمِطِيِّ كَأَنَّهُ قَنَّا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ حَارِيقُ

والبليل: الباردة من كل ريح^(٢). وأصل ذلك الشمال.

[لجرير في بني مجاشع]

قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام في كلمة يقول فيها:

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً	تَدْعُو بِأَعْلَى الْأَيْكَتَيْنِ هَدِيلاً
يَالْهَفَ نَفْسِي إِذْ يَغْرُكَ حَبْلُهُمْ	هَلَا اتَّخَذْتَ عَلَى الْقِيُونِ كَفِيلاً
قَالَتْ قَرِيشُ مَا أَدَلَّ مُجَاشِعَا	جَارًا وَأَكْرَمَ ذَا الْقَتِيلِ قَتِيلاً!
أَفْبَعْدَ مَتَرَكِكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ	تَرْجُو الْقِيُونَ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلاً!
أَفَتَى السَّنْدَى وَفَتَى الطَّعَانَ غَرَرْتُمْ	وَأَخَا الشَّمَالِ إِذَا تَهَبَّ بَلِيلاً

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الأنصاري - وكان يبخل - كان^(٣) إذا هبت الصبا طلع من أطمه^(٤) فنظر إلى ناحية هبوبها، ثم يقول لها: هبي هبوبك، فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعاً من عجوة، أدفع إلى الوليد منها خمس تمرات، فيرد علي منها ثلاثاً - أي لصلابتها - بعد جهد ما يلوك منها اثنتين.

(١) مكمل: محاط، وضاحي مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهي الطريقة، يصف ماء أحاط به النبات، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسراً.

(٢) ر. «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الاطم: الحصن بيني بالحجارة.

(من أخبار لييد بن ربيعة)

وكان لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفًا في الجاهلية والإسلام قد نذرَ ألا تَهَبَّ الصَّبَا إِلَّا نَحَرَ وَأَطْعَمَ حَتَّى تَنْقُضَى . فهبت في الإسلام^(١) وهو بالكوفة مُقْتَرٌ مُمْلِقٌ ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان وليها لعثمان بن عفان ، وكان أخاه لأمه ، وأمُّهُمَا أَرْوَى بنت^(٢) كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس^(٣) . وأمُّ أَرْوَى البيضاء بنت عبد المطلب - فخطب الناس وقال : إنكم قد عرفتم نذرَ أبي عقيل ، وما وكَّد علي نفسه ، فَأَعِينُوا أَخَاكُمْ ، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة^(٤) . وَبَعَثَ النَّاسُ ، ففَضَى نَذْرَهُ ، ففي ذلك تقول ابنة لييد :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا^(٥)

(١) ر : «بالإسلام» .

(٢) ر : «ابنة» .

(٣) حاشية الأصل : «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة» .

(٤) زيادات ر : «وأبيات يقول فيها :

أَرَى الْجَزَارَ تُشْحِذُ مَذْيَتَاهُ	إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
طَوِيلُ الْبَاعِ أَيْضُ جَعْفَرِيٌّ	كَرِيمُ الْمَجْدِ كَالسَيْفِ الصَّقِيلِ
وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِمَا لَدَيْهِ	عَلَى الْعِلَالَتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ

فلما أُنْتَه . قال : جزى الله الأمير خيرا . قد عرف الأمير أنى لا أقول شعرا ، ولكن أخرجى يابنية . فخرجت خماسية ، فقال لها : أجيبي الأمير ، فأقبلت وأدبرت .

(٥) بعده في زيادات ر :

طَوِيلُ الْبَاعِ أَيْضُ عَبْشَمِيٍّ	أَعَانَ عَلَى مُوَوَّعَتِهِ لَبِيدَا
بَأَمْثَالِ الْهَضَابِ كَأَنَّ رَكْبَا	عَلَيْهَا مِنْ بَنَى حَامٍ قَعُودَا
أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا	نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا
فَعُدُّ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادُ	وَظَنَى بَابِنَ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا

فقال لها لييد : أحسنت يا بنية . لولا أنك سألت . فقالت : إن الملوك لا يستحي من مسألتهم . فقال لها : يابنية ، وأنت في هذا أشعر» .

وَمَنْ جَعَلَ الشَّمَالَ وَالْجَنُوبَ أَسْمَاءً لَمْ يَصْرِفْهَا إِذَا سَمِيَ بِشَيْءٍ مِنْهَا رَجُلٌ؛
لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعداً لا علامة
للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة، وصرفته في النكرة، نحو عَنَاقٌ، وَأَتَانٌ،
وعقرب. وإن كان نعتاً انصرف، لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً بنعت مؤنث لا
علامة فيه صرفته لأنه مذكر نُعِتَ به المؤنث. نحو حَائِضٌ. وطالِقٌ. ومُتَتِّمٌ.
ومُرْضِعٌ.

وإذا ذكرنا من الباب شيئاً فما لم نذكره منه فعلى مَجْرَاهِ وَمِنْهَاجِهِ، قال
الشاعر، فجعل ما وصفنا أسماءً:

حَالَتْ وَحِيلَ بِهَا وَغَيَّرَ آيَّهَا طُولُ الْبَلَى تَجْرِي بِهِ الرِّيْحَانُ (١)
رِيحُ الشَّمَالِ مَعَ الْجَنُوبِ وَتَارَةً رِهْمُ الرَّبِيعِ وَصَبَائِبُ التَّهْتَانِ (٢)

وقد أنشدوا بيت زهير:

* رِيحُ الْجَنُوبِ لِصَاحِي مَائِهِ حُبُّكُ *

وقولنا: لَا عِلَامَةَ فِيهِ لِلتَّأْنِيثِ لَتَعْرِفَ كَيْفَ حُكْمَ عِلَامَاتِ التَّأْنِيثِ لِأَنَّ ذَلِكَ
إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى ضَرَبَيْنِ:

فما كانت فيه أَلْفُ التَّأْنِيثِ مَقْصُورَةً أَوْ مَمْدُودَةً فَغَيْرُ مَنْصَرَفٍ فِي مَعْرِفَةِ وَلَا
نَكْرَةِ. لَمَذْكَرٍ كَانَ أَوْ مُؤْنِثٍ. فَاَلْمَقْصُورُ نَحْوُ حُبْلَى وَسُكْرَى، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.
وَالْمَمْدُودُ نَحْوُ حَمْرَاءَ، وَصَفْرَاءَ، وَصَحْرَاءَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فإن كانت مَمْدُودَةً لَغَيْرِ التَّأْنِيثِ انْصَرَفَ إِذَا كَانَ لِمَذْكَرٍ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنَّكْرَةِ،
زَائِداً كَانَ أَوْ أَصْلِيًّا، فَالْأَصْلِيُّ نَحْوَ سَقَاءَ، وَغِذَاءَ، وَحِذَاءَ، وَرَدَاءَ - وَالزَّائِدَةُ نَحْوَ
عَلْبَاءَ، وَحَرْبَاءَ، وَقُوبَاءَ، يَافَتَى، وَمَنْ قَالَ: قُوبَاءُ يَافَتَى - أَنْثَى وَلَمْ يَصْرِفْ. لِأَنَّ
الْأَوَى مُلْحَقَةٌ، وَهَذِهِ لِلتَّأْنِيثِ، فَأَمَّا الْأَلْفُ الْمَقْصُورَةُ الَّتِي لَغَيْرِ التَّأْنِيثِ، فَإِنْ كَانَتْ
أَصْلِيَّةً انْصَرَفَتْ فِي الْمَذْكَرِ، نَحْوُ مَلْهَى، وَمَغْزَى، وَمُشْتَرَى.

وإن كانت زَائِدَةً لَغَيْرِ التَّأْنِيثِ انْصَرَفَتْ فِي النَّكْرَةِ. وَلَمْ تَنْصَرَفْ فِي الْمَعْرِفَةِ،
نَحْوَ أَرْطَى، وَعَلَقَى، فَيَمْنُ جَعَلَ الْوَاحِدَةَ عِلْقَاءً.

(١) حالت: أتى عليها حول. حيل بها: أي أحيلت عما كانت عليه. والآي: جمع آية.

(٢) الرهم: جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرفٌ في النكرة، وغيرُ منصرف في المعرفة، لمذكرٍ كان أو مؤنث، عربياً كان أو أعجمياً.
فهذه جملة هذا الباب، فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب (المقتضب).

ويقال^(١) في أكثر الكلام: هَبَّتْ جَنُوبًا، وهَبَّتْ شَمَالًا، فُيَسْتَغْنَى^(٢) عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحال إنما بآبُها أن تقع فيما يكون وصفًا^(٣). قال جرير:

هَبَّتْ شَمَالًا فَذَكَرِي مَا ذَكَرْتُكُمْ عند الصِّفَاةِ إِلَى شَرْقِيٍّ حَوْرَانَا

وقال الآخر:

فَأَيُّ حَيٍّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّة وَاسْتَدْفَأَ الْكَلْبُ بِالْمَأْسُورِ ذِي الذَّنَبِ

المأسور، يعنى قَتَبًا^(٤). وإنما الأَسْرُ الشَّدُّ بالقَدِّ^(٥) حتى يُحَكِّمَ، وإنما قيل الأسيرُ من ذا. لأنه كان يُشَدُّ بالقَدِّ. ثم قالت العرب لكلِّ مُحَكَّمٍ شديد أسير^(٦). قال الله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾^(٧).

وقوله: «ذِي الذَّنَبِ» يعنى الفضول التى وَسَّعَتْه وأَسْبَغَتْه. يُقالُ: غَبِيطٌ مُذَابٌ أى ذو ذَنَبٍ. أى مُوسَعٌ، والغَبِيطُ: مُرَكَّبٌ من مَرَاكِبِ النساء.

[لأوس بن حجر]

وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الأسدى:

وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي قَحُوطٍ إِذَا لَمْ يُرْسَلُوا تَحْتَ عَائِدٍ رُبْعَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُلْتَفَعَا^(٨)

(١) ر «تقول».

(٣) ر «تعتا».

(٥) القد سیر يقدر من حلد غير مدبوغ.

(٦) ر: «شديد الأسر».

(٨) الكميع. الصجيع.

(٢) ر: «فتغنى».

(٤) القتب: رحل على قدر السنام.

(٧) سورة الإنسان ٢٨

وكانت الكاعبُ المنعمُ الحسبُ بناءً في زادِ أهلها سُبُعاً

تحوط، وقحوط، وكحل، وحجرة: أسماءٌ للسنة المجذبة. والعائد: الحديثة التناج، فتتحر أولادها في السنة المجذبة إبقاءً على ألبانها وشحومها. والربيع الذي ينتج في الربيع. والهبع: الذي ينتج في الصيف. يقال: ما له هبع ولا ربع. وإنما سمى: هبعاً. لأن الربع أسن منه فيمشى مع أمهاته^(١). ولا يلحقهن الهبع إلا باجتهاد فيستعين بعنقه في المشى، يقال إذا فعل ذلك: هبع بهبع.

ويقال للريح الشمال: مؤوبة ومُسع، قال الهذلي:

قد حال دون دريسيه مؤوبة نسع لها بعضاه الأرض تهزير^(٢)

الدريسان: ثوبان خلقان. ومؤوبة، مفعلة، من التأويب، وهو سير النهار لا تعريج فيه. قال أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسآد: سير الليل لا تعريس فيه، وأنشد لسلامة بن جندل:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وإنما يعنى ريحاً، وقوله: نسع: أى شمال. والعضاه: شجر ضخام^(٣)، فبعض العرب يقول للواحدة: عضاهة، وللجميع: عضاه. على وزن دجاجة ودجاج، وبعضهم يقول للواحدة: عضه، فيقول فى الجمع عضيات. وعضهات. فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر:

هذا طريق يأزم المآزم وعِضَوَاتُ تقطعُ اللهازم^(٤)

ونظيرُ عِضَةٍ سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب، والواو فى قول بعضهم، تقول فى جمعها سنوات، وسانيت الرجل. وبعضهم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».

(٢) للمتنخل. دبوان الهذليين: ١٦.

(٣) ر: «شجرة ضخمة».

(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهرمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحين.

وهذا الحرفُ في القرآن يُقرأ على ضروب فمن قرأ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ﴾^(١). فوصلَ بالهاء - فهو مأخوذٌ من: سَانَهُتُ. التي هي سُنِيْهَةٌ وَمَنْ جعله من الواو قال في الوصل: ﴿لَمْ يَتَسَنَّ وَأَنْظُرْ﴾^(٢). فإذا وقفَ قال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركة. بمنزلة الهاء في قوله: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(٣) و ﴿كَتَابِيَهْ﴾^(٤). و ﴿حَسَابِيَهْ﴾^(٥). والمعنى واحدٌ. وتأويله: لَمْ تُغَيِّرْهُ السَّنُونُ، ومن لَمْ يَقْصِدْ إِلَى السَّنَةِ، قال: لَمْ يَتَأَسَّنْ. والآسنُ: المتغيِّرُ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٦). ويقال: آسِنٌ في هذا المعنى، كما يقال: رجل حَازِرٌ وحَذِرٌ.

ويقال للريِّح الجنُّوب: النِّعَامَى، قال أبو ذؤيب:
مَرَّتْهُ النِّعَامَى فَلَمْ يَعْتَرَفْ خِلَافُ النِّعَامَى مِنَ الشَّامِ رِيحًا
ومعنى «مَرَّتْهُ» اسْتَدْرَجَتْهُ، وفي الحديث: «ما هَبَّتْ الرِّيحُ الْجَنُوبُ إِلَّا أَسَالَ
اللهُ بِهَا وَادِيًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلاً:
فَتَى خُلِقَتْ أَخْلَاقُهُ مُطْمِئِنَّةً لَهُ نَفَاحَاتُ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ
يريدُ أن الجنوبَ تأتي بالمطر والندى.
والعربُ تكرهُ الدُّبُورَ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «نُصِرْتُ
بِالصَّبَا، وَأَهْلَكْتُ عَادٌ بِالدُّبُورِ».
وقلَّمَا يكون بالدُّبُورِ المطرُ، لأنَّهَا تُجَفِّلُ السَّحَابَ، ويكونُ فيها الرَّهَجُ
والغَبَرَةُ. ولا تهبُّ إلا أقلَّ ذلك إلا بشدة. فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتى على الزُّروع.

[لرجل في الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلاً:

(١) ر' «في قول بعضهم».

(٢) سورة البقرة ٢٥٩

(٣) سورة الحاقة ١٩

(٦) سورة محمد ١٥

(٢) سورة الأنعام ٩٠

(٥) سورة الحاقة ٢٠

لو كنت ريحًا كانت الدُّبُورَا أو كنت غَيِّمًا لم تكن مطِيرَا
أو كنت ماءً لم تكون طهُورَا أو كنت مُخًا كنت مُخَا رِيرَا

❖ أو كنت بَرْدًا كنت زَمَهْرِيرَا ❖

الرَّيْرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌ رَيْرٌ ورَارٌ، فى معنى واحدٍ، وقال السُّلَيْكُ:

❖ يَصِيدُكَ قَافِلَا والمخُّ رَارٌ ❖

وقال آخرُ:

لو كنت ماءً لم تكن بعذب أو كنت سيفًا كنت غير غضب
أو كنت لحمًا كنت لحم كلب أو كنت عيرا كنت غير ندب^(١)

[السُّلَيْكُ يرثى فرسه]

فَأَمَّا قَوْلُ السُّلَيْكِ فَإِنَّهُ يَرثَى فَرَسَهُ . وكان يقال له النَّحَامُ، فقال:

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارُ
على قَرَمَاءَ عَالِيَةٍ شَوَاهُ كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهِ خَمَارُ
وما يُذْرِيكَ مَا فَقُرَى إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا
وَيُحْضِرُ فَوْقَ جَهْدِ الْحُضْرِ نَصًّا يَصِيدُكَ قَافِلَا والمخُّ رَارٌ

قوله:

❖ كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا ❖

المحارة: الصَّدْفَةُ. يريدُ المَلَّاسَةَ، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت. والأصلُ: جمع أصيل، والأصيلُ العَشِيُّ، يقال: أصيلٌ وأصلٌ، مثل: قضيب وقَضْب، وجمع أصلُ آصالٌ. وهو جمعُ الجمع، وتقديره: عُنُقٌ وَأَعْنَاقُ. وَطَنْبٌ وَأَطْنَابٌ. ويقال فى جمع أصيلة أصائل، مثلُ خَلِيفَةٍ وَخَلَائِفَ. قال الأعشى:

❖ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ^(٢) ❖

(١) الندب : الخفيف السريع .

❖ يوما بأطيب منها نشر رائحة ❖

(٢) و صدره .

وقال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ

وقرّماء . ممدودة : اسم موضع . وشوَاه : قوائمه . وقد فسرناه قبلَ هذا .
وقوله : «وَلَوْ أَوْ أَغَارُوا» إذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا . وقوله : «يَصِيدُكَ» أى يَصِيدُ لك
يقال : صَدْتُكَ ظَبْيًا . قال الله عز وجل : «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»^(١) .
أى كَالُوا لَهُمْ ، أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ . يقال : كَلْتُكَ وَوزَنْتُكَ . لأنه قد قال تعالى أولًا :
«إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ»^(٢) .

فأما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهبوب : «اللهم
اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا» ، فإن العرب تقول : لَا تَلْقَحُ السَّحَابُ إِلَّا مِنْ
رياح . وتصديق ذلك قول الله عز وجل : «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا»^(٣) . وقول النبى ﷺ : «إِذَا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَذَاءَبَتْ» قال الشاعر :

تَسُحُّ إِذَا تَذَاءَبَتْ الرِّيَّاحُ *

يقول : إذا تقابلت : يقال : تَذَاءَبَتِ الرِّيَّاحُ ، وتَنَاوَحَتْ ، أى تقابلت ، وتَنَاوَحَ
الشجرُ ، إذا قابلَ بعضه بعضًا ، وإنما سُمِيَتِ النَّائِحَةُ نَائِحَةً لَأَنَّهَا تُقَابِلُ صَاحِبَتَهَا .

فإذا خَلَصَتِ الرِّيْحُ عندهم دُبُورًا فهى من جنس البوار ، وإذا خَلَصَتِ شَمَالًا
شَتْوِيَّةٌ فهى من آيات الجذب . ومن ثمَّ تقولُ العربُ : فَلَا يُطْعَمُ فى الشَّمَالِ ، كما
تقولُ : يُطْعَمُ فى الْمَحَلِ : قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ : «وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيَّاحُ» أى غَلَبَتْهَا ،
فكانت أقوى منها ، فلم تَدَعْ لها موضعًا وقوله : «وَعَزَّنِي فى الْخُطَابِ»^(٤) أى
غَلَبَنِى فى المَخَاطَبَةِ والخصومة ، ومن أمثال العرب : «من عَزَّ بَزٌّ» وتأويله : من غَلَبَ
استلب^(٥) . قالت الخنساء :

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمَى يَتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزَّ بَزًّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العباس : وحدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال : رأيت رجلا من
غَنِيٍّ يُفَاخِرُ رجلا من بنى فزارة . ثمَّ أَحَدَ بَنَى بَدْرَ بن عمرو ، وكان الغنوى متمكنا

(١) سورة المطففين ٣ .

(٢) سورة المطففين ٢ .

(٣) سورة الروم ٤٨ .

(٤) سورة ص ٢٣ .

(٥) ر «سلب» .

من لسانه؛ وكان الفزاريُّ بكياً^(١). فقال^(٢) الغنويُّ: ماؤنا من بين الرِّقَمِ إلى كذا. وهم جيراننا فيه، فنحن أقصرُ منهم رشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لنا ريفُ السُّهولِ ومعاقِلُ الجبالِ، وأرضُهم سَبْخَةٌ، ومياهُهم أَمْلَاحٌ، وأرْشيتُهم طوألٌ، والعربُ^(٣) من عَزَبٍ. فبِعِزَّتنا ما تَخَيَّرنا عليهم، وبِذلِّهم ما رَضُوا مِنَّا^(٤) بالضَّيْمِ.

وقوله: «كان الفزاريُّ بكياً» يقول: غيرَ قادرٍ على الكلام، وأصلُ ذلك في الحَلَبِ، يقالُ: ناقةٌ غَزِيرَةٌ وناقةٌ بَكِيَّةٌ، وهى ضدُّ الغَزِيرَةِ، أى قليلةُ اللبنِ، ودَهِينٌ وصِمْرِدٌ. فى معنى، يقالُ: بَكَاتِ الشاةُ والناقةُ، وبَكَوَتْ. قال الشاعرُ:

فإذا ما حَارَدَتْ أو بَكَوَتْ فُضَّ عَنْ خَاتَمِ أُخْرَى طِينَهَا^(٥)

وقال سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ:

يقولُ: مَحْبِسُهَا أَذْنَى لِمِرْتَعِهَا ولو تَدَاعَى بِبُكَءٍ كُلُّ مَحْلُوبٍ^(٦)

يقولُ: إِنَّ نَحْبِسَ الإِبِلَ عَلَى ضَرٍّْ ونَقَاتِلَ عَنْهَا فهو أَذْنَى بأن تَعَزَّ فترْتَعَ فيما تَسْتَقْبِلُ، وإن ذَهَبَتْ أَلْبَانُهَا، لَأَنَا إِن أَطْرَدْنَاهَا^(٧). وَهَرَبْنَا طَمِعَ فِينَا وَاسْتَدْلَلْنَا، ويقالُ فى الكلام: رَجُلٌ عَيْىٌ بَكِيٌّ.

وقال أبو العباس: وهذا الغنويُّ: إذا قَابِلٌ^(٨) بقبيلته آلَ بَدْرِ فقد أَعْظَمَ الفَرِيَّةَ، وبلغ فى البُهْتِ، وَأَشْمَتَ العَدُوَّ بجمهُورِ قَيْسٍ، وصارَ بهم إلى قول^(٩) الأَخْطَلِ:

وقد سَرَنَى مِنْ قَيْسٍ عَيْلانَ أَننى رأيتُ بنى العَجَلانِ سادوا بنى بَدْرِ

(١) ر: «بكيا». وما أثبتته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبتته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عز بز»، س: «والعرب إذ ذاك من عز بز»، وما أثبتته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقيله:

ولنا باطية مملوءة جونة يتبعها برزيناها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرداء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفث قوائمه، فضرِبَ بهن الأرض كثيراً، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: أمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر «حاول». (٩) ر «إلى ما قال».

وكان زيادٌ يقولُ - وهو الغايةُ في السياسة - أوصيكم بثلاثة: «العالم»^(١)،
والشريف، والشَّيْخ. فوالله لا أوتى بوضيحٍ سَبِّ شريفًا، أو شابٍّ وَثْبَ بشيخ، أو
جاهلٍ امتهن^(٢) عالمًا إلا عاقبتُ وبالغتُ.

[الحمارة بن عقيل يهجو بني أسد]

وقال حمارة لبني أسد بن خزيمة:

يأيُّها السَّائِلِي عَمْدًا لأُخْبِرَهُ	بذاتِ نفسي وأيدى الله فوقَ يدي
إِنْ تَسْتَقِمَّ أَسَدٌ تَرشُدْ وَإِنْ شَغَبَتْ	فَلَا يَلُمُّ لائِمٌ إِلَّا بَنَى أَسَد
إِنِّي رَأَيْتُكُمْ يَعْصِي كَبِيرُكُمْ	وَتَكْنَعُونَ إِلَى ذِي الْفَجْرَةِ النَّكَدِ ^(٣)
فَبَاعَدَ اللَّهُ كُلَّ الْبُعْدِ دَارَكُمْ	وَلَا شَفَاكُمْ مِنَ الْأَضْغَانِ وَالْحَسَدِ

فرأى عصيانهم الكبيرَ من أقبح العيب، وأدله على ضغن بعضهم لبعض.
وحسد^(٤) بعضهم بعضًا. والوضيعُ ينقلبُ إلى الشريف؛ لأنه يرى مُقاولته فخرا،
والاجترأ عليه ربحًا. كما أن مُقاولة الشريف للثيم ذُلٌّ وضعة. قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ قَاوَلْتَ اللَّثِيمَ فَإِنَّمَا	يَكُونُ عَلَيْكَ الْفَضْلُ حِينَ تُقَاوِلُهُ ^(٥)
وَلَسْتَ كَمَنْ يَرْضَى بِمَا غَيْرُهُ الرِّضَا	وَيَمْسَحُ رَأْسَ الذُّبِّ وَالذُّبُّ آكِلُهُ

وسنُشيع هذا المعنى إن شاء الله.

وفي هذا الشعر بيتٌ يُقدِّمُ في باب الفتك. وهو:

فَلَا تَقْرَبَنَّ أَمْرَ الضَّرِيمَةِ بِأَمْرِي	إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَاذِلُهُ
[وَقُلْ لِّلْفُؤَادِ إِنْ تُرَى بِكَ نَزْوَةٌ	مِنَ الرُّوعِ أَفْرَخَ أَكْثَرَ الرُّوعِ بَاطِلُهُ] ^(٦)

الضَّرِيمَةُ: العزيمة.

(١) ر. «العالم» (٢) ر: «امتنح».

(٣) تكنعون تخضعون، والفجرة: الفجور، والنكد: اللثيم.

(٤) ر. «وحسد» بكون السين؛ والصحيح ما أثبتته عن الأصل.

(٥) ر. «يكون عليك العتب».

(٦) ما بين العلامتين من رنادات. وأفرخ، أى أخرج روعك وفرعك.

وقد امتنع قوم من الجواب تنبلاً، ومواضعهم تنبئ عن ذلك، وامتنع قوم عياً
بلا اعتلال. وامتنع قوم عجزاً^(١). واعتلوا بكرهة السّفه، وبعضهم معتل برفعة
نفسه^(٢) عن خصمه، وبعضهم كان يسبُّه الرجل الرّكك من العَشيرة فيُعْرِضُ
عنه^(٣) ويسبُّ سيّد قومه، وكانت الجاهلية ربما فعلته بقى الذُّحول^(٤). قال
الراجز:

إِنَّ بَجِيلاً كَلَّمَا هَجَانِي مَلْتُ عَلَى الْأَغْطَشِ أَوْ أَبَانَ
أَوْ طَلَّحَةَ الْخَيْرِ فَتَى الْفَتَيَانِ أَوْلَاكَ قَوْمٌ شَأْنُهُمْ كَشَانِي
مَا نَلْتُ مَنْ أَعْرَاضِهِمْ كَفَانِي وَإِنْ سَكَتَ عَرَفُوا إِحْسَانِي
وقال أحدُ المحدثين:

إِنِّي إِذَا هَرَّ كَلْبُ الْحَيِّ قُلْتُ لَهُ: اسْلَمْ. وَرَبِّكَ مَخْنُوقٌ عَلَى الْجِرَرِ
قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصف الأول موقوفٌ عليه.
قال الشاعر:

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلِيدُنَا^(٥) الْقِدْرَ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالٍ
الْجِعَالُ: الذي تنزل^(٦) به البرمة، وربما توقيّت به حرارتها.
قال الراجز:

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْخُرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ
وهذا كثير غيرُ معيبٍ.

وفي مثل اختيار النبل لتكافؤ الأغراض^(٧) قول الأخطل:

(١) ر: «عجزوا». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.

(٣) كلمة «عنه» ساقطة من ر.

(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو الثار.

(٥) ر: «وليدها».

(٦) ر: «الذي يوضع فيه البرمة». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٧) ر: «لتكافؤ». وما أثبتته عن الأصل. س.

ولم يشفها قتلى غنى ولا جسر
كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر
لقرت بهم عيني وباء بهم وترى

شفى النفس قتلى من سليم وعامر
ولا جشم شر القبائل إنها
ولو بيني ذبيان بليت رماحنا

وقال رجل من المحدثين. وهو حمدان بن أبان اللاحقي:

لآل معدل يهجو سدوسا
وأهدف عرض والده اللبيسا

أليس من الكبائر أن وغدا
هجا عرضا لهم غضا جديدا

وقال آخر:

واللؤم أكرم من وبر وما وكدا
من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
لا يقتلون بداء غيره أبدا^(١)

اللؤم أكرم من وبر ووالده
قوم إذا جر جاني قومهم أمنوا
اللؤم داء لو بر يقتلون به

وقال رجل من المحدثين^(٢):

والمدح عنك كما علمت جليل
عرض عززت به وأنت ذليل

أما الهجاء فصدق عرضك دونه
فاذهب فأنت طليق^(٣) عرضك إنه

وقال آخر:

ينبئني من موضع نائي
لو بنت للسامع والرائي
حللني قلة أكفائي

نبئت كلبا هاب رمي له
لو كنت من شيء هجوناك أو
فعد عن شتمي فإني امرؤ

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفي الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخر^(١):

فلو أني بليتُ بهاشميٌّ خَوَّلَتْهُ بنو عَبْدِ المَدَانِ
صَبَرْتُ على عداوتهِ ولكنَّ تعالى فانظري بمن ابتلاني

[من أخبار زوى الجلم]

ووقف رجل عليه مَقَطَعَاتٌ على الأحنف بن قيس يسبه - وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف - فجعل لا يألو أن يسبه سباً يغضب، والأحنف مُطْرَقٌ لا يكلمه^(٢). فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعرض إبهامه^(٣) ويقول: يا سَوَاتَاه! والله ما يمنعني من جوابي إلا هوانى عليه!

وفعل ذلك آخر. فأمسك عنه الأحنف، فأكثر الرجل، إلى أن أراد الأحنف القيام للغداء؛ فأقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غداءنا قد حضر فانهض بنا إليه إن شئت، فإنك مُذُ اليوم تحذر بحمل ثفال. والثفال من الإبل: البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث.

وعُدَّتْ على الأحنف سَقَطَةٌ في هذا الباب، وهو أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلاً ليسفه، فقال له: يا أبا بحر^(٤)، ما كان أبوك في قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لم يسدهم، ولم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطن الأحنف أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَةٌ^(٥) يمنح منها ويقرى، ولم يك أهتم سلاحاً^(٦).

(١) زيادات ر: «هو دعيّل».

(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.

(٣) ر: «إبهامه».

(٤) ر: «أبا بحر».

(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.

(٦) السلاح. كثير السلاح. يعرض بأبي عمرو.

وجُعِلَ لرجل ألفُ درهمٍ على أن يسألَ عمرو بن العاص عن أمِّه - ولم تكن في موضعٍ مَرْضَى [إنما كانت من عَنَزَةٍ، ثم من بنى جَلَّانَ]^(١) - فأتاه الرجل، وهو بمصرَ أميراً عليها. فقال: أردت أن أعرفَ أمَّ الأمير، فقال: نعم، كانت [امرأة]^(١)، من عَنَزَةٍ. ثم من بنى جَلَّانَ. تُسَمَّى ليلَى وتلقَّبُ النابغة، اذهب فخذ^(٢) ما جُعِلَ لك.

وقال له مرةً المنذر بن الجارود : أى رجل أنتَ لولا أمُّك! قال: فإنى أحمدُ اللهَ إليك، إنى فكَرْتُ فيها^(٣) البارحة. فأقبلتُ أنقلُها فى قبائلِ العرب. فما خَطَرْتُ لى عبدُ القيس ببال^(٤).

ودخل عمرو مكةَ فرأى قومًا من قريش قد جلسوا حلقَةً، فلما رآوه رَمَوْهُ بأبصارهم، فَعَدَلَ إليهم فقال: أَحْسِبُكُمْ كنتم فى شىء من ذكرى! قالوا: أجل. كنا نُمَثِّلُ^(٥) بينك وبين أخيك هشامَ أيكما أفضل؟ فقال عمرو: إنَّ لهشامَ على أربعة: أمُّه ابنة هشام بن المغيرة، وأمى مَنْ قد عَرَفْتُمْ، وكان أحبَّ إلى أبيه منى، وقد عرفتُم معرفة الوالدِ بالولدِ، وأسلمَ قلبى، واستشهدَ وبقيتُ.

قال أبو العباس: وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه، وإنما نذكر من الشىء وجوهه ونوادره.

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبير كلامًا أقذَعَ له فيه. فأعرضَ الزبيرىُّ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرىُّ علىَّ بن الحسين. فأعرضَ عنه. فقال له الرجل الزبيرى: ما يمنعك من جوابى؟ فقال على: ما منعك من جواب الرجل!

(١) تكملة من الأصل. س.
(٢) ر: «ونخذ».
(٣) ر. «فى هذا».
(٤) ر: «على بال».
(٥) ر «نمئل».

وقد روى قولُ القائل: لو قلتَ واحدةَ سمعتَ عشرًا. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعرُ:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فأجوزُ ثم أقولُ لا يعنيني

وقال رجلٌ لرجلٍ - وسبَّه فلم يلتفتْ إليه -: إياك أعنى. فقال له الرجلُ: وعنك أعرض.

فأما قولُ الشعبيِّ للرجلِ ما قال فمنْ غيرِ هذا الباب، وإنما مخرجهُ الديانةُ. وذلك أن رجلاً سبَّ الشعبيَّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبها إليها. فقال له^(١) الشعبيُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك. وإن كنتَ صادقًا فغفر الله لي.

وقال أبو العباس: قال رجلٌ لأبي بكر الصديق رحمه الله: لأسبِّكَ سبًّا يدخلُ معك قبرك. فقال: معك والله يدخلُ لا معي.

[ويحدثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلاً من أهل الشام دخل المدينة. فقال: رأيت رجلاً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهًا ولا أحسنَ لباسًا ولا أفرهَ مركبًا منه. فسألت عنه. ف قيل لي: الحسنُ بنُ علي بن أبي طالب. فامتلتُ له بغضًا. فصرتُ إليه. فقلتُ: أأنت ابنُ أبي طالب؟ فقال: أنا ابنُ ابنه. فقلتُ له: فيك وبك وبأييك. أسبُّهما. فقال: أحسبك غريبًا! قلتُ: أجل. فقال: إن لنا منزلاً واسعاً، ومعوثةً على الحاجة ومالاً نؤاسي منه. فانطلقتُ وما أجِدُ على وجهِ الأرض أحبَّ إليَّ منه]^(٢).

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ساقطة من ر .

قال أبو العباس: ويتصل بهذا الباب ذكر من رغبَ برجلٍ عن إرث رجلٍ لا يُشَاكِلُه. وولاية رجلٍ لا يشابهُه. قال الشاعر^(١):

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت
هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وما هي إلا كالعروس تنقلت
على رغمها من هاشم في محارب^(٢)

[للفردق، حين ولي ابن هبيرة العراق]

وقال الفرزدق حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزارى بعقب مسلمة بن عبد الملك^(٣):

راحت بمسلمة البغال عشيّة^(٤)
ولقد علمت إذا فزاره أمّرت^(٥)
فأرى الأمور تنكرت أعلامها^(٦)
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله
فارعى فزاره لا هناك المرتع!
أن سوف يطمع في الإمارة أشجع^(٦)
حتى أمية عن فزاره تنزع
وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسرى على عمر بن هبيرة. قال رجل^(٨) من بنى أسد يعجب الفرزدق:

عجب الفرزدق من فزاره أن رأى
عنها أمية بالمشارق تنزع

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عينة الأسدي؛ نسبه أبو تمام إليه في الحماسة ص ١٥١٣ - بشرح المرزوقي.
(٢) قال المرزوقي: شجوها. انتصب على أنه مفعول به. والشاعر يفضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فيها بدلا منه هلال - بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هي في استبدالها إلا كعروس زوجت من بنى هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.

(٣) ديوانه ٥٠٨: «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشام، وولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى». مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٤) الديوان:

«وَمَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرُّكَّابُ مُودَعًا»

(٥) الديوان: «لئن فرارة أمّرت».

(٦) ر «يطمع».

(٧) الديوان:

«إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا»

(٨) نسبها المرصفي إلى إسماعيل بن عمار الأسدي.

فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَزَارَةِ شَجْوَهَا
وَمَلُوكُ خُنْدَفٍ أَسْلَمُونَا لِلْعَدَى^(١)
كَانُوا كَتَارَكَةَ بَنِيهَا جَانِبًا

أَمْرٌ تَضِجُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْزَعُ
فَالْيَوْمَ مِنْ قَسْرٍ تَذُوبٌ وَتَجْزَعُ
لِلَّهِ دَرُّ مَلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ!
سَفَهَا وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتَرْضَعُ

[للفرزدق، أيضًا في هجاء عمرو بن هبيرة]

قال أبو العباس: وكان الفرزدق هجاءً لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق،
وفى ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ بَرٌّ
أَأْطَعْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيَهُ
تَفَهَّقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى
وَلَمْ يَكْ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ

أَمِينٌ لَسْتَ بِالطَّبْعِ الْحَرِيصِ
فَزَارِيًّا أَحَدًا يَدِ الْقَمِيصِ^(٢)
وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكَيَّ قُلُوصِ

قوله: «لست بالطبع الحريص». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهم لشدة طمعه. وإنما أخذ هذا من طبع السيف، يقال: طبع السيف، يا فتى! وهو سيف طبع، إذا ركه الصَّدَأُ حَتَّى يُغَطِّيَ عَلَيْهِ. والمثل من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تغطية وحجاب. يقال: طبع الله على قلب فلان. كما قال جل وعز: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾. هذا الوقف. ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(٣) وكذلك: رين على قلبه، وغين على قلبه؛ فالرَّينُ يكون من أشياء تَأْلَفُ عَلَيْهِ فتغطيه. قال الله جل وعز: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤). وأما «غين على قلبه». فهى غِشَاوَةٌ تعتريه. والغينة: القطعة من الشجر الملتف تُعْطَى ما تحته، قال الشاعر:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتَيِ عُقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةٍ فِي يَوْمٍ غَيْنٍ^(٥)

(١) ر: «ذللتنا للعدى».

(٢) ر: «أأطعمت». وما أثبتته عن الأصل. س.

(٣) سورة البقرة ٧. وفى ر. «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.

(٤) سورة المطففين ١٤.

(٥) نسبة المرسفى إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله.

وقال بعضهم: أرادَ في التفاف من الظُّلْمَة. وقال آخرون: أرادَ في يوم غيم. فأبدل من الميم نوناً. لاجتماع الميم والنون في الغنة. كما يقال للحية: أيم. وأين. واستجارت الشعراءُ أن تجمعَ الميم والنونَ في القوافي. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما في الغنة. قال الراجز:

بُنِيَ إِنْ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ الْمَنْطِقُ اللَّيْنُ وَالطَّعَنُ الْمِ
وقال آخر^(١):

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ مِنِّْي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثُ سِنِّي^(٢)

* لِمِثْلٍ هَذَا وَلَكِدْتَنِي أُمِّي *

والعراقان: البصرة والكوفة. والرافدان: دجلة والفرات.

وقوله: «أَحَدٌ يَدِ الْقَمِيصِ»، الْأَحَدُ: الْخَفِيفُ. قَالَ طَرْفَةُ:

* وَأَتَلَعُ نَهَاضٌ أَحَدًا: مُلْمَلَمٌ *^(٣).

وإنما نَسَبَهُ بِالْخَفَةِ فِي يَدِهِ إِلَى السَّرْقَةِ^(٤).

وقوله: «تَفْهَقَ»، أَيْ امْتَلَأَ مَا لَا^(٥). يُقَالُ: بَثَرَ تَفْهَقُ. وَغَدِيرٌ يَفْهَقُ، إِذَا امْتَلَأَ

مَاءً. قَالَ الرَّاجِزُ:

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ لِلْقَوْمِ اسْتَقُوا وَالْقَوْمُ فِي عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى في مدحه المحلق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب:

نَفَى الدَّمَ عَنْ رَهْطِ الْمَحَلِّ جَفَنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

= فِدَاءُ خَالَتِي وَفِدَا صَدِيقِي وَأَهْلِي كُلُّهُمْ لِبَنِي قُغَيْنِ
فَأَنْتَ حَبَوْتَنِي بِعَنَانٍ طِرْف شَدِيدِ الشَّدَا ذِي بَذَلٍ وَصَوْنِ

(١) نقل المِرْصَفِيُّ عَنْ ابْنِ سَيِّدِهِ. أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ.

(٢) الْبَازِلُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّامِنَةَ. وَطَعَنَ فِي التَّاسِعَةِ. فَإِذَا جَاوَزَ الْبَزُولَ قَبِيلَ بَازِلٍ عَامٍ أَوْ

عَامِينَ؛ وَكَذَلِكَ مَا زَادَ؛ فَإِذَا قِيلَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ فَإِنَّهُ يَرَادُ اسْتِكْمَالُ شَبَابِهِ. قَالَهُ الْمِرْصَفِيُّ.

(٣) رَوَايَةُ الْبَيْتِ بِتَمَامِهِ. كَمَا فِي دِيْوَانِهِ (٥٦ - مَجْمُوعَةُ الْعَقْدِ الثَّمِينِ).

وَأَرَوُعُ نَبَاضٌ أَحَدٌ مُلْمَلَمٌ كَمِرْدَاةٍ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مُصْمَدٍ

(٥) ر: «ماء».

(٤) ر: «السرق».

هكذا فى رواية أبى عبيدة .

وقوله :

ولم يك قبلها راعى مخاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوصِ

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الإبل . ولذلك قال ابن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَّوَتْ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

[للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق :

لعمري لئن نابت فزارة نوبةً لَمَنْ حَدَثَ الْأَيَّامِ تَحْبِسُهَا قَسْرُ
لقد حبس القسرى فى سجن واسط فتى شيطمياً ما ينهنه الزجرُ
فتى لم تربيه النصارى ولم يكن غداءً له لحم الخنازير والخمرُ

قوله : « فتى شيطمياً ^(١) . الشيطمى : الطويل . قال ذو الرمة :

إذا ما رمينا رميةً فى مفازةٍ عَرَّاقِيْبِهَا بِالشَّيْطَمِيِّ المَواشِكِ ^(٢)

يريدُ حادياً يسوقها ، وقوله : « ما ينهنه الزجر » . يقول : ما يحركه .

وقوله : « فتى لم تربيه النصارى » ينبه به على أم خالد ، وكانت نصرانيةً روميةً ، وكان أبوه استلبها فى يوم عيد للروم ، فأولدها خالداً وأسداً ، ولذلك يقول الفرزدق :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهَرَ مَطِيَّةٍ أَتْنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ
وكيف يؤمُّ الناسَ مَنْ كانت أمه تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ !
بنى بيعةً فيها النصارى لأمه وَيَهْدُمُ مَنْ كُفِرَ مَنْارَ الْمَسْجِدِ

وقال :

عليك أمير المؤمنين بخالد بنى بيعةً فيها الصليبُ لأمه
وأصحابه لا طهر الله خالداً وَيَهْدُمُ مَنْ بَغُضِ الصَّلَاةِ الْمَسْجِدَا

(٢) ديوانه ٤٢٦ . والمواشك : السريع .

(١ - ١) ساقط من ر .

وكان سببُ هدمِ خالدِ منارِ المساجدِ حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ أنه بلغه شـ
لرجلٍ من الموالى . موالى الأنصار . وهو :

ليتنى فى المؤذنينَ حَيَاتِي ، إنهم يُبصرونَ مَنْ فى السُّطوحِ
فَيُشِيرُونَ أو تُشِيرُ إليهم بالهُوى كلِّ ذاتٍ دَلَّ مَلِيحِ

فحطَّها عن دُورِ الناسِ . ويُروى عنه فيما رُوى من عتوه أنه استعفى من به
بناها لأُمَّه . فقال للملأ من المسلمين : قَبِحَ اللهُ دينهم ، إن كان شراً من دينكم ! .

[الفرزدق، عند هروبه من سجن ابن هبيرة]

وقال الفرزدقُ لابنِ هُبَيْرَةَ حين^(١) نُقِبَ له السَّجَنُ وهرب ، فسار^(٢) تم
الأرض هو وابنه حتى نَفَذَا^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتَ الأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا ولم يَبْقَ إلا بطنها لك مَخْرَجَ-
دَعَوْتَ الذى ناداه يُونُسُ بَعْدَ مَا ثَوَى فى ثلاثِ مُظْلَمَاتٍ فَفَرَجَ-
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الأَرْضِ قَدْ سَرْتَ سِيرَةً وما سارَ سَارَ مثُلها حينَ أدْلَجَ-
خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ طَلَاقُهُ سوى رَبَدِ التَّقْرِيبِ من نَسْلِ أَعْوَجَ-

فقال ابنُ هُبَيْرَةَ : ما رأيتُ أشرفَ من الفرزدقِ ! هجاني أميراً . ومد-
أسيراً .

قوله : «حيثُ أدْلَجَا» . تقولُ : أدْلَجْتُ ، إذا سَرْتَ فى^(٦) أولِ اللَّـ
وادلَّجْتُ ، إذا سَرْتَ من آخره فى السَّحَرِ . قال زهيرُ :

(١) ر : « حيث » .

(٢) ر : « وسار » .

(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .

(٤) ر : « حيث أدْلَجَا » . وهذه رواية الأصل والديوان .

(٥) ر : الديوان : « من آل أعوجا » .

(٦) ر : « من » .

بُكَرْنَ بُكُورًا وَاذْلَجْنَ بِسُحْرَةٍ فَهِنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وَأَعْوَجُ فَرَسٌ كَانَ لَغْنَى، وَقَالُوا: كَانَ لَبْنِي كِلَاب. وَلَا يُنْكِرُ هَذَا. لِأَنَّ
خَبِيئَةَ^(١) بِنْتِ رِيَّاحِ الْغَنَوِيَّةِ وَلَدَتْ بَغْيَ جَعْفَرِ بْنِ كِلَاب. فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ صَارَ إِلَى
بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ مِنْ غَنَى.

وَالْعَرَبُ تُنْسَبُ الْخَيْلَ الْجِيَادَ إِلَى أَعْوَجَ، وَإِلَى الْوَجِيهِ، وَلاحِقٍ. وَالْغَرَابِ.
وَالْيَحْمُومِ. وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْخَيْلَ مِنَ الْمُتَقَدِّمَاتِ. قَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَا وَسَلَمَى تَخَبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذُّثَابِ^(١)
جَلَبْنَا كُلَّ طَرْفٍ أَعْوَجَى وَسَلَهَبَةٍ كَخَافِيَةِ الْعُقَابِ^(٢)

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى التَّشْبِيهِ الْمَصِيبِ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ:
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلٍ
فَهَذَا فِي ثَبَاتِ اللَّيْلِ وَإِقَامَتِهِ. وَالْمَصَامُ: الْمَقَامُ. وَقِيلَ لِلْمَمْسِكِ عَنْ
الطَّعَامِ: صَائِمٌ، لِثَبَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَيُقَالُ: صَامَ النَّهَارُ إِذَا قَامَتِ الشَّمْسُ. قَالَ
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

فَدَعَهَا وَسَلِ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ دَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

وَقَالَ النَّابِغَةُ:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ الْلُجَمَا

وَالْأَمْرَاسُ: جَمْعُ مَرَسٍ. وَهُوَ الْخَيْلُ. قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ يَرِثِي غَلَامَةً وَيَذْكُرُ
تَعْرِضَهُ لِلْحَرْبِ^(٤):

إِمَّا تُقَارَنُ بِكَ الرَّمَا حُ فَلَا أَبْكِيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ^(٥)

(١) ر: « خبيبة ». وما أثبتته عن الأصل.

(٢) النزائِع: جمع نَزِيعَةٍ، وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه.

(٣) السلْهِيَّة، والسَّلهَبُ أيضا الفرس الطويل.

(٤) ر: « وتعرض للحرب فقتل ».

(٥) ر: « إما تعلق ». وما أثبتته رواية الأصل. س

وقال في ثبات الليل :
 فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بَيِّذْبُلُ
 الْمَغَارُ: الشديدُ الْفَتْلِ. يقال: أَغْرَتُ الْحَبْلَ. إِذَا شَدَدْتَ فَتْلَهُ. وَيَذْبُلُ: جَبَلَ
 بعينه .

وقال أيضاً :
 كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَدَقَّهُ كَبِيرِ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
 أَبَانٌ جَبَلٌ. وهما أَبَانَانِ: أَبَانُ الْأَسْوَدِ. وَأَبَانُ الْأَبْيَضِ، قَالَ الْمُهْلَهْلُ^(١) - وَكَادَ
 نَزَلَ فِي آخِرِ حَرْبِهِمْ - حَرْبِ الْبَسُوسِ - فِي جَنْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُلَّةَ بْنِ جَلْدِ بْنِ
 مَالِكٍ، وَهُوَ مَذْحِجٌ. وَجَنْبٌ حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهِمْ وَضَيْعٌ - فَخُطِبَتْ ابْنَتُهُ وَمُهِرَتْ أَدَمًا
 فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْامْتِنَاعِ، فَزَوَّجَهَا، وَقَالَ:
 أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَاقِمُ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ^(٢)
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ضُرَجٌ مَا أَنْفَ خَاطِبٍ بَدَمَ
 وقوله: «فِي أَفَانِينَ وَدَقَّهُ» يريد ضروباً من ودقه. والودق: المطر. قَالَ النَّبِيُّ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾^(٣).

وقال عامر بن جوين الطائي :
 فَلَا مُزْنَةً وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا
 وقوله :

* كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ *
 يريدُ مُزْمَلًا بَثْيَابِهِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِ
 قْلِيلًا﴾^(٤). وَهُوَ الْمُتَزَمِّلُ. بَثْيَابُهُ^(٥) وَالتَّاءُ مَدْغَمَةٌ فِي الزَّأَى. وَإِنَّمَا وَصَفَ

(١) ر : «مهلهل» .

(٢) الْأَرَاقِمُ : قِبَالٌ مِنْ تَغْلِبَ؛ وَيُرِيدُ بِالْحَبَاءِ هُنَا الْمَهْرَ. وَالْأَدَمُ: الْجِلْدُ.

(٣) سُورَةُ النُّورِ ٤٣ . (٤) سُورَةُ الْمَزْمَلِ ١ ، ٢ .

(٥) سَاقِطَةٌ مِنْ ر .

امرؤ القيس الغيثَ . فقال قومٌ : أراد أنَّ المطرَ قد حَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزَّمِّل .

وقال آخرون : إنما أراد ما كساه المطرُ من خُضرةِ النبات . وكلاهما حسنٌ ، وذكر الودَّع لأن تلك الخضرة من عمله .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فِي الْمُسْتَنِّ مِنْ رَبَابِهِ أَسْنَمَةُ الْأَمَالِ فِي سَحَابِهِ
أَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ السَّحَابَ يُنْبِتُ مَا تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَتَصِيرُ شُحُومُهَا فِي أَسْنَمَتِهَا .
وَالرَّبَابُ سَحَابٌ دُوِينَ الْمُعْظَمِ مِنَ السَّحَابِ ، قَالَ الْمَازِنِيُّ^(١) :
كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوِينَ السَّحَابِ نَعَامٌ يُعَلِّقُ بِالْأَرْجُلِ
وقوله جل وعزَّ : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾^(٢) أى أَعْصِرُ عِنَبًا فَيَصِيرُ إِلَى
هَذِهِ الْحَالِ .

وقال زهيرٌ :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَاطَمِ
الْفَنَاءُ : شَجَرٌ بَعِينُهُ ، يُثْمِرُ ثَمَرًا أَحْمَرَ ثُمَّ يَتَفَرَّقُ فِي هَيْئَةِ النَّبِقِ الصَّغَارِ . فَهَذَا
مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ . وَإِنَّمَا وَصَفَ مَا يَسْقُطُ مِنْ أَنْمَاطِهِنَّ إِذَا نَزَلْنَ .
وَالْعِهْنُ : الصُّوفُ الْمُلَوَّنُ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ . وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَقَالَ : كُلُّ
صُوفٍ عَهْنٌ . وَكَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الْحَتِّمُ الْخَزَفُ الْأَخْضَرُ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
كُلُّ خَزَفٍ حَتِّمٌ . قَالَ الْقُرَشِيُّ^(٣) :
مَنْ مَبْلَغُ الْحَسَنَاءِ أَنَّ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتِّمٍ

(١) نقل المصنفى من الأغاني أنه زهير بن عروة بن جلهمة .

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبه المصنفى إلى النعمان بن عدى بن نضلة .

وقال جرير :

ما فى مقام ديار تغلب مسجداً وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد.

قال الله عز وجل وله المثل الأعلى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^(١). وقال: ﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢). وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين، فى هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورءوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها!

وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٣). وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين^(٤). أحدهما أن شجراً يقال له الأستن^(٥). منكر الصورة يقال لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغة فى قوله:

* تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنْ سُودٍ أَسَافُلُهُ *^(٦).

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم.

والقول الآخر - وهو الذى يسبق إلى القلب - أن الله جلَّ ذكره شنع صورة الشياطين فى قلوب العباد. فكان^(٧) ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة بم تنفّر منه كل نفس.

(١) سورة النور ٣٥ . (٢) سورة الصافات ٦٥ . (٣) سورة يونس ٣٩ .

(٤) ر : «فى ضربين». وما أثبتته عن الأصل . س .

(٥) نقل المصنفى عن أبى حنيفة الدينورى أن الأستن شجر يفشو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبيه بشخوص الناس .

(٦) بقيته :

* مثل الإمام الغواذى تحمل الحزما *

(٧) ر «وكان» .

[حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك]

قال أبو العباس: وحدثت في إسناده متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشاماً^(١):

* والشمس قد صارت كعين الأحول *

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر بطرده. فطرد^(٢). فأقل أبو النجم رجعت. فكان^(٣) يأوي المسجد^(٤)، فأرق هشام^(٥) ذات ليلة فقال لحاجبه: أبغني رجلاً عربياً فصيحاً يحادثني وينشدني. فطلب له ما طلب، فوقف على أبي النجم، فأتى. فلما دخل به إليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: بحيث ألفتني رسلك، قال: فمن كان أبا مثواك؟ قال: رجلين: كلبياً وتغليياً. أتغدي عند أحدهما. وأتعشي عند الآخر. فقال له: مالك من الولد؟ قال: ابتنان. قال: أزوجتهما؟ قال: زوجت إحداهما. قال: فيم أوصيتها؟ قال: قلت لها ليلة أهديتها:

سبي الحماة وابهتي عليها وإن آبت فازدلفي إليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها^(٦) وجددى الحلف به عليها

* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال: أفأوصيتها بغير هذا؟ قال: نعم، قلت:

أوصيت من برة قلباً حراً بالكلب خيراً والحماة شراً
لا تسامي نهكا لها وضراً والحي عميهم بشر طراً
وإن كسوك ذهباً ودراً حتى يروا حلو الحياة مراً

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التي مطلعها.

* الحمد لله العلي الأجل *

(٢) ر: «وكان».

(٣) ر: «أرق هشام ليلة».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «المسجد».

(٦) الود: الودد.

قال هشام : ما هكذا أوصى بعقوب ولده، قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوب، ولا بنتى كولده. قال : فما حال الأخرى؟ قال : قد درجت بين بيوت الحى، وتنفعنا^(١) فى الرسالة والحاجة. قال : فما قلت فيها؟ قال : قلت :

كَأَنَّ ظَلَامَةَ أُخْتِ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّاسُ قَمْلٌ كُلُّهُ وَصُئْبَانُ وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَسِيفَانُ

* فَهَى الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

قال : فقال هشام : يا غلام^(٢)، ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها؟ قال : ها هى عندى، ووزنها خمسمائة. قال : فادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجلي^(٣) ظلامه مكان الخيطين، أفلا تراه قال :

* فَهَى الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ *

وإن لم يره. لما قرّر فى القلوب من نكارتة وشناعته! وقال آخر :

وفى البقل إن لم يدفع الله شره شياطين يعدو بعضهم على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو إنس أو سبع^(٤) أو حية^(٥) يقال له شيطان. وأن قوله : «تَشِيطَنَ» إنما معناه تخبث وتكبر. وقد قال الله جل وعز :

«شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ»^(٥). قال الراجز :

أَبْصَرْتُهَا تَلَّتْهُمْ الثُّغْبَانَا شَيْطَانَةٌ تَزَوَّجَتْ شَيْطَانًا

وقال امرؤ القيس :

أَتَوْعِدُنِي وَالْمُشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَيَّابٍ أَغْوَالِ!

والغول : لم يخبر صادق قط أنه رآها.

ثم نرجع إلى تفسير شعر أبى النجم^(٦) :

(١) ر : «ونعتنا» . (٢) ر : «الحاجيه» .

(٣) ر : «رجل» . (٤) ساقطة من ر .

(٥) سورة الأنعام ١١٢ . (٦) ر : «وأقول أبى النجم» .

قوله: * سبى الحماة وابتهى عليها *

إنما يريد: ابتهىها، فوضع «ابتهى» فى موضع «اكذبى» فمن ثم وصلها بـ «على».

والذى يُستعملُ فى صلة الفعل اللام، لأنها لام الإضافة، تقول: «لزيد ضربتُ» و «لعمرو أكرمتُ» والمعنى: عمراً أكرمتُ، وإنما^(١) تقديره: إكرامى لعمرو. وضربى لزيد. فأجرى الفعل مجرى المصدر، وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدّم المفعول. لأن الفعل إنما يجىء وقد عملت اللام. كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢). وإن أُخّرَ المفعول فهو عربى^(٣) حسن. والقرآن محيطٌ بجميع^(٤) اللغات الفصيحة، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَأَمَرْتُ لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ﴾^(٦): إنما هو: رَدَفَكُمْ. وقال كثير:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سبيل

وحروفُ الخفض يُبدلُ بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع، قال الله جلّ ذكره: ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(٧)، أى «على» ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت «فى». لأنها للوعاء. يقال: «فلان فى النخل». أى قد أحاط به. قال الشاعر^(٨):

هُمُ صَلَّبُوا الْعَبْدَىٰ فِي جَذَعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

وقال الله جلّ وعزّ: ﴿أَمْ لَهُمْ سَلَامٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾^(٩) أى عليه. وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١٠)، أى: بأمر الله. وقال ابن الطُّثَرِيَّة:

(١) ر: «فإنما».

(٢) ر: «فعرى».

(٣) ر: «بكل».

(٤) سورة الزمر ١٢.

(٥) سورة طه ٧١.

(٦) هو سويد بن أبى كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧. وبأجدع. أى بأنف أجدع.

(٧) سورة الطور ٣٨.

(٨) سورة الرعد ١١.

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَعَا
وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَمَّ خَمْسُهَا تَصِلُ وَعَنْ قَيْضٍ بَزِيزَاءٍ مَجْهَلٍ^(١)
أى من عنده .
وقال العامرى^(٢) :

إِذَا رَضِيتُ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رَضَاهَا
وهذا كثيرٌ جداً .

وقوله : * وَإِنْ أَبَتْ فَاذْهَبِي إِلَيْهَا *
يقول : تقرّبي ، ومن ذا سُمِّيتِ المزدلفةُ ، قال العجاج :
نَاجَ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَّفَا طَى اللَّيَالِي زُلْفَا فَزُلْفَا
* سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى أَحْقَوْفَا *
يقال^(٣) : زُلْفَةٌ وَزُلْفٌ . كقولك : غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ .
وقوله : * بِالْكَلبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةَ شَرًّا *
كلامٌ مَعِيبٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُجِيزُهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ^(٤) عَطَفَ عَلَى
عَامِلَيْنِ . عَلَى الْبَاءِ^(٥) وَعَلَى الْفِعْلِ . وَمَنْ قَالَ هَذَا قَالَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فِي الدَّارِ ،
وَالْحُجْرَةِ عَمْرًا .

قال أبو العباس : وكان أبو الحسن الأخفش يراهُ ويقرأُ : * وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصَرِّيفَ

(١) لمراحم العقيلي في وصف القطا ، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال في شرحه : «قال ابن السكيت في قوله :

«من عليه» : من فوقه . يعنى من فوق الفرخ . ومعنى : «تصل» ، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل : «هو القحيف العقيلي» .

(٣) ر : «تقول» .

(٤) ر : «وذلك أنه» .

(٥) ر . «بالباء» .

الرَّيَّاحِ آيَاتٌ^(١). فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدى بن زيد:
 أَكَلْتُ أَمْرِيَّ تَحْسِبِينَ أَمْرًا وِنَارٌ تَوْقَسُ بِاللَّيْلِ نَارًا
 فعطفَ على «كلَّ» وعلى الفعل.
 وأما قوله:

* غَدَتُ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ خَمْسُهَا *
 فالخمسُ: ظمٌّ من أَظْمَأَتْهَا، وهو أن تَرَدَّ ثم تُغَبَّ ثلاثا. ثم تَرَدَّ. فَيُتَدُّ
 بِيَوْمِي وَرَدِّهَا مَعَ ظَمِّهَا. فيقال: خمسٌ، والرَّبعُ كحَمَى الرَّبْعِ.
 وقوله: «تَصِلُ» أَيْ تَسْمَعُ لِأَجْوَاهِهَا صَلِيلًا مِنْ يُبْسِ الْعَطَشِ، يقال: المسمار
 يَصِلُ فِي الْبَابِ إِذَا أَكْرَهَ فِيهِ. قال جريرٌ يَخَاطِبُ الزُّبَيْرَ بِمَرَّتَيْهِ فِي هَجَائِهِ الْفَرَزْدَقُ:
 لَوْ كُنْتَ حِينَ غُرِّتَ بَيْنَ بَيُوتِنَا لَسَمِعْتَ مِنْ وَقَعِ الْحَدِيدِ صَلِيلًا
 ويقال للحمار: المَصْلَصِلُ. إِذَا أَخْرَجَ صَوْتَهُ مِنْ جَوْفِهِ حَادًّا خَفِيًّا.
 قال الأَعَشِيُّ:

عَنْتَرِيسَ تَعْدُو إِذَا حُرِّكَ السَّوُّ طُ كَعَدُو الْمَصْلَصِلِ الْجَوَّالِ^(٢)

وقال المفسرون فى قوله عز و جل: «مَنْ صَلَّيَا مِنْ حَمًا مَسْنُونًا»^(٣).
 قالوا^(٤): هو الطين الذى قد جَفَّ، فَإِذَا قَرَعَهُ شَيْءٌ كَانَ لَهُ صَلِيلٌ. وتفسيرُ ذلك
 عند العربِ التَّقْنُ^(٥) الذى يَذْهَبُ عَنْهُ الْمَاءُ فِي الْغَدْرَانِ فَيَتَشَقَّقُ ثُمَّ يَبْسُ.
 والقَيْضُ: قَشْرُ الْبَيْضَةِ^(٦) الْأَعْلَى، وَالَّذِى يَلْبَسُ الْبَيْضَةَ فَيَكُونُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ
 قَشْرِهَا الْأَعْلَى. يقال له: الْغَرَقِيُّ. يقال: ثَوْبٌ كَأَنَّهُ غَرَقِيٌّ الْبَيْضُ^(٧).
 وَالزَّيْزَاءُ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ: وَهُوَ مَمْدُودٌ مَنْصَرَفٌ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالنَّكْرَةِ، إِذَا
 كَانَ لِمَذْكُرٍ. كَالْعَلْبَاءِ وَالْحَرْبَاءِ، وَسَنَذْكُرُ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مُفَسَّرًا، عَلَى أَنَّا
 قَدْ اسْتَقْصَيْنَاهُ فِي الْكِتَابِ (الْمُقْتَضَبِ).

(١) سورة الجاثية ٥ . بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشف ٤ : ٢٢٥ .

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عنتريس: صلبة قوية، أخذه بالعرندسة. إذا أخذه بالجفاء والغلظ، والمصلصل: الصافى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦ . (٣) ر: «قال». (٥) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء .

(٦) ر: «البیض». (٧) ر: «بیض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التي يُجْهَلُ فيها، فلا يُهْتَدَى لسبيلها.
ويقال للشئ إذا غَبَّ وتغيرت رائحته. صَلَّ وأَصَلَ. فهو صَالٌ ومُصَلٌّ
ويقال: نَتَنَ وأنْتَنَ. ويقال: خَمَّ وأَخَمَّ. وذلك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا
عَتَقَ اللحم فتغير: خَنَزَ وخَزَنَ. وبيت طَرْفَة أحسن ما يُنْشَدُ:
ثم لا يَخْنَزُ فينا لَحْمُهَا إنما يَخْنَزُ لَحْمُ المَدَّخِرِ
ويقال لرب البيت وربَّ البيت اللَّذِينَ ينزل بهما الضَّيْفُ: هي أُمُّ مَثْوَاهُ. وهو
أبو مَثْوَاهُ. وأنشد أبو عُبَيْدَةَ:
مِنْ أُمِّ مَثْوَى كَرِيمٍ قَدْ نَزَلَتْ بِهَا إِنَّ الكَرِيمَ عَلَى عِيَالَتِهِ يَسْعُ
وفى كتاب الله جل وعزَّ: ﴿أَكْرَمَى مَثْوَاهُ﴾ معناه عند العربِ إضافته.

ومن التشبيه المطرد على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيْرِ الناقةِ وحركة
قوائمها، قال الراجزُ:
كَأَنَهَا لَيْلَةَ غَبِّ الْأَزْرَقِ وَقَدْ مَدَدْنَا بِاعِهَا لِلْسُّوقِ
* خَرَقَاءُ بَيْنَ السَّلَمِينَ تَرْتَقَى *
قوله: «لَيْلَةَ غَبِّ الْأَزْرَقِ»، إنما يعنى موضعاً، وأَحْسِبُهُ مَاءً، لأنهم يقولون:
نَطْفَةُ زَرْقَاءُ. وهى الصافية، قال زهير:
فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ^(١)
وقال آخرُ:
فَأُلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخِيَمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقٍ مُحَافِرُ
وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوقِ

(١) ديوانه ١٣ : الحمام: ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمعة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين
حضرُوا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندها في^(١) السير. يقال: تَبَوَّعَتْ وَاِنْبَاعَتْ، إِذَا مَدَّتْ بِاعَهَا.

وقوله: خرقاءُ بين السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي

يقول: لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود.

وقال الآخر:

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفَجَّعَ تَبْكِي بِشَجْوٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ^(٢)

وقال الشماخُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ
بَهَا شَرْقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ
تَقُولُ وَقَدْ بَلَ الدُّمُوعُ خُمَارَهَا
كَأَنَّ بِذَفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ
كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوْتَقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا
بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْذَرَ^(٣)
فِرَاشُ بْنُ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطُ بْنُ يَعْمَرَ^(٤)
أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْمُحْبِرَ^(٥)
أَبَى عَفْتَى وَمَنْصَبِي أَنْ أُعْيِرَا
أَكْفُ رَجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبِرَا
إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمِ بِنَائِيهِ ظَفَّرَا

شبه يديها يدي مُدَلَّةٍ بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها. فوصف جمالها الذي به تُدلُّ؛ وَمَنْصَبُهَا المتصل بمن ذكَّرتُه.

وقوله :

✽ أطارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْمُحْبِرَا ✽

(١) ر : «من السير». (٢) ر : «لشجو».

(٣) ديوانه ٢٩ . قال في شرح الديوان: شبه ذراعها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أي في عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس.

(٤) قال في شرح الديوان: «البيص: جمع بيضاء . وهي نقية العرض من الدنس . والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب . ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أي أنها شريفة النسب. فهي لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشرق: الضمخ. وأطار: رمت. والمحبر: المزين. أي أنها مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هي مُدَلَّةٌ بجمالها. فلا تَخْتَمِرِ فَتَسْتَرِ شَيْئًا عن الناظر. لأنها تَبْتَهَجُ بكل ما في وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول:

فلما تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وَجُوهَ زَهَاها الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّنَا
تَبَّالَهْنَ بِالْعَرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي وَقَلْنِ امْرُؤٌ بَاغٌ أَكَلٌ فَأَوْضَعَا
وَقَرَيْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَقْتَلِ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسْنِ إصْبَعَا
[فَقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ وَيَحْكُ إِغْمَا ضَرَرْتُ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا] (١)

قوله:

كَأَنَّ ذِفْرَاهَا مَنَادِيلُ فَارَقَتْ أَكُفَّ رِحَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا (٢)
يقول: لسَوَادِ الذَّفَرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ:
كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعْقَدًا أَوْ عَيْنِيَّةً عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا مِنَ اللَّيْتِ وَاكِفُ (٣)
وهذا معنى يُسألُ عنه لأن اللَّيْتَيْنِ صَفْحَتَا الْعُنُقِ. وَالذَّفَرَى فِي أَعْلَى الْقَفَا،
فَكَيْفَ يَكْفُ عَلَى الذَّفَرَى مِنَ اللَّيْتِ! وَالْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعْقَدًا أَوْ عَيْنِيَّةً
وَاكِفٌ عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا.

وقوله: «من الليت» كقولك: كموضع دجلة من بغداد، إنما هو للحدِّ
بينهما، لا أنه وكَفَ من شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ.

وأما قوله:

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرَضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمِ بَنَابِيَهَ ظَفَّرَا (٤)
يقول: لَيْسَتْ تَسْتَقِرُّ. فَكَأَنَّ ابْنَ آوَى يَكْلِمُهَا بَنَابِيَهَ أَوْ يَخْلِبُهَا بِظَفَرِهِ. فَهِيَ
لَا تَسْتَقِرُّ. وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرَ:

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٢) الذفري: من نصف المخذ إلى أصول الأذنين. وقارفت: قاربت. وبعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه.
(من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعينية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر: أصابها بأظافيره..

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا تَحْتَ غَرَضَتِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنْزِيرُ^(١)
وَالْغَرَضُ وَالْغُرُضَةُ وَاحِدٌ. وَهُوَ حَزَامُ الرَّحْلِ.

وَقَالَ آخَرُ:

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ مُفَجَّعَةٌ لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنْ عَفْرِ^(٢)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَفْرَغَتْ فِي حَدِيثِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى

[قال أبو العباس: أنشدنيهما عبد الصمد بن المعدل. وأنشدني سعيدي بن سلم^(٣). ولو قيل إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان ذلك بعيداً. وصَفَّها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجَّعَتْ بما أَسْمَعْتُ ونيل منها؛ ولقيتْ خَلَائِلَهَا بعدَ زمان. وتلك الشكوى كامنة فيها. وأصغينَ لها فتسمعن^(٤).]

وَالْفَرَى: الشَّقُّ. يُقَالُ: فَرَى أَوْدَاجَهُ، أَيْ قَطَعَ، وَفَرَيْتُ الْأَدِيمَ. وَإِذَا قُلْتَ: أَفَرَيْتُ. فَمَعْنَاهُ أَصْلَحْتُ. وَقَوْلُ الْحَجَّاجِ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَهَمُّ إِلَّا مَضَيْتُ وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ. يَقُولُ: إِذَا قَدَّرْتُ قَطْعْتُ. يُقَالُ: فَرَيْتُ الْقُرْبَةَ وَالْمَزَادَةَ، فَهُمَا مَفْرِيَّتَانِ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ^(٥):

كأنه من كُلِّ مَفْرِيةٍ سَرَبٌ

وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَّتْ رِجْلُهَا حَذَفُ أَعْسَرَ^(٦)

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللاتي أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٤) ر: «إليها يتسمعن».

(٥) ديوانه؛ وصدره:

«ما بال عينك منها الماء ينسكب»

والكلبي: جمع كلية؛ وهي رقعة تكون في أصل عروة المزادة. ومفريّة: مقطوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤؛ قال في شرحه: «يقول: إذا سارت فرقت الحصى إلى كل جهة لشدة سيرها، وشبه فعلها ذلك برمي الأعسر؛ وهو الذى يرمى برجله اليسرى. وحصه لأن رميه لا يذهب مستمكاً. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقة ورمت به. والحذف: بالحصى وبحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الحذف. بالحاء غير معجمة.

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرَوْ حِينَ تُشَدُّهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يَتَّقَدُنْ بَعْبَقْرًا^(١)
 قوله: «خَذَفُ أَعْسَرًا» يريد أنه يذهب على غير قصد. وقوله: «صَلِيلُ
 زَيْوْفٍ» يقال: إن الزائف^(٢) شديد الصوت صَافِيه.

وقال آخر:
 كَأَنَّ يَدَيْهَا يَدَا مَاتِحٍ^(٣) أتى يوم ورد لغب زُرُودا
 يخافُ الْعِقَابَ وَفِي نَفْسِهِ إذا هو أَنَهَلَ إِلَّا يَعُودا
 يقول: هذا الساقى يخافُ العقابَ إن قَصَرَ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانية، فهو
 يستسقى^(٤) سقية في مرة واحدة.

وقد أكثرُوا في هذا. فمن الإفراطِ في السرعة قولُ ذِي الرُّمَّةِ:
 كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ
 يقال: عَفْرِيتٌ وعَفْرِيةٌ في معنى واحد. والتاء في «عَفْرِيتٌ» زائدة. وهو
 ملحَقٌ بـ «قَنْدِيلٍ». يقال: فلانٌ [عَفْرِيةٌ زَبْنِيَّةٌ، والزَبْنِيَّةُ: المنكَّر، وجمعه زَبَانِيَّةٌ.
 وأصله من الحركة. يقال: زَبَنَهُ، إِذَا دَفَعَهُ، ويقال]^(٥): عَفْرِيةٌ نَفْرِيةٌ، على التوكيد.
 [وعَفْرِيتٌ نَفْرِيتٌ. ويقال: عَفَارِيَّةٌ، ولم يَتَّبِعْ بُنْفَارِيَّةً]^(٦).

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْيَّةِ:

(١) قال في شرح الديوان: «شبه صوت الحجارة إذا رمت بها ووقع بعضها على بعض بصوت الدراهم
 الزيوف؛ إذا انتقدتها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها
 أشد من صوت غيرها لكثرة نحاسها، والصليل: الصوت. والمرو. الحجارة. ومعنى «تشده» تفرقه.
 وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر «الزيف».

(٣) الماتح. المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرْتَ يَوْمًا بِمَوْخِرِ عَيْنِهَا إلى عَلمٍ بِالْغَوْرِ قَالَتْ لَهُ ابْعَدِ
ومن الإفراط قوله :
بأَرْضٍ تَرَى فَرْخَ الْحَبَارَى كَأَنَّهُ بها رَاكِبٌ مُوفٍ عَلَى ظَهَرِ قَرْدَدٍ^(١)
ومن ذلك قوله :
وَكَادَتْ عَلَى الْأَطْوَاءِ أَطْوَاءَ ضَارِجٍ تساقِطُنِي وَالرَّحْلَ مِنْ صَوْتِ هُذَهِدٍ
وقال آخر :
مَرْوَحٌ بِرَجْلَيْهَا إِذَا هِيَ هَجَّرتُ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زَمَامُهَا
وقال الشَّماخُ :
مَرْوَحٌ تَغْتَلَى فِي الْبَيْدِ حَرْفٌ تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ رَأْيِ الْقَطِيعِ
وكذلك الأعرابيُّ الذي يقول :

* لو تُرْسِلُ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا *

وقد مضى خبره .

وَأَمْلَحُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَأَجْوَدُهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرَ فِي وَكُنَاتِهَا بَمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ
فَجَعَلَهُ لِلْوَحْشِ كَالْقَيْدِ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا نَظَرَ إِلَى ظَبْيَةٍ تَرُودُ فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ : أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ؟
قال : نعم ، قال : فَأَعْطَنِي أَرْبَعَ دَرَاهِمَ حَتَّى أَرُدَّهَا إِلَيْكَ . ففعل . فخرجَ يَمُحَصُّ^(٢)
فِي إِثْرِهَا . فَجَدَّتْ وَجَدًّا ، حَتَّى أَخَذَ بِقَرْنَيْهَا . فَجَاءَ بِهَا وَهُوَ يَقُولُ :
وَهِيَ عَلَى الْبُعْدِ تُلَوَّى خَدَّهَا تُرِيغُ شَدَى وَأُرِيغُ شَدَّهَا
* كَيْفَ تَرَى عَدُوَّ غَلَامٍ رَدَّهَا *

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال : محص الظى فى عدوه بمحص محصا : أسرع وعدا عدوا شديدا ، وفى ر " يفحص " .

قال أبو العباس: ومن حُلِّو التشبيه وقريبه، وصريح الكلام وبليغه^(١) قولُ
ذِي الرُّمَّةِ :

ورَمَلِي كَأَوْرَاكِ الْعَدَارَى قَطَعْتُهُ وَقَدْ جَلَلْتُهُ الْمَظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ^(٢)
الْحَنَدَسُ: اشتداد الظُّلْمَةِ، وهو توكيدٌ لها، يقال: لَيْلٌ حَنَدَسٌ. وَلَيْلٌ أَلِيلٌ.
كما يقال: لَيْلٌ^(٣) مُظْلِمٌ.

وقال الشَّماخُ في صفة الفَرَسِ :
مُفِجٌ الْحَوَامِي عَنْ نُسُورٍ كَأَنَّهَا نَوَى الْقَسْبِ تَرَّتْ عَنْ جَرِيمٍ مُلْجَلِجٍ
قوله: «مُفِجٌ الْحَوَامِي» يريد مُفَرِّقُ الْحَوَامِي. فالحوامى: نواحي الحافر.
والنُّسُورُ. واحدها نَسْرٌ. وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحافر. وَيُحَمَّدُ الْفَرَسَ إِذَا صَلَبَ
ذلك منه، ولذلك شَبَّهَ بَنَوَى الْقَسْبِ^(٤). وَتَرَّتْ: سَقَطَتْ. وَالْجَرِيمُ: الْمَصْرُومُ.
وَالْمُلْجَلِجُ: الذى قد لُجِلَجَ مَضْغًا فى الفم ثم قُذِفَ لصلابته.

وقوله: «مُفِجٌ» ليس يريد الذى هو شديد التَّفَرُّقَةِ. ولكن الانفصال عن
النَّسْرِ. فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلُه فذلك الرَّحْحُ^(٥). وهو مذمومٌ فى الخيل.
وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قِيلَ له: مُضْطَرٌّ. وكان عِيًّا قَبِيحًا. قال حُمَيْدُ الْأَرْقَطُ:
لا رَححَ فِيهَا وَلَا اضْطِرَارَ وَلَمْ يَقْلِبْ أَرْضَهَا الْبَيْطَارُ^(٦)

[* وَلَا لِحَبْلِيهِ بِهَا حَبَارٌ *]

الحبار: الأثر^(٧). ويروى: «ولم يقلم»^(٨). وتأويل ذلك: أن حوافرها

(١) ساقطة من ر .

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العدارى. جللته: لبسته. الحنادس. اللبالي المظلمة. والحنَدَسُ: الظلام.
(من شرح الديوان).

(٣) ر . «وليل أليل مظلم». س : «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبتته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس بتفتت فى الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انسائط الحافر فى رقة.

(٦) ر . «ولم يقلم»

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٨) «ولم يقلم».

لا تَتَشَعَّثُ فَيَقْلَمُهَا الْبَيْطَارُ . لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيءٍ فَمَحَقَهَا . وقال علقمةُ بن عبدة :

لا فى شظاها ولا أرساغها عنتٌ ولا السَّنايكُ أفناهن تَقْلِيمٌ^(١)

وإنما يُحَمَّدُ الحافرُ الْمُقَعَّبُ . وهو الذى هَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ الْقَعْبِ . وإن كان كذلك قيلَ : حافرٌ وأبٌ^(٢) . قال ابن الخرع^(٣) :

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الْوَكِيدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيهِ مَخَاراً يريدُ : لو دخل الْفَأْرُ فِيهِ لَصَلَحَ . كقول القائل : فَأَتَى بَجْفَنَةٍ يَقْعُدُ عَلَيْهَا عَشْرَةٌ . أى لو قَعَدَ عَلَيْهَا عَشْرَةٌ لَصَلَحَ . وقال الراجزُ :

❖ وَأَبٌ حَمَتْ نُسُورُهُ الْأَوْقَارَا ❖

[يقال : حافرٌ مَوْقُورٌ . وهو أن يُصَيِّبَهُ دَاءٌ يُشَبِّهُ الرَّهْصَةَ]^(٤) وفى كلِّ حافرٍ حاميتان . وهما حرفاهُ من^(٥) عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ . ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ . ومؤخَرُهُ الدَّابِرَةُ . ومثل قوله : «عن جريم ملجج» قولُ علقمةُ بن عبدة :

سُلَاةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ مَعْجُومٌ^(٦) شَبَّهَهَا بِالشُّوْكَةِ مِنْ شَوْكِ النَّخْلِ ؛ لأنَّ الْفَرَسَ الْأُنْثَى يُحَمَّدُ مِنْهَا أَنْ يَدُقَّ صَدْرُهَا ثُمَّ يَنْخَرُطُ عَلَى امْتِلَاءٍ إِلَى مُؤَخَّرِهَا . وَالْحَمَامُ يُحَمَّدُ مِنْهُنَّ أَنْ يَعْرِضَ الصَّدْرُ ثُمَّ يَنْخَرُطُ إِلَى ذَنْبِهِ ضُمُورًا . فيقال فى صفته : كأنه جَلَمٌ . وقوله : «كعصا النهدي» . يريدُ فى الصَّلابة . كما قال :

❖ وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَالْهَرَاوَةِ صِلْدِمٌ ❖

وقوله : «ذو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ» يقول : ذُو رَجْعَةٍ . يقول : مَضَعْتُهُ الْإِبْلُ فَلَمْ

(١) رواية المفضليات ٤٠٣ : «ولا أرساغها عتب» ؛ والعتب : العيب . والشظى : عظم لاصق بالركبة . والسنايك : مقادير الخوافر ؛ يقول : هى وافية السبك لم تأكله الأرض .

(٢) حافر وأب : صلب قوى .

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع . من بنى تيم من عبد مناة .

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر .

(٥) ساقطة من ر .

(٦) السلاءة : شوكة النخل .

تَكْسِرُهُ ثُمَّ بَعَرْتُهُ صَحَاحًا. ومعجومٌ: ممضوغٌ. يقال: عَجَمْتُهُ أَعْجَمْتُهُ عَجْمًا^(١) إذا مضغته. فالعجم، ويقال للنوى من كل شيء: العجم، متحرك الجيم^(٢). قال الأعشى:

﴿ وَجُدَعَانُهَا كَلْقِيطِ الْعَجَمِ ﴾

وقال النابغة:

وِظْلٌ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
ومثل البيت الأول قول عُقْبَةَ بْنِ سَبْقٍ الْعَنْزِيَّةِ:
لَهُ بَيْنَ حَوَاشِيهِ نُسُورٌ كَنَوَى الْقَسْبِ
فهذا تشبيه مقارب جدًا.

ومن التشبيه الحسن قول الشاعر^(٣):
كَأَنَّ الْمَتْنَ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ
يريدُ سهمًا رُمِيَ بِهِ فَأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ دُمُهَا. والمتن: متن السهم
وشرخ كل شيء: حده. فَأَرَادَ شَرَّخَى الْفَوْقَ. وهما حرفاه. والمشيح: اختلا،
الدم بالنطفة. هذا أصله. قال الشماخ:
طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَّةٍ لَوْ قَتَ عَلَى مَشِيحٍ سُلَالَتِهِ مَهِينٌ
وقال الله جل وعز: ﴿مَنْ نُطْفَأَ أَمْشَاجُ نَبْتَيْهِ﴾^(٤). وفي الحديث: «اقتل
مَسَّانَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ»^(٥). أي الشَّابَّ، لأن الشرخ الحد. قال حسد
ابن ثابت:

(١) ساقطة من ر. وهى فى الأصل . س . (٢) ر : «العين» وهما بمعنى .
(٣) فى رِيَادَاتِ ر : «هو الشماخ». والبيت ليس فى ديوانه ؛ وهو لعمر بن الداحل الهذلى ؛ ديوان هذا
١٠٤٠٣ ، وروايته .

كَأَنَّ الرِّيشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ

وهو أيضا بهذه الرواية فى ١٢٠ ١٩٥٠ من غير نسبة

(٤) سورة الإنسان

(٥) أوردته ابن الأثير فى النهاية ٢٠٠ ٢١٠ . وقال فى شرحه : «أراد بالشيوخ الرجال، المسَّان هو هل
والعو» على القفال . ولم يرد الهرمى والشرخ الصغار الذين لم يدركوا

إِنَّ شَرْخَ الشَّابَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَأَنشَدْنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ. قَالَ: أَنشَدْنَا شَعْبَةَ. قَالَ:
 أَنشَدْنَا سَمْرَأَ بْنَ حَرْبٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ:
 إِنَّ شَرْخَ الشَّابَابِ تَأْلَفُهُ الْبَيْضُ وَشَيْبُ الْقِدَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ
 فَأَمَّا قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ:
 كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبْلَتْ
 فَإِنَّمَا أَرَادَ شِدَّةَ اسْتِحْيَائِهَا. يَقُولُ: لَا تَرْفَعُ رَأْسَهَا، كَأَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئًا فِي
 الْأَرْضِ.

وَالنَّسِيُّ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا مَا تَقَادِمُ عَهْدُهُ حَتَّى يُنْسَى. وَالْآخَرُ مَا أَضْلَهُ
 أَهْلُهُ فَيَطْلُبُ وَيُطْمَعُ فِيهِ. وَتَقْصُهُ: تَتَّبِعُهُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ
 قُصِّيه﴾ (١) أَيْ اتَّبِعِي أَثَرَهُ؛ وَالْأَمُّ: الْقَصْدُ.

وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبْلَتْ»: تَقْطَعُ الْحَدِيثَ لَاسْتِحْيَائِهَا.

وَأَنشَدَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ الْأَعْمَى قَوْلَ كَثِيرٍ: ﴿

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ زُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأُكْفِ تَلِينَ (٢)

قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُ أَبُو صَخْرٍ! جَلَعَهَا عَصَا. ثُمَّ يَعْتَذِرُ لَهَا! وَاللَّهُ لَوْ جَعَلَهَا عَصَا
 مِنْ مَخْ (٣) أَوْ زَيْدٍ لَكَانَ قَدْ هَجَّنَهَا بِالْعَصَا. أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ:

وَبَيْضَاءُ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قَطَعَ الْجَنَانُ
 إِذَا قَامَتْ لِسُبْحَتِهَا تَشْتُ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانٍ (٤)

وَالْخَيْرُ زُرَانَةُ: كُلُّ غُصْنٍ لَيْنٍ يَتَشَنَّى. وَيُقَالُ لِلْمُرْدِيِّ: خَيْرُ زُرَانَةٍ؛ إِذَا كَانَ يَتَشَنَّى
 إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ. قَالَ النَّابِغَةُ:

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء يتقصوننا وتطمع فينا ألن وعيون

(٣) ر : «من مخ» .

(٤) السبعة : صلاة النافلة .

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مَعْتَصِمًا^(١) بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ^(٢)
الْإَيْنُ: الْإِعْيَاءُ. وَالنَّجْدُ: الْعَرَقُ^(٣).

وقد عاب بعض الناس قول كثير:

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْخَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمَجُّ النَّدى جَشَجَاثُهَا وَعَرَارُهَا^(٤)
بِمُنْخَرَقٍ مِنْ بَطْنٍ وَادٍ كَأَنَّمَا تَلَاقَتْ بِهِ عَطَّارَةٌ وَتَجَارُهَا
بَاطِيبٍ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

وحكى الزبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكَثِيرٍ فَسَقَلَتْ: أَأَنْتَ الْقَائِلُ هَذِينَ
الْبَيْتَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَضَّ اللَّهُ فَالَكُ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَنْجِيَّةً بَخَرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلٍ
رَطْبٍ أَمَا كَانَتْ تَطِيبُ! أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ^(٥) امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ^(٦)

قوله: «جَشَجَاثُهَا وَعَرَارُهَا» الجَشَجَاثُ: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار
البقل؛ قال جرير يهجو خالد عيين العبدى:

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا خُلَيْدُ وَخَالَةٌ خُضِرُ نَوَاجِذِهَا مِنَ الْكُرَاثِ
نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فَطَابَ لِرِيحِهَا وَنَأَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجَشَجَاثِ

وإنما هجاه بالْكُرَاثِ لأن عبد القيس يسكنون الْبَحْرَيْنِ. وَالْكُرَاثُ من
أَطْعِمَتِهِمْ. وَالْعَامَّةُ يُسَمُّونَهُ الرِّكْلَ وَالرَّكَّالَ. قَالَ أَحَدُ الْعَبْدِيِّينَ:

أَلَا حَبْدَا الْإِحْسَا وَطِيبُ تَرَابِهَا وَرَكَالُهَا غَادٍ عَلَيْنَا وَرَائِحُ^(٧)

(١) ر . «معتصما»؛ وما أثبتته رواية الأصل والديوان .

(٢) الملاح . صاحب السفينة . والخيزرانة : السكان؛ وهو ذنب السفينة .

(٣) النجد : العرق والكرب .

(٤) الخزن : موضع لبنى يربوع ، فيه رياض كثيرة .

(٥) ساقطه من ر (٦) قبله .

حلبلى مُرًّا بى عَلَى أُمِّ حُنْدَبٍ لِنَقْضِ لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ

انظر تفصيل الخبر فى الأغاني ١٤ - ٥٧ طبعة الساسى . والموشح للمزباني ١٥١ - ١٥٣ .

(٧) الإحسا . مدينة بالبحرين .

وقولٌ كثير: «عَرَّارُهَا» فالعَرَّارُ البَهَّارُ البَرِّيُّ. وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طَيِّبُ
الريِّح. قال الأعشى:

بَيْضَاءُ ضَحَوَتْهَا وَصَفُّ ——— راء العَشِيَّةِ كالعَرَّارَةِ (١)

وقوله: «مَوْهِنًا» يريد بعد هدى من الليل (٢). يقال: أَتَانَا بعد هدى من
الليل. وبعد وَهْنٍ مِنَ اللَّيْلِ (٣). أَيْ بعد دخولنا فى الليل. وأنشد أبو زيد:

هَبَّتْ تَلَوْمُكَ بعد وَهْنٍ فى النَّدى بَسَلٌ عَلَيْكَ ملامِتي و عِتابي
والمندلُ: العودُ. يقال له: المندلُ والمندليُّ. قال الشاعر (٤):

أَمِنْ زَيْنَبَ ذِي النَّارِ قَبِيلُ الصَّبْحِ ما تَخْبُو
إِذَا ما خَمَدَتْ يُلقَى عَلَيْهَا المندلُ الرطْبُ

قال أبو العباس: «ذى» معناه «ذه» يقال: ذَا عَبْدُ اللَّهِ، وذى أمةُ الله. وذو أمةُ
الله. وتَهْ أمةُ الله. وتَا أمةُ الله؛ فإذا قلت: هذا عبدُ الله: فالاسمُ «ذا» و «ها»
للتنبيه. وعلى هذا القول (٥): هذى أمةُ الله [وهذه أمةُ الله] (٦). وإن شئتَ أسكنت
فى الوصل فقلت: هذه أمةُ الله. وإذا قلت: هذى أمةُ الله. فالياءُ زائدةٌ. لأن
هذه الهاءُ لما كانت فى لفظ المضمر شَبَّهَها به فى زيادة الياء، نحو: مررتُ بهي
يافتى! ولا (٧) يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءُ فى «هذه» على قول مَنْ قال: مررتُ بهو. لأن
هاءَ الإضممارِ أصلها الضم. تقول: رأيتُهو يافتى. ورأيتُهم يافتى! وهذه الهاءُ ليست
مِنْ هذه. إنما هى مشبَّهةٌ، وتقول: هاتِهْ هندٌ. وهاتى هند. وهاتَا هندٌ. على
زيادة «ها» للتنبيه. قال جرير:

(١) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقبله .

يا جارتى ما كنت جاره بانث لتحزننا عفاره
ترضىك من دل ومن حسن مخالطه غراره

وانظر ديوانه ١١١ .

(٢) من الليل. ساقط من ر .

(٣) «من الليل». ساقط من ر .

(٤) ينسب البيتان لعمر بن أبى ربيعة. وهما فى ملحوظ: ديوانه ٤٧٨ .

(٥) ر : «تقول» .

(٦) تكملة من نسخة الأصل .

(٧) ر : «لا يجوز» بدون الواو .

هذى التى جدعت تيمًا معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى^(١)
وقال عمرانُ بنُ حِطَّانَ :

وليس لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاءُ وليست دارُنَا هَاتَا بِدَارِ
قال أبو العباس : النحويون يُثبتون الهاءَ فى الوصل فيقولون : مَهَاءُ .
وتقديره : «فَعَالٌ» . ومعناه اللُّمْعُ والصفاء^(٢) . يقال : وَجْهٌ لَهُ مَهَاءٌ يافتى !
والأصمعى يقول : مَهَاءُ . تقديرها «حَصَاةٌ» . يجعلُ الهاءَ زائدة . وتقديرها فى
قوله^(٢) : «فَعَلَّةٌ» والمَهَاءُ : البِلْوَرَةُ . والمَهَاءُ : البقرة الوحشية . وجمعها «المَهَاءُ»^(٤) .
فإذا صَغَّرْتَ : «ذَه» . قلتَ : تَيًّا . كأنك صَغَّرْتَ «تَا» . ولا تُصَغِّرُ «ذَه» على
لفظها . لأنك إذا صَغَّرْتَ «ذَا» قلتَ : «ذِيَّا» . فلو صَغَّرْتَ «ذَى» . فقلتَ : «ذِيَّا» .
لالتبسَ المؤنثُ بالمذكر . فصغِّروا ما يخالف فيه المؤنثُ المذكورُ .
وهذه المبهمةُ يخالفُ تصغيرُها تصغيرَ سائرِ الأسماء . وسنذكر ذلك فى باب
نُفْرَدُهُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

عاد القولُ إلى التشبيه .
أَنشَدْتَنِي^(٥) أُمُّ الْهَيْثَمِ فى صفةِ جَمَلٍ :
كَأَنَّ صَوْتَ نَابِهِ بِنَابِهِ صَرِيرُ خُطَافٍ عَلَى كُلابِهِ
أرادتِ الصريفَ . وهو أَنْ يَحْكُ أَحَدُ نَابِيهِ بِالْآخِرِ .

(١) يهجو التيم . وقبلة :

ما بين تيم وإسماعيل من نسب إلا القسرة بين الزنج والروم
إن ابن تيم لمنسوب لوالده دانى القسرة من حام ويحموم

وانظر ديوانه ٤٨٩ - ٤٥٠ .

(٢) ر : «والبهاء» .

(٣) «فى قوله» ساقط من ر .

(٤) ربادات ر . «حكى يعقوب بن السكيت : «مهاة» . من أسماء الشمس . وأنشد :

ثم تجلّو الظلام رب رحيم بمهاة ضياؤها منشور

(٥) ر : «وأنشدتنى» .

وقوله: «صريّر خطافٍ على كُلابِهِ» فالخُطَافُ ما تدورُ عليه البكرةُ. والكُلابُ ماوكِيه.

وقد قال النابغةُ :

مقدوفةٌ بدخيسٍ النَّحْضِ بازِلُها له صَريفٌ صَريفٌ القَعْوِ بالمَسَدِ
القَعْوُ: ما تدورُ عليه البكرةُ إذا كان من خَشَبٍ. فإن كان من حديدٍ فهو
خُطَافٌ. وإن دارت على حبلٍ فذلك الحبلُ يسمى الدَرَكُ.
وقوله: «مقدوفة» يقول: مَرَمِيَّةٌ باللحم. والدَّخِيسُ: الذى قد رَكِبَ بعضُهُ
بعضًا. والنَّحْضُ: اللَّحْمُ. وبازِلُها: نابُها. ومعنى بَزَل، وفَطَرَ. واحدٌ. وهو أن
ينشقَّ الناب؛ قال ذو الرُّمَّة:

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلَّ سُدْفَةٍ صِيَاحَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللَّوَائِكِ^(١)
ويقول: بما تَلُوكُهُ. ويقال فى الغَضَبِ: تركتُ فلانًا يَصْرِفُ نابَهُ عليك.
وَيَحْرِقُ وَيَحْرِقُ. ورأيتُهُ يَعْضُ عليك الأَرَمَ. قال زهيرٌ فى مدحه حصنَ بن
حُذَيْفَةَ^(٢):

أَبَى الضَّيِّمِ وَالنُّعْمَانُ يَحْرِقُ نابَهُ عليه فأَفْضَى السُّيُوفَ مَعاقِلُهُ^(٣)
وقال آخرُ :

نُبُتٌ أَحْمَاءٌ سُلَيْمَى أَنَّمَا ظَلُّوا غِضَابًا يعلُكُونُ الأَرَمَا

وقال بعضُ النحويين: يعنى الشِّفَاءَ. وقال بعضهم: يعنى الأصابعَ.
فأما قولُهم: «عَضَّ على ناجذِهِ» وهو آخرُ الأَسنان، فيكونُ على وجهين:
أحدهما أنه قد احتَنَكَ وبلَغَ، والآخرُ: أن يكونَ للإِطْراقِ والتَّشَدُّدِ.
ويُروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه كان يقول: إذا لقيتُم القومَ
فاجمَعُوا القلوبَ وعَضُوا على النَّواجِذِ، فإن ذلك يُنبِئُ^(٤) السُّيُوفَ عن الهَامِ.

(١) السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشيبه أنيابه بأصوات البراة؛ يقال: لأك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادات ر: «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله:

من مثل حصن فى الحروب ومثله لإنكار ضميم أو لأمر بحاوله

(٤) ر: «ينبئ».

ثم نعود إلى التشبيه .

قال الراجز^(١) :

كَأَنَّهُا حِينَ بِنَاهَا الْبَاسُ^(٢) جَنِيَّةٌ فِي رَأْسِهَا أَمْرَاسُ
بِهَا سُكُونٌ وَبِهَا شِمَاسُ^(٣) يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَجَرُ الْكُبَاسُ
يَمُرُّ لَا يَخْبِسُهُ حَبَّاسُ لَا نَافِذُ الطَّعْنِ وَلَا تَرَّاسُ

يصفُ الْمَنَجْنِيقَ . والأمراسُ : الحبالُ ، والواحدُ مَرَسٌ^(٤) ، والكُبَاسُ : الضخم .
قال : هامةٌ كِبَسَاءٌ يَا فَتَى ؛ ورأسٌ أَكْبَسُ . والحَبَّاسُ : الذى من شأنه أن يَحْبِسَ .
يقال : رجلٌ ضاربٌ للذى يضربُ كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً ، فإذا قلتَ : ضَرَّابٌ
وَقَتَّالٌ . فإنما يُكثِّرُ الفعلَ ، ولا يكونُ للقليل .

قال الراجز :

أَخْضَرُ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قُسَّاسٍ كَأَنَّهُ فِي الْحَيْدِ ذِي الْأَضْرَاسِ
* يُرْمَى بِهِ فِي الْبِلَدِ الدَّهَّاسِ *

يصفُ مَعُولًا . وذو قُسَّاسٍ : مَعْدِنٌ لِلْحَدِيدِ الْجَيِّدِ . وهو يَقْرُبُ مِنْ بِلَادِ بَنِي
أَسَدٍ . وَالْحَيْدُ : ما أَشْرَفَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، يقالُ لِلطَّنْفِ حَيْدٌ . وهو الذى
يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحَضَرِ الْإِفْرِيزَ ؛ يقالُ : طَنَفٌ حَائِطُكَ ، ويقالُ لِلنَّاتِيِ فِي وَسْطِ الْكَتَفِ :
حَيْدٌ وَغَيْرٌ . وكذا النَّاتِيِ فِي الْقَدَمِ . وقوله : «ذِي الْأَضْرَاسِ» يريدُ الْمَوْضِعَ الضَّرْسَ
الْخَشَنَ ذَا الْحَجَارَةِ . فيقولُ : هذا الْمَعُولُ لِحَدَّثِهِ يَقَعُ فِي الْخَشُونَةِ فَيَهْدِمُهَا كَمَا يَهْدِمُ
الدَّهَّاسُ . والدَّهَّاسُ : ما لَانَ مِنَ الرَّمْلِ . قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ : أَيْنَ
مُجْتَلِدُ الْقَوْمِ ؟ فَقَالُوا : بِأَوْطَاسٍ^(٥) . فقال : نِعَمَ مَجَالُ الْخَيْلِ . لَا حَزَنٌ ضَرَسَ^(٦) .
وَلَا لَيْنٌ دَهَسَ !

(١) زيادات ر : «هو أبو النجم» .

(٢) ر : «تناهى» .

(٣) الشماس والشموس . شروء الدابة ونقارها .

(٤) ر : «مرسة» .

(٥) أوطاس : موضع فى ديار هوازن .

(٦) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الشديد خشونة .

وقال العجاجُ يصفُ حمارًا :

كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَا شَحَجْنَا عُرُودًا دَوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُوَلِّجًا^(١)

هذا يصف العير^(٢) الوحشي الذي قد أسن^(٣) تراه لا يشتد نهيقه . وكأنه يعالجه علاجًا . قال الشماخ :

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرَ عَجًّا كَأَنَّهُ بَنَاجِدِهِ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ شَجِي^(٤)
فَأَمَّا قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

بَرَكَتُ عَلَى مَاءِ الرِّدَّاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتُ عَلَى قَضْبِ أَجَشٍّ مَهْضَمٍّ

فإنما يصف الناقة ويذكر حنينها . يقال : إنه يخرج منها كأشجى صوت .
فإنما شبهه بالزَّمِير . وأراد القَصَبَ الذي يُزْمَرُ به . قال الأصمعي : هو الذي يقال له بالفارسية «نای» قال الراعي يصف الحادي :

رَجُلُ الْحُدَاءِ كَأَنَّ فِي حَيْرُومِهِ قَصَبًا وَمَقْنَعَةً الْحَنِينِ عَاجُولًا

المقنع : الرفع رأسه في هذا الموضع . ويقال في غيره : الذي يحطُّ رأسه
استخذاءً وندماً ؛ قال الله عز وجل : ﴿مُقْنَعِي رُءُوسَهُمْ﴾^(٥) . ومن قال : هو الرفع
رأسه . فتأويله عندنا أنه يتناول فينظر ثم يطأطي رأسه . فهو بعد يرجع إلى
الإغضاء والانكسار .

والبعيرُ يحنُّ كأشد الحنين إلى أَلْفِهِ إِذَا أُخِذَ مِنَ الْقَطِيعِ . قال : وأكثرُ
ما يحنُّ عند العطش . قال الشاعر^(٦) :

وَتَفَرَّقُوا بَعْدَ الْجَمِيعِ لَنِيَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْجِيرَانُ
لَا تَصْبِرُ الْإِبِلُ الْجِلَادُ تَفَرَّقَتْ بَعْدَ الْجَمِيعِ وَيَصْبِرُ الْإِنْسَانُ

(١) الشحيح . صوت البغل والحمار إذا أسن .

(٢) ر : «هذا يوصف به العير» . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٣) ر : «إذا أسن» .

(٤) التعشير : نهيق الحمار .

(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .

(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدي .

وقال آخرُ :

وهل ربيّةٌ في أن تحنّ نجيبةٌ إلى إلفها أو أن يحنّ نجيبٌ !
وإذا رجعت الحنينَ كان ذلك أحسن صوتٍ يهتاج له المُفارقون ، كما يهتاجون
لنوح الحمام ، ولالتّياح البروق .

وقال عوف^(١) بن مُحَلِّم وسمع نوح حمامة :

ألا يا حَمَامَ الأيِّك إلفُكَ حاضِرٌ وغُصْنُكَ مَيَّادُ ففيمَ تنوح^(٢)
أفقٌ لا تُنح من غيرِ شيءٍ فلأننى بكيتُ زماً والفؤادُ صحيح
وكوَعاً فَشَطَّطْتُ غَرْبَةً دارُ زَيْنَبٍ فهأ أنا أبكى والفؤادُ قريحُ !
وكلُّ مُطَوَّقَةٍ عند العربِ حمامةٌ . كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والورشانِ وما أشبه
ذلك ؛ قال حميد بن ثور :

وما هاجَ هذا الشَّوقَ إلا حمامةٌ دَعَتَ ساقَ حرٍّ تَرَحَّةً وترنماً^(٣)
إذا شئتُ غَتَّتَنِي بأجزاءٍ بيّشةٍ أو النحلُ من تثليثٍ أو بيلملماً
مُطَوَّقَةٌ خَطَبَاءُ تَسْجَعُ كَلَمًا^(٤) دَنَا الصيفُ وانجبالَ الربيعِ فأنجماً
مُحَلَّاةٌ طَوْقٌ لم يكن من تيممة ولا ضَرْبِ صَوَاغٍ بكفِّيه درهماً
تَغَنَّتْ علي غُصْنِ عِشَاءٍ فلم تدعُ لنائحةٍ في شَجْوِها مُتَلَوِّماً
إذا حَرَكَتهُ الرِّيحُ أو مالَ مَيْلَةً تَغَنَّتْ عليه مائلاً ومُقَوِّماً
عجبتُ لها أنى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرَ بمنطقها فماً !

(١) قال المِرْصَفِيُّ : الشعر لأبى كبير الهذلي . لا لعوف ؛ وإنما ذكر لعبد الله بن طاهر العندي . فالتفت إلى ابن محلم وقال : هل سمعت بأشجى من هذا ؟ فقال : لا والله ؛ قاتل الله أبا كبير حيث يقول . وذكر الأبيات .

(٢) ر : « ميا » . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٣) من قصيدة طويلة في ديوانه ١ - ٣ مطلعها :

وَهَلْ عَادَةُ لِلرَّبْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ !

سل الربيع أنى يَمَتُّ أم سالم

وترحة : حزناً . وترنماً : صوتاً لا يفهم .

(٤) الديوان « تصدح » .

فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوت أعجماً
وقال ابن الرِّقَّاع ، وذكر حمامة :

[قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[ومما شَجَانِي أَنِّي كُنْتُ نَائِماً :
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرَقَاءُ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكِتْ صَبَابَةٌ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ
أَعْلَلُ مِنْ بَرْدِ الْكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
تُرَدَّدُ مَبْكَاهَا بِحَسَنِ التَّرْنَمِ] (١)
بَلِيلِي (٢) شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

أما قول حميد «دَعَتْ سَاقُ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحد ذكراً كان أو أنثى : حمامة والجمع الحمام، والحمامات، فإذا كان ذكراً قلتَ هذا حمامة، وإذا كانت أنثى قلتَ هذه حمامة. وكذلك هذا بطة وهذه بطة. ويقال بقرة للذكر والأنثى، ودجاجة لهما، فإذا قلت: ثور، أو ديك بينت الذكر، واستغنيت عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحت، وذاك أنه صوت حسن غير مفهوم، فيشبهه مرة بهذا ومرة بهذا، قال قيس بن معاذ :

ولو لم يَشُقْنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقْنِي
تَجَاوَبِينَ فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى
حمائم ورق في الديار وقوع
نوائح ما تجرى لهن دموع

قوله : «النجال الربيع» يقال : «النجال عنا»، أى أقْلَعَ، ومثل ذلك «النجم عنا»، وإن قلت : «أنجم»، فمعناه لَزِمَ ووقع، فهو خلاف «النجم». وإن قلت : «النجاب» فمعناه انشَقَ . يقال : «المجوب» للحديدة التى يُثَقَّبُ بها المسيبُ. ويقال : «جبت البلاد» أى دخلتها وطوّفْتُهَا. وفى القرآن : «وَأَمْوَدُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» (٣) أى شَقُّوه.

وقوله : «لم يكن من تَمِيمَةٍ» التَمِيمَةُ المعادة. وقد مضى هذا.

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبتته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «وما تَفْعَرُ بمنطقها فَمَا». يقول: لم تَفْتَحْ. يقال: «فَعَرَ فَاهُ» إذا فَتَحَهُ (١).

وقوله :

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا *

يقول: لم أفهم ما قالت. ولكنى استحسنت صوتها واستحزنته. فَحَنَنْتُ له. ويُروى أن بعض الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرى ما تقول، فيبيكه ذلك ويرققه. ويذكرُ به غيرَ ما قَصِدَتْ له.

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن بعضَ المحدثين (٢) سمعَ غناءً بخراسانَ بالفارسيَّةِ فلم يدر ما هو غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجَاهُ وحُسْنِهِ. فقال في ذلك:

حَمَدْتُكَ لَيْلَةً شَرُفْتُ وَطَابَتْ أَقَامَ سَهَادُهَا وَمَضَى كَرَاهَا
سَمِعْتُ بِهَا غِنَاءً كَانَ أَوْبَى بَأْنَ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا

الغناء الأول الممدود من الصوت. والذي ذكره بعد في القافية من المالمقصور:

وَمُسْمَعَةٌ يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا وَلَا تَصُمُّهُ لَا يَصُمُّ صَدَاهَا (٣)
مَرْتُ أَوْتَارَهَا فَشَفْتُ وَشَاقْتُ فَلَوْ يَسْطِيعُ حَاسِدُهَا فَدَاهَا
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا وَلَكِنْ وَرَتْ كَيْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا
فَكُنْتُ كَأَنِّي أَعْمَى مُعْنَى بِحُبِّ الْغَنَائِيَاتِ وَمَا يَرَاهَا

[وقال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ:

وَرَأَهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْتَنِي وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَوِيَا] (٤)

(١) زيادات ر «حكى ثعلب: «فعر فاه» و «فعر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».

(٢) هو أبو تمام.

(٣) قال المرصفي: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صده. تريد أهلكه. وإذا مات قالت صم صده. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.

(٤) ما من العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشئ يُذكر بالشئ وإن كان دونَه . فَتَجَرَّى لاحتواءِ البابِ والمعنى عليهما .

وفى شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ . وأخرى أن يُمثل به الأشرافُ . وتُسودُّ به الصحفُ . وهو قوله :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتُ بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمَا

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً » .

ثم نرجعُ إلى التشبيه .

قال أبو العباس: والعربُ تُشَبِّهُ على أربعة أضربٍ : فتشبيهُ مُفْرِطٍ ، وتشبيهُ مُصِيبٍ ، وتشبيهُ مُقَارِبٍ ، وتشبيهُ بعيدٍ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه . وهو أحسنُ الكلام .

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمخَيَّ: هو كالبَحْرِ . وللشجاع: هو كالأسد . وللشريف: سما حتى بَلَغَ النَجْمَ . ثم زادوا فوق ذلك . فمن ذاك قول بعضهم - وهو بكرُ بنُ النَّطَّاحِ ، يقوله لأبى دُلفِ القاسمِ بنِ عيسى :

لَهُ هَمَمٌ لَا مُتَّهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَلَوْ أَنَّ خَلَقَ اللَّهُ فِي مَسْكِ فَارِسٍ (١) وَبَارِزُهُ كَانَ الْخَلِيُّ مِنَ الْعُمَرِ

وقد قيل: إن امرأةَ عُمَرَ بنِ حِطَّانَ قالت له: أما زعمت أنك لم تكذب في شعرٍ قطُّ! قال: أَوْ فَعَلْتُ؟ قالت: أَنْتَ الْقَائِلُ:

فَهُنَاكَ مَجْزَأَةُ بَنِ ثَوْرٍ رَ كَانَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ

أف يكونُ رجلٌ أَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ! قال: فقال: أَنَا رَأَيْتُ مَجْزَأَةَ بَنِ ثَوْرٍ فَتَحَ مَدِينَةَ ، وَالْأَسَدُ لَا يَفْتَحُ مَدِينَةَ .

(١) المسك : الجلد .

ومن عجيب التشبيه في إفراط، غير أنه خرَجَ في كلامٍ جيّدٍ وعنى به رجلٌ جليلٌ، فخرَجَ من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جعل لجودة ألفاظه، وحسن رصفه، واستواء نظمه، في غاية ما يُستحسن - قولُ النابغة يعنى حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري:

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم
ولم تَلَفْظَ الموتى القبور ولم تزل
فعمّا قليلٍ ثم جاء نعيه
وكيف بحصنٍ والجمالُ جنوح^(١)
نجوم السماء والأديم صحيح
فظل ندي الحى وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما قد^(٢) ذكرناه، وهو قولُ أبي الطمّحان القيني:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه^(٣)

ويروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أزي^(٤) في يومٍ قرّ في مشيته، فقال له: ممن أنت يا مقرر؟ فقال: أنا ابن الوحيد، أمشى الخيزلي^(٥)، ويدفئني حسبي.

وقيل لآخر في هذه الحال: أمّا يوجعك البرد؟ فقال: بلى والله، ولكنى أذكر حسبي فأدفأ.

وأصوبُ منهما قولُ العريان الذى سئل في يومٍ قرّ عما يجد. فقال: ما على من كبير مؤونة، فقل^(٦): وكيف ذلك^(٧)؟ فقال: دام بى العرى، فاعتاد بدنى ما اعتاده وجوهكم!

(١) جنوح: مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن.

(٢) ساقطة س ر .

(٣) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليماني؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به العين .

(٤) الأزي: تصغير إزار؛ قال المرصفي: يريد أنه يختال في إزار قصير .

(٥) الخيزلى: مشية فيها تبخر وتثاقل وتراجع وتفكك .

(٦) ر "وقيل" .

(٧) ساقطة من ر .

ومن التشبيه القاصد^(١) الصحيح قول النابغة :

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهه	أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَّاجِعُ ^(٢)
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُنِي ضَّئِيلَةً	مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ ^(٣)
يَسْهَدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا	لَحَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَّاقُ
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا	تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ ^(٤)

فهذه صفة الخائف المهموم . ومثل ذلك قول الآخر^(٥) :

تَبَيْتُ الْهُمُومَ الطَّارِقَاتُ يَعْدُنُنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَوْصَافُ رَأْسَ الْمُطَلَّقِ
وَالْمُطَلَّقُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :

❖ تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ ❖

وذاك أن المنهوش إذا ألحَّ الوجعُ به تارة، وأمسك عنه تارة، فقد قارب أن
يُوأس من بُرئه .

وإنما ذكرَ خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة في إثر لوعة، والفتره
بينهما، والخائف لا ينام إلا غرأراً، فلذلك شبهه بالمددوغ المسهد .
وقوله :

❖ لِحَلَّى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَّاقُ ❖

لأنهم كانوا يعلقون حلَّى النساء على المددوغ، يزعمون أن ذلك من أسباب
البرء، لأنه يسمع تقعقعها فيمنعه النوم فلا ينام، فيدب السم فيه، ويسهد لذلك .

❖ ❖ ❖

وقال الآخر :

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .

(٢) راكس والضواجع : موضعان في بلاد غطفان .

(٣) من المساورة؛ وهى الموائبة . والضئيلة : الحية الدقيقة . والرقش : جمع رقشاء؛ وهى الحية التى فيها نقط سود وبيض .

(٤) تناذرها الراقون، أى أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرض لها .

(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كَأَنَّ فَجَاعَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَفَّةٌ حَابِلٌ
يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمَى إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ (١)

يقال: لكل مستطيل كَفَّةٌ. يقال كَفَّهْتُ الثَّوبَ لِحَاشِيَتِهِ، وَكَفَّهْتُ الْحَابِلَ، إِذَا كَانَتْ
مُسْتَطِيلَةً. ويقال: لكل شيء مستدير كَفَّةٌ. ويقال: ضَعَهُ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ، فَهَذِهِ
جَمَلَةٌ هَذَا. وَكَفَّةُ الْحَابِلِ، يَعْنِي صَاحِبَ الْحَبَالَةِ الَّتِي يَنْصِبُهَا لِلصَّيْدِ.

وَأَمَّا التَّشْبِيهِ الْبَعِيدُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، فَكَقَوْلِهِ:
بَلْ لَوْ رَأَيْتَنِي أُخْتُ جَيْرَانِنَا إِذَا أَنَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي حِمَارٌ
فَإِنَّمَا أَرَادَ الصَّحَّةَ، فَهَذَا بَعِيدٌ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بغيره. وَقَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَزَّ، وَهَذَا الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٢) وَالسَّفَرُ
الْكِتَابُ، وَقَالَ: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ (٣) فِي
أَنَّهُمْ قَدْ تَعَامَوْا عَنْهَا، وَأَضْرَبُوا عَنْ حُدُودِهَا وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، حَتَّى صَارُوا كَالْحِمَارِ
الَّذِي يَحْمِلُ الْكُتُبَ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا.

وَهَجَا مَرْوَانَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ قَوْمًا مِنْ رِوَاةِ الشَّعْرِ بِأَنَّهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ، عَلَى كَثْرَةِ اسْتِكْثَارِهِمْ رِوَايَتَهُ، فَقَالَ:

زَوَامِلُ لِلْأَشْعَارِ لَا عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

وَالْتَّشْبِيهُ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ أَكْثَرِ كَلَامِ النَّاسِ. وَقَدْ وَقَعَ عَلَى أَلْسُنِ النَّاسِ مِنْ
التَّشْبِيهِ الْمُسْتَحْسَنِ عِنْدَهُمْ، وَعَنْ أَصْلِ أَخَذُوهُ - أَنْ يَشْبَهُوا (٤) عَيْنَ الْمَرْأَةِ فِي الْكَحْلِ
بِعَيْنِ الظُّبْيَةِ (٥) أَوْ الْبَقْرَةِ الْوَحْشِيَّةِ. وَالْأَنْفَ بِحَدِّ السِّيفِ، وَالْقَمَّ بِالْخَاتَمِ، وَالشَّعْرَ
بِالْعُنَاقِيدِ، وَالْعُنُقَ بِإِبْرِيْقِ فُضَّةٍ. وَالسَّاقَ بِالْجُمَارِ (٦). فَهَذَا كَلَامٌ جَارٍ عَلَى الْأَلْسُنِ.

(١) يُؤْتَى إِلَيْهِ. أَيْ يَجِيءُ إِلَيْهِ فِي وَهْمِهِ.

(٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ ٥.

(٣) الزَّوَامِلُ: جَمْعُ زَامِلَةٍ. وَهِيَ الْبَعِيرُ بِحَمْلِ الْمَتَاعِ وَالطَّعَامِ. وَالْغَرَائِرُ: جَمْعُ الْغَرَارَةِ؛ وَهِيَ الْأَوْعِيَةُ، الَّتِي تَسْمَى بِالْحَوَالِقِ.

(٤) ر. «أَنْ شَبَّهُوا». وَمَا أَثْبَتَهُ عَنِ الْأَصْلِ. س.

(٥) ر. «الظُّبْيِ». (٦) الْجُمَارَةُ: شُحْمَةٌ بَيَضَاءُ فِي رَأْسِ النَّخْلَةِ وَفِي سِ «الْجُمَارِ».

وقد قال سُراقَةُ بن مالك بن جُعشم: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ وساقاهُ ناديتان
 في غَرزِهِ كأنهما جَمَّارتان، فأردَّتُهُ فوقَعْتُ في مِقْنَب^(١)، مِن خَيْلِ الأنصار،
 ففرَّعُونِي بالرَّمَّاح. وقالوا: أين تريد؟
 وقال كعبُ بن مالك الأنصاري: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجهُهُ
 فصارَ كأنه البدرُ.

وعينُ الإنسان مشبَّهةٌ بعينِ الطيِّ والبقرة في كلامهم المنشور. وشعرهم
 المنظوم، مِن جاري ما تكلمت به العرب، وكثُرَ في أشعارها، قال الشاعر^(٢):
 فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ رَقِيقُ^(٣)
 [وقال ذو الرِّمَّة :]

أَرَى فِيكَ مِنْ خَرَقَاءِ يَا ظَبِيَّةَ اللَّوَى مَشَابِهَ جُنُبٍ اعْتَلَقَ الْحَبَائِلِ
 فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَوْ نُكِّ . إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ [٣]
 وقال آخر^(٥) :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سَرَبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زَقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ
 طَلَعْنَ بِأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ وَأَعْيُنِ الْـ سَجَازِرٍ وَامْتَدَّتْ بِهِنَّ الرُّوَادِفُ^(٦)

ويقال للخطيب: كأنَّ لِسَانَهُ مَبْرَدٌ. فهذا الجارِي في الكلام، كما يقال
 للطويل: كأنه رُمَح. ويقال لِلْمُهْتَرِّ لِلكَرَم: كأنَّه غَصْنٌ تَحْتَ بَارِحٍ.
 ومن عجيب^(٧) التشبيه قولُ القائلِ :
 لَعَيْنُكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَاكْفَأُ مِنَ الْفَنَنِ الْمَمْطُورِ وَهُوَ مَرْوَحُ^(٨)

(١) المِقْنَب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بن عامر. وقبله:

وَيَأْشِبُّهُ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتُ سَاعَةً لَعَلَّ فَوَادِي مِنْ جَوَاهِ يَفِيْقُ

(٣) ر: «دقيق». وما أثبتته عن الأصل. س. (٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٥) ر: «الآخر». ونسبه المِرْصَفِيُّ إلى هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمِ العَذْرَى

(٦) في البيت إقواء. (٧) ر: «من مليح».

(٨) نسبه القَالِي في أماليه (١ : ٧٠). إلى أَبِي حِيَةَ النَّمِيرِيِّ. ورواه: «لعيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يَقَعُ المَطَرُ فِي وَرَقَةٍ فَيَصِيرُ مِنْهَا فِي مِثْلِ المَدَاهِنِ، فَإِذَا هَبَّتْ بِهِ الرِّيحُ لَمْ تُلَبِّثُهُ أَنْ تَقْطُرُهُ.

[طَرَائِفُ مِنْ تَشْبِيهَاتِ المُحَدِّثِينَ]

ثُمَّ نَذَكُرْ بَعْدَ هَذَا طَرَائِفَ مِنْ تَشْبِيهِ المُحَدِّثِينَ وَمَلَا حَاتِهِمْ، فَقَدْ شَرَطْنَاهُ فِي أَوَّلِ البَابِ، إِنْ شَاءَ اللّٰهُ .

قال أبو العباس: ومن أكثرهم تشبيهاً، لا تساعه في القول، وكثرة ثقبه^(١)، واتساع مذهبه^(٢) الحسن بن هانئ، قال في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك:

وَكُنَّا إِذَا مَا الحَائِنُ الجَدُّ غَرَّهُ	سَنَا بَرَقَ غَاوٍ أَوْ ضَجِيجُ رَعَادٍ
تَرَدَّى لَهُ الفضلُ بن يحيى بن خالد	بِمَاضِي الطُّبَا أَزْهَاهُ طُولُ نَجَادٍ
أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ	قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ	عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْقَى بِهِ وَيُعَادِي

قوله: «الحائنُ الجدُّ» يقال: حَانَ الرجلُ إِذَا دَنَا مَوْتُهُ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ حَائِنٌ. والمصدرُ الحَيْنُ. والجدُّ: الحِظُّ، والجدُّ والجدَّةُ، مَفْتُوحَانِ، فَإِذَا أُرِدَتْ المَصْدَرُ مِنْ جَدَدْتُ فِي الأَمْرِ، قُلْتُ: «أَجَدُّ جَدًّا» مَكْسُورَ الجِيمِ، وَيُقَالُ: جَدَدْتُ النَخْلَ أَجْدُهُ جَدًّا [وَجَدَادًا]^(٣) إِذَا صَرَمْتَهُ. وَيُقَالُ: جَدَدْتُه جَدًّا. وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ جُدَادًا، إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا. وَيُرْوَى هَذَا البَيْتُ لجريرٍ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَلْ مُهَلَّبٍ جَدَّ اللّٰهُ دَابَرَهُمْ أَضْحَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلُ وَلَا طَرْفُ

ويروى «جَدَّ». وقرأ بعضُ القُرَّاءِ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾^(٤) فأما قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جَدَاذَا﴾^(٥) فَلَمْ يُقْرَأْ بغيره. وَيُقَالُ: كَمْ جَدَاذُ نَخْلِكَ. أَيْ كَمْ تَصَرَّمْ مِنْهَا. وَيُرْوَى فِي قَوْلِهِ اللّٰهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ

(١) كَذَا فِي سِ وَالْأَصْلُ، وَفِي ر: «تَفَنَّهُ».

(٢) ر. «مَذَاهِبُهُ».

(٣) تَكْمِلَةٌ مِنْ س.

(٤) سُورَةُ هُودٍ ١٠٨ .

(٥) سُورَةُ الْاَنْبِيَاءِ ٥٨ .

(٦) سُورَةُ الْجِنِّ ٣ .

مالك : «غنى ربنا» . وقرأ سعيد بن جبير : «جدا ربنا» . [ولو قرأ قارئ «جدا ربنا» على معنى : جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط . وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط^(١) .

وهذا الشعر ينشد بالكسر :

أجْدَكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فترقدها مع رقدها

ومثله^(٢) :

أجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ رسول الإله حين أوصى وأشهدا

لأن معناه أجدا منك ، على التوقيف ، وتقديره فى النصب : «أتجدُ جدًا» ، ويقال : امرأة جداء ، إذا كانت لا تدرى لها ، فكأنه قطع منها ، لأن أصل الجد القطع ، ويقال : بلدة جداء ، إذا لم تكن بها مياه . قال الشاعر :

وجدَاءَ مَا يُرْجَى بِهَا ذُو هَوَادَةٍ لعرفٍ ولا يخشى السماء ربيها^(٣)

[القرابة والهواة فى المعنى واحد . قال أبو الحسن : «السماء» هم الصادة نصف النهار ، وروى عن بعض أصحابنا ، عن المازنى قال : إنما سُمي «ساميًا» بالمسماء ، وهو خف يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه ، وهو عندى من «سما للصيد» .]

ينشد هذا البيت :

أبَى حُبِّى سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وأصبح حبلى خلقا جديدا

يقول : أصبح خلقا مقطوعا ، لأن «جديدا» فى معنى «مجدود» أى مقطوع ، كما تقول : «قتيل ومقتول» و «جريح ومجروح» .

(١) ما بين علامتين زيادة من ر .

(٢) زيادات ر : «قول الأعشى» . والبيت فى ديوانه ١٠٣ . وروايته : «نبى الإله» .

(٣) البيت فى الكتاب ١ : ٢٩٤ : ١٤٤٢ . ونسبه إلى العنبرى ، وروايته .

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة لعطف وما يخشى السماء ربيها

إلى العنبرى .

ويقال في غير هذا المعنى: رجلٌ مَجْدُودٌ. إذا كان ذا خَطَرٍ وَحَظٍّ^(١)، وفي الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»، أى مَنْ كان له حَظٌّ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قال قائلٌ: ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ - يريدُ الاجتهاد - لكان وجهًا.

وقوله: «سَنَا بَرْقُ غَاوٍ» والسَّنَا: من الضَّيَاءِ مقصورٌ. قال الله جل وعز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٢). والسَّنَاءُ: من المجد ممدودٌ، وقال الشاعرُ:
وهم قِوَمٌ كرام الحَيِّ طُرًّا لهم خَوَلٌ إذا ذُكِرَ السَّنَاءُ
وضربه الحسن^(٣) هاهنا مثلاً وَجَمَعَ الرَّعْدُ فقال: رِعَادٌ، كقولك: كَلْبٌ
وَكِلَابٌ، وكَعْبٌ وَكِعَابٌ.

وقوله: «بِمَاضِي الطُّبَى». طُبَّةٌ كلُّ شَيْءٍ حَدٌّ، يقال: وخَزَهُ بَطْبَةُ السَّيْفِ،
يرادُ بذلك حَدُّ طَرَفِهِ.

وقوله: «أَزْهَاهُ طُولُ نَجَادٍ»، النجَاد: حَمَائِلُ السَّيْفِ، وَأَزْهَاهُ: رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ،
والرجلُ يَمْدَحُ بِالطُّوْلِ، فَلِذَلِكَ يُذَكَّرُ طُولُ حَمَائِلِهِ، قال مَرْوَانُ بنُ أَبِي حَفْصَةَ
يَمْدَحُ الْمَهْدَى:

قَصُرَتْ حَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ وَلَقَدْ تَأَنَّقَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا

وقال الحسنُ بنُ هانئٍ يمدحُ محمداً الأَمِينَ :

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ غَمَرَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ^(٤)

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعالوا ففاتونا ففى الحكم مقنع إلى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإنى لأرضى عبد شمس وما قضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

(١) ر: «أى حظ». (٢) سورة النور ٤٣.

(٣) يريد الحسن بن هانئ.

(٤) عمر الجماجم. أى فرع القوم وعلاهم بطول قامته.

وقال الآخر :

لما التقى الصفان واختلف القنا نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القمماء ذلة وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله: «أَمَامَ خَمِيسٍ»، الخَمِيسُ هاهنا: الجيشُ، وكذلك قال رَبِيعَةُ أَهْلِ
خَيْبَرَ، لَمَّا أَطَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، أَيْ وَالْجَيْشُ. وقال
الشاعرُ، وهو طَرْفَةُ:

وَأَيُّ خَمِيسٍ لَا أَفْأَنَا تَهَابَهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمًا
أَفْأَنَا: رَدَدْنَا، يقال: أَفَاءَهُ يُفِيءُ إِذَا رَدَّ. وَالْأَرْجُوَانُ: الْأَحْمَرُ^(١) قال الشاعرُ:
عَشِيَّةً غَادَرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا كَأَنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجُوَانٍ
وَالْجِيَادُ: الْخَيْلُ. وفي القرآن: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ
الْجِيَادُ﴾^(٢).

ومن تشبيهه^(٣) الجيّد في هذا الشعر الذي ذكرنا قوله:

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رُجُلًا دَبًّا وَجَرَادًا^(٤)
فَيَوْمٌ لِلْحَاقِ الْفَقِيرِ بَذَى الْغَنَى وَيَوْمٌ رِقَابَ بُوكَرَتٍ لِحَصَادٍ

ومن التشبيه الجيد قوله^(٥):

فَكَأَنِّي بِمَا أُزَيِّنُ مِنْهَا قَعَدِي يَزِينُ التَّحْكِيمَا
وكان سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدّد عليه في شرب الخمر، وجبّسه من
أجل ذلك حبسًا طويلًا، فقال:

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٢) سورة ص ٢١ .

(٣) أي الحسن بن هانئ .

(٤) الدبا : مقصور الجراد قبل أن يطير .

(٥) زيادات ر : «أى الحسن بن هانئ» .

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللُّؤْمِ لُومَا
 نَالْنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ
 فَاصْرِفَاها إِلَى سَوَايَ فَإِنِّي
 كُبْرَ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
 فَكَأَنِّي بِمَا أُزَيِّنُ مِنْهَا
 لَمْ يُطَقْ حَمْلُهُ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ
 لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمَا
 لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمَا
 لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
 أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمَا
 قَعَدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا (١)
 بِ فَأَوْصِي الْمَطِيقَ أَلَّا يُقِيمَا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد .

قال : وحدثت أن العماني (٢) الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس :
 كَأَنَّ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةٌ أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا (٣)
 فعلم القوم كلُّهم أنه قد لحن ، ولم يهتد منهم أحدٌ لإصلاح البيت إلا
 الرشيدُ . فإنه قال له : قُلْ : «تَخَالُ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا» . والراجز وإن كان لحنَ فقد
 أحسن التشبيه .

ويروى أن جريراً دخل إلى الوليدِ وابنُ الرقاع (٤) العامليُّ عنده يُنشدُهُ
 القصيدة التي يقولُ فيها :
 غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا
 قال جرير : فحسدته على أبياتٍ منها ، حتى أنشد في صفة الظبية :
 * تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *
 قال : فقلتُ في نفسي : وقعَ والله ، ما يَقْدِرُ أن يقولَ أو يُشَبِّهَ به ، قال :
 فقال :

(١) القعدى : من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال .
 (٢) العماني : هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصرى .
 (٣) قادمة : واحدة القوادم ؛ وهن أربع ريشات في مقدم الجناح . واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح .
 (٤) هو الوليد بن عبد الملك ، وابن الرقاع هو عدى .

﴿ قَلَمَا أَصَابَ مِنْ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا ﴾

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا لَهُ أَنْ أُقِيمَ حَتَّى انصَرَفْتُ.

ومن التشبيه^(١) الحسن الذى نَسَطِرِفُهُ قوله:

تعاطيكها كفُّ كَأَنْ بَنَانَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفٌّ مَدَارَى

ومن التشبيه المליح قوله:

وَكَأَنَّ سَلْمَى إِذْ تُودَّعُنَا^(٢) وَقَدْ اشْرَأَبَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا^(٣)
رَشَاءُ تَوَاصِينَ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقَدَنَ بِأُذُنِهِ شُنْفَا^(٤)

وفى هذا الشعر من التشبيه^(٥) الجيد قوله^(٥):

خَيْرُ فَوَادِكَ أَوْ سَتُخْبِرُهُ قَسَمًا لِيَتَّهَيْنَ أَوْ حَلَفَا
الْحُبُّ ظَهَرَ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَلِذَا صَرَفْتَ عَنَانَهُ انصَرَفَا

ومن التشبيه الجيد قوله^(٦):

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ خَوْصٌ كَأَنَّمَا جَمَاجُمُهَا فَوْقَ الْحِجَاجِ قُبُورٌ

(١) ر: «تشبيهه».

(٢) ر: «كَأَنَّ سَعْدَى» وما أثبتته عن الأصل، س.

(٣) زيادات ر: «يقال: اشْرَأَبَ لَأَنْ يَكْلَمَنِي» إِذَا تَهَيَّأَ لِكَلَامِكَ. واشْرَأَبَ الدَّمْعُ، إِذَا تَهَيَّأَ لِلْوُكُوفِ.

(٤) الرَشَاءُ: الظَّبْيُ إِذَا قَوَّى وَاشْتَدَّ، وَتَوَاصِينَ، أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(٥-٥) ساقط من ر.

(٦) من كلمة يمدح بها الخَصِيبُ، أمير مصر، وقيله:

ومازلت توليه النَّصِيحَةَ يافِعًا إِلَى أَنْ بَدَأَ فِي الْعَارِضِينَ قَتِيرُ
إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ فَلَمَّا كَفَيْتَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ بِالْكُفَاةِ تَشِيرُ

وله أيضًا :

سَأَرْحَلُ مِنْ قُودِ الْمَهَارَى شِمْلَةً مَسْخَرَةً مَا تَسْتَحِثُّ بِحَادَى (١)
مَعَ الرِّيحِ مَا رَاحَتْ فَإِنْ هِيَ أَعْصَفَتْ نَهْوزٌ بِرَأْسِ كَالْعَلَاةِ وَهَادَى (٢)
الْعَلَاةُ : السَّنْدَانُ، قَالَ جَرِيرٌ :
أَيْفَخَرُ بِالْمَحْمَمِ قَيْنٌ لَيْلَى
وَبَالْكِيرِ الْمَرْقَعِ وَالْعَلَاةِ

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة :

بُنِيَتْ عَلَى قَدَرٍ وَلَاءَمَ بَيْنَهَا طَبَقَانِ مِنْ قَيْرٍ وَمِنْ أَلْوَاكِ
فَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَنْطَحُ صَدْرَهَا وَالْخَيْزِرَانَةُ فِي يَدِ الْمَلَّاحِ
جَوْنٌ مِنَ الْعَقْبَانِ يَتَدَرُ الدُّجَى يَهْوِي بِصَوْتٍ وَاصْطِفَاقٍ جَنَاحِ

وقال في شعر آخر ، يصف الخمر ، ويذكر صفاءها ورقتها ، وضياءها وإشراقها :

إِذَا هَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا (٣)

فأما قوله :

بَنِينَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءٍ مُدَامَةٍ جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنُجُومِ
فَلَوْ رُدَّ فِي كِسْرَى بْنِ سَاسَانَ رُوحُهُ إِذَا لِاصْطِفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمِ

(١) قود المهارى . القود : جمع قوداء ، وهى الطويلة الظهر والعنق ، والمهرى : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان .
أى حى من العرب .

(٢) النهوز ، مبالغة من النهز ، وهو الدفع .

(٣) قبله .

لِيَأْبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا
إِلَى الْأَفْقِ الْأَعْلَى شِعَاعًا مُطَنَّبَا

وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا أَجْزَهَا فَلَمْ يَكُنْ
فَجَسَّوْزَهَا عَنِّي سُلَاقًا تَرَى لَهَا

فإنما كانت صورة كسرى فى الإناء وقوله :
جوانبها محفوفة بنجوم
فإنما يريد ما تطوق به من الزبد .

وقد قال فى أخرى :
[أول الشعر من غير الأم^(١)] :

وَدَارُ نَدَامَى خَلَفُوهَا وَأَدْلَجُوا مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزَّقَاقِ عَلَى الثَّرَى حَبَسْتُ بِهَا صَحْبَى فَأَلْفْتُ شَمْلَهُمْ أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَلَيْلَةً تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ قَرَارَتِهَا ^(٣) كَسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا فَلْلَخْمِ مَازَرَتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا	بَهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنَى وَيَابِسُ وَإِنِّ عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ ^(٢) وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ مَهَا تَذَرِيهَا بِالْقَسَى الْفَوَارِسُ وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
--	---

العسجدية: منسوبة إلى العسجد، وهو الذهب .
وقال الملقب العبدى :

قَالَتْ أَلَا تَشْتَرِي ذَاكُمُ إِلَّا بِبَدْرَى ذَهَبٍ خَالِصٍ مِنْ مَالٍ مَنْ يَجْنِي وَيُجْنَى لَهُ	إِلَّا بِمَا شِئْنَا وَلَمْ يُوجَدِ كُلَّ صَبَاحٍ آخِرَ الْمُسْنَدِ سَبْعُونَ قِنْطَارًا مِنَ الْعَسْجَدِ
--	---

وقوله : «تذريها» أى تختلها . يقال : دريت الصيد . إذا ختلته . قال
الأخطل :

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقصدتني إذ رميتني بسهمك والرامي يصيد وما يدرى

وقال الحسن بن هانئ :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مَغْتَابُ^(١)
كَأَنَّمَا أَتْنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا^(٢) عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِّي عَابُوا

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحجل بن نضلة، وقد ذكر معاوية بن شكل، فقال: أُبَيَّتَ اللَّعْنُ! إِنَّهُ لَقَعُو الْأَلَيْتَيْنِ، مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ، فَحِجُّ الْفَخْذَيْنِ، مَشَاءُ بِأَقْرَاءٍ، تَبَاعُ إِمَاءٍ، قَتَالُ ظَبَاءٍ. فقال النعمان: أردت أن تذييه فَمَدَّهَتْهُ.

قوله: «مُقْبِلُ النَّعْلَيْنِ»، يقول: لنعله قِبَالٌ. يَنْسَبُهُ إِلَى التَّشْرِفِ. وتباع إماء. وَقَتَالُ ظَبَاءٍ. من ذلك.

وَالْقَعْوُ: ما تَدُورُ فِيهِ الْبَكْرَةُ إِذَا كَانَ مِنْ خَشَبٍ.

وقوله: «تَذِيه» معناه تَذْمُهُ. يُقَالُ: ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وَذَامَهُ يَذِيهِهُ ذِيْمًا، وَذَامَهُ يَذَامُهُ ذَامًا. والمعنى واحد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْنُوْمًا مَدْحُورًا﴾^(٣). وقال الحارث بن خالد المخزومي لعبد الملك:

صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا تَرُودُهَا فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيْمُهَا

وقوله: «فَمَدَّهَتْهُ» يريد «مَدَحَتْهُ». فَأَبْدَلَ مِنَ الْحَاءِ هَاءً، لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ، وَبَنُو سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءُ بْنُ تَمِيمٍ كَذَلِكَ تَقُولُ. وَلَحْمٌ وَمَنْ قَارَبَهَا.

قال رؤبة :

لِلَّهِ فِي الْغَنَائِيَّاتِ الْمَدَّةُ^(٤) سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مَنْ تَأَلَّهِي^(٥)

يريد «المدح»، وفي هذه الأرجوزة :

(١) ر : «ما اغتابوا» . وهذه رواية الأصل .

(٢) ر : «كانهم» .

(٣) سورة الأعراف ١٨ .

(٤) المدح : اللاتى يتمدحن بالجمال .

(٥) استرجعن : قلن . «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

﴿ بَرَّاقُ أَصْلَادِ الْجَيْنِ الْأَجَلَةِ ﴾^(١)

يريدُ الأجلح، والعربُ تقولُ: جَلَحَ الرجلُ جَلَحًا. وجَلِهَ يَجْلُهْ جَلَهًا.
وجَلَى يَجْلَى جَلَى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

﴿ مَعَ الْجَلَا وَلَا تَحِ الْقَتِيرِ ﴾

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عمرو بنِ مَعْدِيكَرِبٍ:
كَأَنَّ مُحَرَّشًا فِي بَيْتِ سُعْدَى يُعَلُّ بِعَيْنِهَا عِنْدَى شَفِيعُ^(٢)
وفي قصيدةِ الحسنِ هذه :

إِنْ جِئْتَ لَمْ تَأْتِ وَإِنْ لَمْ أَجِئْ جِئْتَ، فَهَذَا مِنْكَ لِي دَابْ!
كَأَنَّمَا أَنْتَ - وَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْذِبُ فِي الْمِيعَادِ - كَذَّابُ
وهذا كلامٌ طريفٌ.

ومن حَسَنِ تَشْبِيهِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعَقِيلِيِّ^(٣):
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سَحْرًا^(٤)
وَتَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ بَنَانُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(٤)
وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فِي جَمْعِ شَيْئَيْنِ لِمَعْنَيْنِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ:
كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَذْرًا وَضِرْغَامًا

ومن حَسَنِ التَّشْبِيهِ مِنْ قَوْلِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلِ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيها بالحجر الصلد.

(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية

(٣) ساقطة من ر. (٤) قبلهما :

خَسِرَاءُ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْكَ سَقَّتْكَ بِالْعَيْنِ خَمْرًا
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كُوسِينَ زَهْرًا

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصِيبَتْ
نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشَقُوا
تُضَيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِّقُ (١)

فهذا حسنٌ في هذا جداً .

ومن حَسَنٍ مَا قَالُوا فِي التَّشْبِيهِ قَوْلُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ
لِلرَّشِيدِ :

أَمِينَ اللَّهُ أَمْنُكَ خَيْرٌ أَمَّنْ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ فَضْلٍ
كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكَّبَ فِيهِ رُوحٌ
عَلَيْكَ مِنَ التُّقَى فِيهِ لِبَاسٌ
وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ
لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسٌ

وقد أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى بَنِ جَبَلَةَ . فَقَالَ فِي مَدْحِهِ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ .
وَزَادَ فِي الشَّرْحِ وَالتَّرْتِيبِ . فَقَالَ :

يَرْتُقُ مَا يَفْتُقُ أَعْدَاؤُهُ
فَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامٌ الْهَدَى
وَلَيْسَ يَأْسُو فَتُقَّهِ آسَى (٢)
رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

وَالْعَرَبُ تَخْتَصِرُ فِي التَّشْبِيهِ، وَرَبَّمَا أَوْمَأَتْ بِهِ إِيمَاءً، قَالَ أَحَدُ الرَّجَّازِ :
بَتْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَنْطُ
حَتَّى إِذَا كَادَ الظَّلَامُ يَخْتَلِطُ (٥)
مَارَلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَلْتَبِطُ (٤)
جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُّ !

يَقُولُ فِي لَوْنِ الذُّبِّ . وَاللَّبَنُ إِذَا جُهِدَ (٦) وَخُلِطَ بِالْمَاءِ ضَرَبَ إِلَى الْغُبْرَةِ .
وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

وَتَشْرَبُهُ مَخْضًا وَتَسْقَى عِيَالَهَا
سَجَاجَا كَأَقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْرَقَا

(١) الذبالة : الفتيلة .

(٢) الرتق : ضد الفتق ؛ وهو لأم الفتق وإصلاحه .

(٣) تنط : من الأطيع ؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع .

(٤) الالتباط : العدو والوثوب .

(٥) ر . « كان الظلام » . وما أثبت من الأصل . س .

(٦) جهد اللبن : أخرج ربه كله .

السَّجَّاجُ: الرقيق الممدُّوقُ. والقربان: الجنبان. والواحد قُربٌ.

(١) والجميعُ أقرباً^(١)، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ - وقد شاورَ في رجل جَنَى جَنَایَةً، وجاء قومهُ يَشْفَعُونَ له، فشفع له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسول الله. أرى أن تُوجَعَ قُربیه، فقال القومُ: يا رسول الله، إنَّكَ لَن تَشْتَدَّ عَلَی أُمَّتِكَ بقول عمر. فنزل إليه جبریلُ ﷺ فقال له ثلاثاً: يا محمدُ، القولُ قولُ عُمَرَ، شُدَّ الإسلامُ بعمر. فخرج رسول الله ﷺ فضربَ الرَّجُلَ.

والأورقُ: لونٌ بين الخضرة والسَّوادِ، يقال: جَمَلَ أَوْرَقُ بَيْنَ الْوُرْقَةِ، وهو أَلَمُ ألوان الإبل عند العربِ وأطيبها لحمًا.

ومن مَليح التشبيه للمُحدِّثين^(٢) قولُ عبد الصَّمد بن المَعْدِلِ في صفة العُربِ:

تُزَحِّلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تَرْجِعُهُ ^(٣)	تُبْرِزُ كَالْقَرْنَيْنِ حِينَ تُطْلَعُهُ
أَعَصَلَ خَطَّارٌ تَلُوحُ شُعْهُ ^(٤)	فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ خَلَقَ تَفْظَعُهُ
لَا تَصْنَعُ الرِّقْشَاءُ مَا لَا يَصْنَعُهُ ^(٥)	أَسْوَدُ كَالسَّبْجَةِ فِيهِ مِبْضَعُهُ

وفي هذه الأرجوزة أيضًا :

وَبَاتَ جَذْلَانِ وَثِيرًا مَضْجَعُهُ ^(٦)	بَاتَ بِهَا حَيْنٌ حَبِيشٌ يَتَبَعُهُ
حَتَّى دَنَّتْ مِنْهُ لِحْتَفٌ تَزْمَعُهُ	ذَا سَنَةِ آمِنَ مَا يُرَوِّعُهُ
يَا بُؤْسَ لِلْمُودَعِ مَا يُودَعُهُ ^(٧)	فَاطَتْ تَجَمُّ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهُ
أُنَحَّتْ عَلَيْهِ كَالشَّهَابِ تَلْدَعُهُ ^(٨)	فَشَرَعَتْ أُمُّ الْحَمَامِ إَصْبَعُهُ

(١-١) ساقط من ر .

(٢) ساقطة من ر .

(٤) السبت : الجلد المدبوغ . وخلق . مخلوق . يريد ذنبها . تظفعه : تراه فظيحا . أعصل . من العصل ، وهو الالتواء في الشيء . وخطار : كثير الحركة يمينا وشمالا . (من رغبة الأمل) .

(٥) السبجة : بردة من صوف فيها سواد وبياض ، والرقشاء : الحية فيها نقط سود وبيض .

(٦) حبش هنا : اسم اللدغ ، والحين : الهلاك . ، ووثيرا ، من الوثارة . وهى لين الفراش .

(٧) فاظت . أخرجت سمها . (٨) شرعت : دنت .

عَطَّكَ سَرَبَالٌ حَرِيرٌ تَخْلَعُهُ فكلَّ خَلٍّ ظَاهِرٍ تَفَجُّعُهُ^(١)
يَزْدَادُ مِنْ بَغْتِ الْحَمَامِ جَزَعُهُ واليأسُ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوَقُّعُهُ
وكذلك قال يزيدُ بنُ ضَبَّةَ [أو يزيدُ بنُ الصمة^(٢)] .

[قال أبو الحسن : شك العباس في أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .
ولكنهم بانوا ولم أدرِ بَغْتَةَ وأفْطَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَوُكَ الْبَغْتُ^(٣)

ومن أحسن التشبيه ومليحه قولُ رجلٍ يَهْجُو رَجُلًا بِرَثَاةِ الْحَالِ :
يَأْتِيكَ فِي جُبَّةٍ مَحْرَقَةٍ أطولُ أَعْمَارٍ مِثْلَهَا يَوْمُ
وُطِيلَسَانَ كَالَالِ يَلْبَسُهُ على قَمِيصٍ كَأَنَّهُ غَيْمٌ

والتشبيه كثيرٌ، وهو بابٌ كأنه لا آخرَ له ، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتابُ من شيءٍ من المعانى .

ونعتمدُ ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد . ثم نأخذُ في غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقْرِيْبُهُ الْمَرْطَى وَالْجَوْنُ مُعْتَدِلٌ كأنه سُبْدٌ بِالماءِ مَغْسُولٌ

السُّبْدُ : طائرٌ بعينه . وقد قالوا : الخطفة التى توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ أشبه ، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ ، وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ ، فإذا جاء فى وقته شَمِلَهُ .

قال الرَّاجِزُ :

كَأَنَّهُ وَالطَّرْفُ مِنْهُ سَامِي مُشْتَمِلٌ جَاءَ مِنَ الْحَمَامِ
وقال الأعشى :

(١) العَط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين .

(٢) تكملة من س ، وفى ر . «أو للرجم» ، ولعله . «أو للرجى»

(٣) حاشية الأصل : «فى غير هذا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى» .

يُعَادِي النُّحُوصَ وَمُسْحَلَهَا وَعِفْوَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمَ
النُّحُوصَ، جَمَاعُهَا نُحُوصٌ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْمِلْ فِي عَامِهَا، وَالْمُسْحَلُ:
الْعَيْرُ، وَالْعِفْوُ: الْوَكْدُ وَجَمْعُهُ عَفَاءٌ. فَاعْلَمْ؛ وَهُوَ أَسْعَى لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِعَامِهِ.
وَيَسْتَحِمُّ: يَغْرَقُ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: «مَضَجَعُهُ كَمَسَلِ الشُّطْبَةِ»^(١) وَتَكْفِيهِ ذِرَاعُ
التَّجْفَرَةِ»^(٢). وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خَمِصَ الْبَطْنِ، وَهَذَا تَمَدُّحٌ بِهِ الْعَرَبُ وَتَسْتَحْسِنُهُ، فَأَمَّا
قَوْلُ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ:

* فَتَى غَيْرَ مَبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(٣) *

فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَسْتَعْجِلُ بِالْعِشَاءِ لِانْتِظَارِهِ الضَّيْفَ، كَمَا قَالَ:
وَضَيْفٌ إِذَا أَرْقَى طُرُوقًا بَعِيرُهُ وَعَانَ نَاهُ الْغَلِّ حَتَّى تَكْنَعَا^(٤)
وَقَالُوا فِي قَوْلِ الْخَنَسَاءِ:
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
قَالُوا: أَرَادَتْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ وَقْتَ الْغَارَةِ. وَبِغُرُوبِ الشَّمْسِ وَقْتَ
الْأَضْيَافِ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ أَهْلِهِ^(٥): وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِعَظِيمِ الرَّأْسِ فَتَكُونُ سَيِّدًا، وَلَا
بِأَرْسَحٍ^(٦) فَتَكُونُ فَارِسًا.
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ لِرَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ: وَاللَّهِ مَا فَتَقْتَ فَتَقَ السَّادَةِ. وَلَا
مُطَلَّتَ مَطْلَ الْفُرْسَانِ.

(١) الشُّطْبَةُ: السَّعْفَةُ الَّتِي تَشْطُبُ مِنَ الْجَرِيدِ.

(٢) التَّجْفَرَةُ: مَا بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ وَلَدِ الشَّاةِ.

(٣) الْمَبْطَانُ: الْعَظِيمُ الْبَطْنِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَكْلِ. وَصَدْرُهُ:

* لَقَدْ كَفَّنَ الْمَنْهَالُ تَحْتَ رِجْلِهِ *

(٤) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا ضَلَّ الرَّجُلُ أَرْغَى بَعِيرَهُ. أَيْ حَمَلَهُ عَلَى الْإِبِلِ بِرِعَائِهَا، أَوْ تَنَبَّحَ لِرِغَائِهِ
الْكَلَابِ فَيَقْصِدُ الْحَيَّ. وَالْعَانِي: الْأَسِيرُ، وَالطَّرُوقُ: الْإِتْيَادُ لَيْلًا. وَتَكْنَعُ الْأَسِيرَ تَقْبِصُ وَاجْتِمَاعُ.

(٥) ر. «لَا بِنَ لَهُ».

(٦) الْأَرْسَحُ: قَلِيلُ لَحْمِ الْمُخْدِنِ وَالْأَلَيْتَيْنِ.

فهذه كلها نعوت قد عُرِفَتْ لقوم حتى كأنها سماتٌ لهم . وكانوا يقولون :
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْفَارِسُ ^(١) مُهْفَهْفَ الْخَصْرَيْنِ ^(٢) ، مُتَوَقِّدَ الْعَيْنَيْنِ ، حَمَشَ
الذَّرَاعَيْنِ ^(٣) . وأنشد الأصمعيُّ :

﴿ كَأَنَّمَا سَاعِدَاهُ سَاعِدَا ذَيْبٍ ﴾

قالوا : ومن نعت السيد أن يكون لحيمًا ، ضَخَمَ الهامة ، جهيرَ الصوت ، إذا
خطأ أبعدًا ، وإذا تَوَمَّلَ مَلَأَ الْعَيْنَ ؛ لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي صَدْرِ مَجْلِسٍ ، أَوْ ذِرْوَةِ
مَنْبَرٍ ، أَوْ مَنْفَرْدًا فِي مَوْكَبٍ .

وكانوا يقولون في نعت السيد : يَمْلَأُ الْعَيْنَ جَمَالًا ، وَالسَّمْعَ مَقَالًا .

وقال أبو عليٍّ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ فِي رَجُلٍ نَسَبَهُ إِلَى السُّودَدِ ، بِقَوْلِهِ لِمَعَاذِ بْنِ
جَبَلٍ بْنِ سَعِيدِ الْحَمِيرِيِّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَقِيهِ :

فَإِذَا جَالَسْتَهُ صَدَّرَتْهُ	وَتَنَحَّيْتُ لَهُ فِي الْحَاشِيَةِ ^(٤)
وَإِذَا سَايَرْتَهُ قَدَّمَتْهُ	وَتَأَخَّرَتْ مَعَ الْمُسْتَأْنِيَةِ ^(٥)
وَإِذَا يَاسَرْتَهُ صَادَفَتْهُ	سَلَسَ الْخَلْقَ سَلِيمَ النَّاحِيَةِ ^(٦)
وَإِذَا عَاسَرْتَهُ صَادَفَتْهُ	شَرَسَ الرَّأْيَ أَبْيَا دَاهِيَةِ ^(٧)
فَاحْمَدَ اللَّهُ عَلَى صُحْبَتِهِ	وَاسْأَلَ الرَّحْمَنَ مِنْهُ الْعَافِيَةَ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ في قوله :

بِشْرٍ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَهُ عَسِرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورٌ ^(٨)

(١) ر : «ينبغي للفارس أن يكون» .

(٢) مهمهف الخصرين : ضامهما .

(٣) حمش الذراعين . أى دقيقهما .

(٤) حاشية كل شيء طرفه وجانبه .

(٥) المستأنية : المتمهلة البطيئة .

(٦) ياسرته : لا يئته وساهلته .

(٧) شرس الرأي : سيئ الخلق .

(٨) هو بشر بن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام، وجيد الشعر، وسائر الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكي، فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك، والحجاج حاضر، قال زياد بن عمرو: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم، فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

[لابن قيس الرقيات في معاتبة المهلب]

ولزياد يقول ابن قيس الرقيات في معاتبة المهلب بن أبي صفرة :

أبلغا جاري المهلب عني	كل جار مفارق لا محاله
إن جاراتك اللواتي بتكر	يت لتبئذ رجلهن مقاله ^(١)
لو تعلقن من زياد بن عمرو	بحبال لما ذمن حباله
غلبت أمه أباه عليه	فهو كالكايلي أشبه خاله ^(٢)
ولقد غالني يزيد وكانت	في يزيد خيانة ومغاله ^(٣)
عتكي كأنه ضوء بدر	يحمد الناس قوله وفعله

[نبيذ من أقوال الحكماء]

وقال أسماء بن خارجة الفزاري : لا أشاتم رجلا، ولا أرد سائلا، فإنما هو كريم أسد خلته، أو لثيم أشتري عرضي منه .

وقال سهل بن هارون : يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها، كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها .

(١) تكرت: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المصنف: «يريد أن شهوة أمه سبقت شهوة أبيه فسرت أعراقها فيه» فلم يشبه أباه في صلاة عوده ونجابته . والكايلي . مسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طحارستان، سبة إلى العجم .

(٣) المعالة : الخيانة .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيَةِ : التَّهْنِئَةُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ
المصيبةِ .

وأراد رجلٌ الحجَّ ، فَأَتَى شُعْبَةَ بنَ الْحَجَّاجِ يُودِّعُهُ ، فَقَالَ لَهُ شُعْبَةُ : أَمَّا إِنَّكَ إِنْ
لَمْ تَرَ الْحَلَمَ ذُلًّا ، وَالسَّفَهَ أَنْفًا ! سَلِّمْ لَكَ حَجُّكَ .
وَقَالَ أُوَيْسُ الْقُرَنِيُّ : إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ لَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ مُسْلِمٍ دِرْهَمًا .

[لِدَعْبَلِ يَذُمُ رَجُلًا]

وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ يَذُمُ رَجُلًا :
رَأَيْتُ أَبَا عِمْرَانَ يَبْذُلُ عَرْضَهُ وَخَبَزُ أَبِي عِمْرَانَ فِي أَحْرَزِ الْحَرِزِ
يَحِنُّ إِلَى جَارَاتِهِ بَعْدَ شَبْعِهِ وَجَارَاتُهُ غَرَّتْنِي تَحْنٌ إِلَى الْخَبْزِ

[لِبَعْضِ آلِ الْمُهَلْبِ]

وَقَالَ آخِرُ (١) :

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَفُوا كَلَامَهُمْ وَاسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالْدَارِ
لَا يَقْبِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ (٢) وَلَا تَكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ (٣)

[لِرَجُلٍ مِنْ طَيِّئٍ وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ]

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ ، مِنْ وَكْدِ عُرْوَةَ بْنِ
زَيْدِ الْخَيْلِ ، قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ ، ثُمَّ أَقِيدَ بِهِ بَعْدُ :
عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ الْحَمَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَصْقُولِ الْغَرَارِ يَمَانِ
فَإِنْ تَقْتُلُوا زَيْدًا بَزِيدٍ فَإِنَّمَا أَقَادَكُمْ السُّلْطَانُ بَعْدَ زَمَانِ

(١) سببه أبو تمام في الحماسة ٤ : ٩٠ إلى بعض آل المهلب . وقال التبريزي في شرحه : «هو عبد الله بن
عبد الرحمن ، ولقبه أبو الأنوار» .

(٢) القبس الشعلة من النار ، والقابس : طالب النار . (٣) زيادات ر : أظن تمامه :
حتى إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأئمتهم بولي على النار
قامت بأحمرها تبدى مشافره كأنه رئة في كف جزار

والبيت الأول للأحطل ، وروايته في ديوانه «قوم إذا استنبح . . .»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَلَا زِيدُنَا يَوْمَ النَّقَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ يَمَانِ]

[لشمعل التغلبي حين خربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه ، فرماه عبد الملك بالجرز^(١) فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بِالرَّجُلِ مِنِّي تَبَاشَرْتُ عُدَاتِي ، فَلَا عَيْبٌ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفَهُ لَكَالدَّهْرُ ، لَا عَارٌ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ !

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد .

وقال زياد : كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجوّد مجدا أن اسمه لم يقع في ذم قط .

وقال آخر :

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَّعْتَنِي عَذْلًا مَاذَا مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ !
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعُلُهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاخَ بِهِ لِلْخَابِطِينَ فَإِنِّي لَكِنُّ الْعُودِ

قوله : «إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ» يريد المال ، وضربه مثلا . ويقال : أتى فلان فلانا يَخْتَبِطُ ما عنده . والاختبَاطُ : ضربُ الشجرِ لِيَسْقُطَ الورقُ ، فجعل الخابط الطالب ، والورقَ المالَ ، كما قال زهير :

وليس مانع ذى قُربى ولا رحم يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا

[بخل الحطيئة]

ويُروى أن ضيفا نزل بالحطيئة ، وهو يرعى غنما له ، وفى يده عصا ، فقال

(١) الجرّز : عمود من حديد .

الضَيْفُ: يَرَأَى الْغَنَمَ [ما عندك؟] (١)، فَأَوْماً إِلَيْهِ الْحَطِيبَةُ بِعَصَاهُ، وَقَالَ: عَجْرَاءُ
مِنْ سَلَمٍ (٢)، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي ضَيْفٌ، فَقَالَ الْحَطِيبَةُ: لِلضَّيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا!

[متفرقات من شعر دُعبل]

وقال دُعبلُ :

وَابْنُ عَمْرَانَ يَبْتَغِي عَرِيًّا لَيْسَ يَرْضَى الْبَنَاتَ لِلْأَكْفَاءِ
إِنْ بَدَتْ حَاجَةٌ لَهُ ذَكَرَ الضَّيْفِ فَا وَيَنْسَاهُ عِنْدَ وَقْتِ الْغَدَاءِ

وقال أيضا :

أَضْيَافُ سَالِمٍ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَا وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعِ
وَضَيْفٌ عَمَرُو وَعَمَرُو يَسْهَرَانِ مَعًا عَمَرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ

وقال أيضا :

مَا يَرْحَلُ الضَّيْفُ عَنِّي بَعْدَ تَكْرَمَةٍ إِلَّا بِرَفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْذَرَةٍ

وقال أيضا :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا وَصَبَرْنَا عَلَى رَحَى الْأُسْنَانِ
صَوْتِ مَضْغِ الضُّيُوفِ أَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ غِنَاءِ الْقِيَانِ بِالْعِيدَانِ
[وقال القرشيُّ من بنى أُمَيَّةَ :

إِذَا مَا وَتَرْنَا لَمْ نَنْمَ عَنْ تَرَاتِنَا وَلَمْ نَكْ أَوْغَالًا نَقِيمُ الْبُؤَاكِيَا (٣)
وَلَكِنَّا نَمْضِي الْجِيَادَ شَوَازِبَا فَنَرْمِي بِهَا نَحْوَ التَّرَاتِ الْمَرَامِيَا (٤)

(١) تكملة من س .
(٢) العجاء : التي فيها عقد . والسلم : شجر من العضاء .
(٣) وترنا : قتل منا قتيل ، والترات : جمع ترة . وهي النسل ، والأوغال : جمع وغل ، وهو النذل الضعيف من الرجال
(٤) الشوارب من الخيل الضوامر .

[لجرير يفتخرو ويهجو الأخطل وقومه]

وقال جرير :

إِنَّ الذِي حَرَّمَ الْخِلَافَةَ تَغْلِبًا جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا^(١)
 مُضِرًّا أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ وَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِ كَأَيْنَا !
 هَذَا ابْنِ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقْكُمُ إِلَى قَطِينَا^(٢)
 إِنَّ الْفَرَزْدَقَ إِذْ تَحَنَّفَ كَارَهَا أَضْحَى لَتَغْلِبَ وَالصَّلِيبَ خَدِينَا^(٣)
 وَلَقَدْ جَزَعْتَ إِلَى النَّصَارَى بَعْدَمَا لَقِيَ الصَّلِيبُ مِنَ الْعَذَابِ مُهِينَا
 هَلْ تَشْهَدُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا أَوْ تَسْمَعُونَ مِنَ الْأَذَانِ أَذِينَا!^(٤)

قال أبو العباس : حدثني عُمارةُ بن عقيلِ بن بلالِ بن جرير ، قال : لما بلغ الوليد قوله :

هذا ابن عمي في دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقْكُمُ إِلَى قَطِينَا
 قال الوليد : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ قَالَ : «لَوْ شَاءَ سَأَقْكُمُ» ، لَفَعَلْتُ ذَاكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : «لَوْ شِئْتُ» فَجَعَلَنِي شُرْطِيًّا لَهُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ بِلَالَ^(٥) قَعَدَ يَوْمًا يَنْظُرُ بَيْنَ الْخُصُومِ ، وَرَجُلٌ مِنْهُمْ نَاحِيًا يَتَمَثَّلُ
 قَوْلَ الْأَخْطَلِ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ^(٦) :

وَابْنُ الْمَرَاغَةِ حَبَابَسٌ أَعْيَارُهُ مَرَمَى الْقَصِيَّةِ مَا يَذْقُنْ بِلَالًا^(٧)

(١) الحرر : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقدا وغيظا وعداوة .

(٢) القطين : الخدم والماليك .

(٣) تحنف : تنسك وتأله .

(٤) الأدين : المؤذن .

(٥) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري القاضي .

(٦) في هجاء جرير .

(٧) المراغة في الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ، وتقال أيضا للأتان التي لا تمتنع من الفحول . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار ، والقصية : الموضع المنتحي البعيد . والبلال : ما بل الحلق من ماء وغيره .

فسمعه بلالٌ، فلما تقدّم مع خصمه قال له بلالٌ: أعدْ عليّ^(١) إنشادك،
فغمزه بعضُ الجلساء، فقال الرجلُ: إني والله ما أدري مَنْ قاله، و لا فيمن قيل؟
فقال بلالٌ: أجلُّ، هو أسيرٌ من ذاك، هلمّا فاحتجّا.

وقال جرير :

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ فَمَا رَأَيْنا كَدَّارِ بَيْنَ تَلْعَةِ وَالنَّظِيمِ
عَرَفْتُ الْمُتَتَايَ وَعَرَفْتُ مِنْها مَطَايَا الْقِدْرِ كَالْحِدَا الْجُثُومِ^(٢)

وقال آخر :

لَقَدْ تَبَلَّنتُ فُؤادَكَ إِذْ تَوَلَّيْتُ وَلَمْ تَخْشَ الْعُقُوبَةَ فِي التَّوَلَّى^(٣)
عَرَفْتُ الدَّارَ يَوْمَ وَقَفْتُ فِيها بِرِيحِ الْمِسْكِ تَنْفُحُ فِي الْمَحَلِّ

(١) سافطة من ر .

(٢) جنوم جمع جائمة : من جنم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح .

(٣) تلت فؤادك أسقمته وأدنفته .

باب

من أخبار الخوارج

[فى بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي]

قال أبو العباس : ذكر أهل العلم من الصُّفَرِيَّةِ أَنَّ الخوارج^(١) لَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْبَيْعَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ مِنَ الْأَزْدِ، تَكَرَّرَ ذَلِكَ. فَأَبَوْا مَنْ سِوَاهُ، وَلَمْ يُرِيدُوا غَيْرَهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ قَالَ: يَا قَوْمُ، اسْتَبَيْتُوْا الرَّأْيَ، أَيْ دَعَوْهُ يَغِبُ^(٢).

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأى الدبرى.

قوله: «استبيتوا الرأى» يقول: دَعَوْا رَأْيَكُمْ تَأْتِي عَلَيْهِ لَيْلَةٌ ثُمَّ تَعَقَّبُوهُ. يقال: بَيَّتَ فُلَانٌ كَذَا كَذَا، إِذَا فَعَلَهُ لَيْلًا، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿إِذْ يَبْيِطُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٣)، أَيْ أَدَارُوا ذَلِكَ بَيْنَهُمْ لَيْلًا^(٤). وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّطُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِأَمْرٍ نَكَرَ
لَأُنْكِحَ أَيَّمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لَحْرًا!

وَالرَّأْيُ الدَّبْرِيُّ: الَّذِي يَعْرِضُ^(٤) بَعْدَ وَقُوعِ الشَّيْءِ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ^(٥):

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبَّرًا

وكان عبدُ اللهِ بن وهبُ ذا رأى وفهم، ولسانٍ وشجاعة، وإنما لجئوا إليه واخلَعُوا مَعْدَانَ الْإِيَادِي، لِقَوْلِ مَعْدَانَ:

(١) من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان. والصفريّة: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادة أيضا. الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٢٣.

(٢) يغيب: أى يبيت.

(٣) سورة النساء ١٠٨.

(٤) ر: «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) فى هجاء الفرزدق وقومه من بنى مجاشع.

سلامٌ على مَنْ بايَعَ اللهَ شَارِيًّا^(١) وليس على الحِزْبِ المقيمِ سَلامٌ
فبرئت منه الصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفتَ، لأنَّكَ بَرِئْتَ مِنَ القَعْدِ^(٢) والخوارج
فى جميع أصنافها تَبَرُّاً مِنَ الكاذبِ . وَمِنْ ذِي المَعْصِيَةِ الظَّاهِرَةِ .

[شائهم مع واصل بن عطاء]

وَحُدِّثَ أَنَّ واصلَ بنَ عطاءَ أبَا حُدَيْفَةَ أَقْبَلَ فى رُفْقَةٍ ، فَأَحَسُّوا الخوارجَ ،
فقال واصلٌ لأهل الرُّفْقَةِ: إِنَّ هَذَا ليس من شَأْنِكُمْ ، فاعْتَزَلُوا ودَعُونى وإياهم
- وكانوا قد أَشْرَفُوا على العُطْبِ - فقالوا: شَأْنُكَ ، فَخَرَجَ إليهم ، فقالوا: ما أنتَ
وأصحابُكَ؟ قال: مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ ، لَيْسَمَعُوا كلامَ الله ، ويفهموا^(٣) حُدُودَهُ .
فقالوا: قد أَجَرْنَاكُمْ ، قال: فعَلَّمُونَا ، فجعلُوا يعلمونه أحكامهم . وجعل يقول: قد
قبلتُ أنا وَمَنْ معى ، قالوا: فامضوا مُصَاحِبِينَ ، فإنكم إخواننا ! قال: ليس ذلك
لكم ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾^(٤) ، فَأَبْلَغُونَا مَأْمَنًا . فنظرَ بعضهم إلى بعض ، ثم قالوا:
ذاك لكم ، فساروا بجمعهم^(٥) حَتَّى بَلَغُوهم المَأْمَنَ .

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وذكر أهل العلم من غير وجه أَنَّ عليًّا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّهَ إليهم
عبد الله بن عباسٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، لِيَنَظِرَهم ، قال لهم: ما الذى نَقَمْتُمْ على أميرِ
المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرًا ، فلمَّا حَكَّم فى دين الله خَرَجَ مِنَ الإِيْمَانِ ،
فليُتَبَ بعدَ إقراره بالكفر نعد له . فقال ابن عباس: ما ينبغى^(٦) لمؤمن لِمِ يَشُبُّ
إِيْمَانَهُ شُكٌّ أَنْ يُقَرَّ على نفسه بالكفر! قالوا: إنه قد حَكَّم ، قال: إن الله عز وجل
قد أَمَرَنَا بالتحكيم فى قَتْلِ صَيِّدٍ ، فقال عز وجل: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٧) ،
فكيف فى إِمَامَةٍ قد أَشْكَلَتْ على المسلمين! فقالوا: إنه قد حَكَّم عليه فلم يَرْضَ ،
فقال: إِنَّ الحُكُومَةَ كالإِمَامَةِ ، ومتى فَسَقَ الإِمَامُ وَجَبَتْ مَعْصِيَتُهُ ، وكذلك الحكماء

(١) شاريًا ، أى بائعًا نفسه فى طاعة الله .

(٢) القعد: طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .

(٣) ر : «ويعرفوا» .

(٥) ر : «بأجمعهم» .

(٤) سورة التوبة ٦

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

(٦) ر : «لا ينبغى» .

لَمَّا خَالَفَا نُبِذَتْ أَقَاوِيلُهُمَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَجْعَلُوا احْتِجَاجَ قُرَيْشٍ حُجَّةً عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَدَا﴾^(٢).

[الْفَتَاوَى فِي مَنْ أَطَاعَ صَيِّدًا وَهُوَ مُحَرَّمٌ]

وَالشَّيْءُ يُذَكَّرُ بِالشَّيْءِ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا^(٣) أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ ظَبْيًا وَأَنَا مُحَرَّمٌ، فَالْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: قُلْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَهْدِي شَاةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَهْدِ شَاةً. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ مَا دَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهَا حَتَّى اسْتَفْتَى غَيْرَهُ! فَخَفَّقَهُ عُمَرُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْدَرَّةِ، وَقَالَ: أَتَقْتُلُ فِي الْحَرَمِ وَتَغْمِصُ الْفُتْيَا! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٤)، فَأَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ضُرُوبٌ مِنَ الْفَقْهِ؛ مِنْهَا مَا ذَكَرُوا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَالَ أَوَّلًا، لِيَكُونَ قَوْلُ الْإِمَامِ حُكْمًا قَاطِعًا، وَمِنْهَا أَنَّهُ رَأَى أَنَّ الشَّاةَ مِثْلُ الظَّبْيَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾^(٥). وَأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ: أَخْطَأَ قَتَلْتَهُ^(٥) أَمْ عَمْدًا؟ وَجَعَلَ الْأَمْرَيْنِ وَاحِدًا. وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ: أَقَتَلْتَ صَيِّدًا قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُحَرَّمٌ؟ لِأَنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إِذَا أَصَابَ ثَانِيَةً لَمْ يُحْكَمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ لَهُ^(٦): اذْهَبْ فَاتَّقِ اللَّهَ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٧).

[قَوْلُ قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ لِأَبِي خَالِدٍ الْقَنَانِيِّ وَرَدَّ أَبِي خَالِدٍ عَلَيْهِ]

مِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ قَوْلُ قَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ لِأَبِي خَالِدٍ الْقَنَانِيِّ - وَكَانَ مِنْ قَعْدِ الْخَوَارِجِ:

(١) سورة الزخرف ٥٨ .

(٢) سورة مريم ٩٧ .

(٣) نقل المصنف عن ابن الأثير أنه قبيصة بن هاني أحد التابعين .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

(٥) ر : «قتله». وما أثبتته عن الأصل .

(٦) سورة المائدة ٦٥ .

(٧) كلمة «له» ساقطة من ر .

أبا خالد إنْفَرُ فَلَسْتُ بِخَالِدٍ^(١)
أَتَزْعُمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهَدْيِ

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو خَالِدٍ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبِّ
أَحَاذِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْفَقْرَ بَعْدِي
وَأَنْ يَعْرِينَ إِنْ كُوسِيَ الْجَوَارِي
وَلَوْلَا ذَلِكَ قَدْ سَوِّمْتُ مُهْرِي
[أَبَانَا مَنْ لَنَا إِنْ غَسِبَتْ عَنَّا

وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ عَذْرًا لِقَاعِدٍ
وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لِيٍّ وَجَاحِدٍ

بَنَاتِي، إِنَّهِنَّ مِنَ الضَّعَافِ
وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ^(٢)
فَتَتَّبِعُوا الْعَيْنُ عَنْ كُومٍ عَجَافٍ^(٣)
وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضَّعْفَاءِ كَافٌ
وَصَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافٍ^(٤) !

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلاف ما قال عمران بن حطان، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن
ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وكان^(٥) رأس القعد من
الصفورية وخطيبهم وشاعرهم، قال: لَمَّا قُتِلَ أَبُو بِلَالٍ، وَهُوَ مِرْدَاسُ بْنُ أُدَيَّةَ -
وهي جدته. وأبوه حدير. وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن
تميم، قال عمران بن حطان:

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَى بُغْضَا
أَحَاذِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّ حَتْفِي
فَمَنْ يَكُ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَلِإِنِّي

وفيه يقول:

يَا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ

وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ
وَأَرْجُو الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَا الْعَوَالِي
كَحَتْفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أَبَالِ
لَهَا وَاللَّهِ رَبُّ الْبَيْتِ قَالِي

يَا رَبِّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ

(١) ر : «يا انفِر»، وما أثبتته عن الأصل . س .

(٢) الرنق: الكدر .

(٣) العجاف : جمع عجفاء . وهي الهزيلة التي ذهب سمنها .

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «وقد كان» .

تركتني هائماً أبكى لمررتي في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إمّا شربت بكأس دار أولها على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثني العباس بن الفرج الرياشي
عن محمد بن سلام أنه لما أطرده الحجاج كان يتنقل في القبائل، فكان إذا نزل
في حي انتسب نسباً يقرب منه، ففي ذلك يقول:

نزلنا في بني سعد بن زيد وفي عكّ وعلمر عوثنان^(١)
وفي لخم وفي أد بن عمرو وفي بكر وحى بني العبدان

ثم أخرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامي. وكان روح يقري
الأضياف، و كما مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً عنده^(٢)، فانتفى له من الأزد.

- وفي غير هذا الحديث أن عبد الملك ذكر روحاً فقال: من أعطى مثل ما
أعطى أبو زُرعة! أعطى فقه أهل الحجاز ودعاء أهل العراق، وطاعة أهل الشام.

رجع الحديث. وكان روح بن زنباع لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً
عند عبد الملك. فقال: إن لي جاراً من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خبراً ولا
شعراً إلا عرّفه وزاد فيه. فقال: خبرني ببعض أخباره. فخبره وأنشده. فقال: إن
اللغة عدنانية. وأنى لأحسبه عمران بن حطان؛ حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن
حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله:

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إننى لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً^(٣)

فلم يدّر عبد الملك لمن هو. فرجع روح إلى عمران بن حطان، فسأله عنه.

(١) في الأصل: «عوثنان»، وما أثبتته عن ر. وهو يوافق ما في القاموس.

(٢) أثيرا: مكرماً.

(٣) زيادات ر: «قلبه الفقيه الطبري» فقال:

فقال عمران: هذا يقوله عمران بن حطان، يمدح به عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي بن أبي طالب، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال له عبد الملك: ضيفك عمران بن حطان اذهب فجنني به، فرجع إليه، فقال: إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك، قال عمران: قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك، فامض فإني بالأثر، فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال له^(١) عبد الملك: أما إنك سترجع فلا تجده! فرجع وقد ارتحل عمران، وخلف رقة فيها:

يَارَوْحُ كَمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ
حَتَّى إِذَا خَفَّتْهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تَرَوُّعْنِي
حَتَّى أَرَدْتُ بِي الْعُظْمَى فَأَدْرَكْنِي
فَاعْذِرْ أَحَاكَ ابْنَ زُبَّاعٍ فَإِنَّ لَهُ
وَمَا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتَ ذَا يَمَنٍ
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةً
لَكِنْ أَبْتُ لِي آيَاتٍ مُطَهَّرَةً

قَدْ ظَنَّ ظَنَّاكَ مِنْ لَحْمٍ وَغَسَّانٍ
مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ
مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ
فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتَ أَلْوَانٍ
وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِيًّا فَعَدْنَانِي
كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
عِنْدَ الْوَلَايَةِ فِي طَهٍ وَعِمْرَانٍ

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابي، أحد بني عمرو بن وهب فانتسب له أوزاعيا - وكان عمران يطيل الصلاة، وكان غلمان من بني عام يضحكون منه، فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زباع فسلم عليه، فدعاه زفر فقال: من هذا؟ فقال: رجل من الأزد، رأيت ضيفا لروح بن زباع، فقال له زفر يا هذا، أزديا^(٢) مرة وأوزاعيا مرة! إن كنت خائفا أمناك^(٣)، وإن كنت فقير جبرناك. فلما أمسى هرب وخلف في منزله رقة فيها:

يَا ضَرْبَةً مِنْ شَقَى مَا أَرَادَ بِهَا
إِنِّي لَا ذِكْرُهُ يَوْمًا فَالْعَنَهُ

إِلَّا لِيَهْدِمَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ بُنْيَانًا
إِيَّهَا وَالْعَنَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانًا

قال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان:

يَا ضَرْبَةً مِنْ غَدُورٍ صَارَ ضَارِبُهَا
إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ ظِلْتُ أَلْعَنُهُ

أَشَقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ إِنْسَانًا
وَالْعَنَ الْكَلْبَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانًا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر

(٣) ر: «أمناك»

(٢) ر: «أزديا»

إن التي أصبحت يعيا بها زفر أعيت عياء على روح بن زنباع
قال أبو العباس: أنشدني^(١) الرياشي :

* أَعْيَا عِيَاهَا عَلَى رُوحِ بْنِ زَنْبَاعِ *

- وأنكره كما أنكرناه، لأنه قَصَرَ الممدود، وذلك في الشعر جائز، ولا يجوز مدُّ المقصور -

ما زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبِرَهُ
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِنْنِي رَجُلٌ
وَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنْ لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي
أَمَّا الصَّلَاةُ فُإِنِّي لَسْتُ تَارِكَهَا^(٢)
أَكْرَمُ بِرُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَأَسْرَتِهِ
جَاوَرْتَهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسِرَ بِهِ
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنَعِي بَوَاحِدَةٍ

وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَّاعٍ
كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعِي
إِمَّا صَمِيمٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ
مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لَاوْزَاعِ !
كُلُّ أَمْرٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعِي
قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعِلَا دَاعِي
عَرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعِ
حَسْبُ اللَّيِّبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِي

ثم ارتحل حتى أتى عُمان. فوجدهم يُعَظِّمُونَ أَمْرَ أَبِي بِلَالٍ وَيُظْهِرُونَهُ،
فَظَهَرَ أَمْرُهُ فِيهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ، فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِ^(٣) عُمان، فَارْتَحَلَ عِمْرَانُ
هَارِبًا، حَتَّى أَتَى قَوْمًا مِنَ الْأَزْدِ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ حَتَّى مَاتَ، وَفِي نَزْوَلِهِ بِهِمْ يَقُولُ:

نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنَزَلٍ
نَزَلْنَا بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ
مِنَ الْأَزْدِ إِنْ الْأَزْدَ أَكْرَمَ أُسْرَةً^(٤)
فَأَصْحَبْتُ فِيهِمْ أَمْنًا لَا كَمَعْشَرٍ
أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانُ؟ فَتَلَكُمُ سَفَاهَةٌ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنَسَبَةٍ
فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَوَاحِدٌ

نَسَرُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرِ
وَلَيْسَ لَهُمْ عُدُوٌّ سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ
يَمَانِيَّةً طَابُوا إِذَا نَسَبَ الْبَشَرُ
أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مَضَرٍ
كَمَا قَالَ رُوحٌ لِي وَصَاحِبُهُ زَفَرٌ^(٥)
تُقَرِّبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ
وَأَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرَ

(٢) ر : «غير تاركها».

(٤) ر : «معشر» .

(١) ر : «أنشدني».

(٣) ر : «أهل» .

(٥) ر : «لى روح» .

قوله :

* يا رُوحُ كمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ *

قد مرَّ تفسيرُهُ . يقالُ : هذا أبو مَثْوَايَ . ولِلأُنثَى : هذه أمُّ مَثْوَايَ ، ومنزلُ الإضافة^(١) وما أَشَبَّهَهَا المَثْوَى . وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل : ﴿ أَكْرَمَى مَثْوَاهُ ﴾^(٢) ، أى إضَافَتَهُ . ويقال من هذا : « ثَوَى يَثْوِي ثَوِيًّا » كقولك : مَضَى يَمْضِي مَضِيًّا ، ويقال : ثَوَاءً ، وَمَضَاءً ، كما قال الشَّماخُ :
طال الثَّوَاءُ على رَسْمٍ يَمْؤُودٍ أودى وكلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِي

وقوله :

* فِيهِ رَوَائِعٌ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ *

الواحدةُ رائعة ، يقال : رَاعَنِي يَرُوْعُنِي رَوْعًا ، أى أَفْزَعَنِي ، قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾^(٣) . ويكونُ الرائعُ الجميل ، يقال : جَمالٌ رائعٌ ، يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما ، وأحسبُ الأصلَ فيهما واحدًا ؛ أنه يُفْرِطُ حتى يَروِعَ ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾^(٤) . للإفراط في ضيائه . والرائع ؛ مهموزٌ ، وكذلك كلُّ فعلٍ من الثلاثة ممَّا عَيْنُهُ واو أو ياءٌ ، إذا كانت معتلة ساكنة ، تقولُ : قال يقول ، وباع يبيع ، وخافَ يخافُ ، وهابَ يهابُ ، يَعْتَلُ اسمُ الفاعلِ فِيْهِمْزٌ موضعِ العين ، نحو قائل ، وبائع ، وخائف ، وصائب . فإن صَحَّتِ العينُ في الفعلِ صَحَّتْ في اسمِ الفاعلِ ، نحو : عَوِرَ الرجلُ فهو عاورٌ ، وصيدٌ فهو صايدٌ ، والصَّيْدُ : داءٌ يأخذُ في الرأسِ والعينين والشُّونَ . وإنما صَحَّتْ في «عورٍ» و «حولٍ» و «صيدٍ» لأنه منقولٌ من «أحولٍ» و «أعورٍ» . وقد أحكمنا تفسيرَ هذا في الكتابِ المُقتَضِبِ .

وقوله :

بومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنِ وإن لقيتُ مَعَدِيًّا فعدناني

(٢) سورة يوسف ٢١ .

(٤) سورة النور ٤٣ .

(١) ر : «الضيافة» .

(٣) سورة هود ٧٤ .

يريد أنا يومًا يمان، ولولا أنَّ الشعر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا،
علي معنى أَتَنَقَّلُ يَوْمًا كذا ويوما كذا. والرفع حسنٌ جميلٌ. وهذا الشعرُ يُنشدُ
نصبًا.

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغَلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكُ! (١)

العوارك. هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

أَفِي الْوَلَائِمِ أَوْلَادًا لِّوَحْدَةٍ وَفِي الْمَحَافِلِ أَوْلَادًا لِّعَلَاتٍ!

قال: العلاتُ، سُمِّيَتْ لِأَنَّ الْوَاحِدَةَ تُعَلُّ بَعْدَ صَاحِبَتِهَا. وَهُوَ مِنَ الْعَلَلِ، وَهُوَ
الشُّرْبُ الثَّانِي. أَيْ يَخْتَلِفُونَ وَيَتَحَوَّلُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ:
أَتَمِيمًا مَرَّةً وَقَيْسِيًّا أُخْرَى! وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ تَسْتَفْهِمِ وَأَخْبِرْتَ قُلْتَ: تَمِيمًا مَرَّةً عَلِمَ
اللَّهُ وَقَيْسِيًّا أُخْرَى. أَيْ تَتَنَقَّلُ. وَمَنْ ثَمَّ قَالَ لَهُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ: أَزْدِيًّا مَرَّةً وَأَوْزَاعِيًّا
أُخْرَى؟ وَالرَّفْعُ عَلَى «أَنْتَ» جَيِّدٌ بَالِغٌ.
وقوله:

* لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةٍ *

يَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ: لِنَفْسٍ طَاغِيَةٍ. وَالْآخَرُ لِلْمَذَكَّرِ. وَزَادَ الْهَاءُ لِلتَّوَكِيدِ
لِلْمَبَالِغَةِ. كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ رَاوِيٌّ وَعَلَامَةٌ وَنَسَابَةٌ. وَكِلَاهُمَا وَجْهٌ. وَيُقَالُ: جَاءَتْ
طَاغِيَةُ الرُّومِ. تَرِيدُ الْجَمَاعَةَ الطَّاغِيَةَ. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ
الْبَاغِيَةُ».

وقوله: «عِنْدَ الْوَلَايَةِ» إِذَا فَتَحْتَ فَهُوَ مُصَدَّرُ «الْوَلِيِّ» وَفِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:
﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢). وَالْوَلَايَةُ مَكْسُورَةٌ. نَحْوُ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاضَةِ
وَالْإِيَالَةِ، وَهِيَ الْوَلَايَةُ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْإِصْلَاحِ. يُقَالُ: آلَهُ يَوْؤُلُهُ أَوْلَا، إِذَا أَصْلَحَهُ.
قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ: قَدْ أَلْنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا؛ تَأْوِيلُ ذَلِكَ: قَدْ وَلَيْنَا وَوَلِيَّ عَلَيْنَا.
وَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ. يَقُولُ: قَدْ وَلَيْنَا فَعَلِمْنَا مَا يُصْلِحُ الْوَالِيَّ، وَوَلِيَّ عَلَيْنَا فَعَلِمْنَا مَا
يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

(١) الأعيار: جمع عير، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ - ١٧٢.

(٢) سورة الأنفال ٧٢.

وقوله :

* حتى إذا ما انقَضَتْ مِنِّي وَسَائِلُهُ *

وهي الذَّرِيعَةُ والسَّبَبُ، يقال : قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رُبَيْةُ بْنُ الْعَجَّاجِ :
والناس إن فصلتهم فصائلا كل إلينا يبتغي الوسائلا

وقوله : «ولم يُولَعْ بإهلاعى»، أى بإفزاعى وترويعى، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقة الأقران . يقال : نعوذ بالله من الهَلَعِ، ويقال : رجلٌ هَلُوعٌ، إذا كان لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحدٍ منهما غيرَ الحقِّ، قال الله عز وجل^(١) : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٢) . وقال الشاعر :

وَلِي قَلْبٌ سَقِيمٌ لَيْسَ يَصْحُو
وَنَفْسٌ مَا تُفِيقُ مِنَ الْهُلَاعِ

وقوله :

* إما صَمِيمٌ وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ *

الصَّمِيمُ : الخالصُ من كل شىءٍ، يقال : فلانٌ من صميمِ قومه، أى من خالصهم . وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك :
وتَنَزَّلُ مِنْ أُمِّيَّةٍ حَيْثُ تَلَقَى شُثُونَ الرَّأْسِ مُجْتَمِعَ الصَّمِيمِ

وقوله : «وإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له : هو فَقْعَةُ بَقَاعٍ، وذلك لأنَّ الفَقْعَةَ لا عُرُوقَ لها ولا أغصانَ . والفَقْعَةُ الكُمأةُ البيضاءُ، ويقال : حَمَامٌ فَقِّيعٌ لبياضه، ومن ذا قولُ الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا نَسِبُوا يَكُونُ أَبُوهُمْ
عِنْدَ الْمَنَاسِبِ فُقْعَةٌ فِى قَرْقَرٍ^(٣)

وقال بعضُ القرشيين :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا
فَلَا تَجْعَلْ خَلِيلَكَ مِنْ تَمِيمٍ
بَلَوْتُ صَمِيمَهُمْ وَالْعَبْدَ مِنْهُمْ
فَمَا أَدْنَى الْعَبِيدِ مِنَ الصَّمِيمِ !

(١) ر . «وهو أصدق القائلين» .

(٢) سورة الماعز ١٩ - ٢١ .

(٣) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

وقوله :

* نَسَرُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرُ *

فأصل الخَفَرُ شِدَّةُ الحياءِ ، يقال : امرأةٌ خَفِرَةٌ ، إذا كانت مستترَّةً لاستيحائها ، قال ابنُ نميرٍ الثَّقَفِيُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نَسْوَةِ خَفَرَاتٍ

وقوله :

* مِنَ الْأَرْدِ إِنَّ الْأَرْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ : عصابة وقبيلة ، ويقالُ للرجل : من أَى أُسْرَةٍ أَنْتَ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقتب : مأسورٌ ، وقد مضى تفسيره .

ويُنشَدُ :

* يَمَانِيَّةٌ قَرَّبُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ *

يريدُ «قَرَّبُوا» ، وهذا جائزٌ في كلِّ شَيْءٍ مضمومٍ أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقولُ في الأسماءِ في فَخَذٍ ، فَخَذٌ ، وفي عَضُدٍ ، عَضُدٌ . وتقولُ في الأفعال : كَرَّمَ عَبْدُ اللَّهِ ، أَى كَرَّمَ ، وقد عَلَّمَ اللَّهُ ، أَى عَلَّمَ اللَّهُ ، قال الأَخْطَلُ^(١) :

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَارِلٌ مِنْ الْإِبِلِ دَبَرَتْ صَفْحَتَاهُ وَكَاهِلُهُ^(٢)

وقال آخرُ :

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذَى وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانِ

ولا يجوزُ في «ضَرَبَ» ولا في «حَمَلٍ» أَنْ يَسْكَنَ ، لخفة الفتحة .

وقوله :

* أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍ *

يقول : أَمِنْ رَبِيعَةٍ أَمْ مِنْ مُضَرٍ؟ ويجوزُ في الشعرِ حذفُ ألفِ الاستفهامِ ، لأنَّ «أَمْ» التي جاءتُ بعدها تدلُّ عليها ، قال ابنُ أبي ربيعة :

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البارل من الإبل : ما دخل في التاسعة . ودبرت . من الدر؛ وهو الجرح في ظهر الدابة . والصفحتان : الجانبان .

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِشِمَانِ

يريد: أَيْسَبْعُ؟ وقال التَّمِيمِيُّ:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنَقَرٍ!

الرواية على وجهين: أحدهما: أَمِنْ رَيْبَعَةٍ أَمْ مُضَرٍّ، أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانُ، يريدُ
أذا أَمْ ذَا؟ والأصلح^(١) في الرواية: مِنْ رَيْبَعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ، أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانُ، لأن رَيْبَعَةً
أَخُو مُضَرٍّ، فَأَرَادَ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ أَمْ الْحَيُّ قَحْطَانُ؟ لَأَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَرِيدُ عِنْدَكَ أَمْ
عَمْرُو؟ فالجواب: نَعَمْ أَوْ لَا، لأن المعنى أَحَدُ هَذَيْنِ^(٢) عِنْدَكَ، ومعنى الأول: أَيُّهُمَا عِنْدَكَ؟

وَيُرْوَى - وَحَدَّثَنِيهِ الْمَازِنِيُّ - أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَاهَا رَجُلٌ، فَقَالَ لَهَا:
أَيْنَ الزُّبَيْرُ؟ قَالَتْ: وَمَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبَاطِشَهُ! فَقَالَتْ: هَا هُوَ ذَاكَ.
فَصَارَ إِلَى الزُّبَيْرِ فَبَاطِشَهُ. فغلبه الزُّبَيْرُ، فَمَرَّ بِهَا مَقْلُولًا^(٣) فَقَالَتْ صَفِيَّةُ:

كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرًا أَأَقْطَا أَوْ تَمْرًا

أَمْ قُرْشِيًّا صَقْرًا

لَمْ تَشْكُكْ بَيْنَ الْأَقْطِ وَالتَّمْرِ فَتَقُولُ: أَيُّهُمَا هُوَ؟ وَلَكِنِّهَا أَرَادَتْ: أَرَأَيْتَهُ طَعَامًا
أَمْ قُرْشِيًّا صَقْرًا؟ أَيْ أَحَدَ هَذَيْنِ رَأَيْتَهُ أَمْ صَقْرًا؟ وَلَوْ قَالَتْ: أَأَقْطَا أَمْ تَمْرًا؟ لَكَانَ^(٤)
مَحَالًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

وقوله: * وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ *

معناه وما منهما واحدٌ فَحَذَفَ لَعَلَّ الْمَخَاطَبَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٥). أَيْ وَإِنْ أَحَدٌ، وَمَعْنَى: «إِنْ» مَعْنَى «مَا»
قَالَ الشَّاعِرُ^(٦):

وما الدهرُ إلا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ
يريدُ فَمِنْهُمَا تَارَةٌ.

(١) ر: «والأصلح».

(٢) ر: «لأن أحد هذين عندك».

(٣) مقلولا: مهزوما.

(٤) ر: «كان».

(٥) سورة النساء ١٥٩.

(٦) هو تميم بن أبي بن مقبل.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَأَوَّلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرَ

يقول : انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام ، لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين الغرباء . وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) . وقال عز وجل - فباعده بين القرابة : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾^(٢) . وقال نهار بن توسعة الشكرى :

دَعَى الْقَوْمَ يَنْصُرُ مُدَّعِيَهُ لِيُلْحِقَهُ يَذَى الْحَسَبِ الصَّمِيمِ
أَبَى الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حكم عروة بن أدية - وأدية جد له في الجاهلية^(٣) - وهو عروة بن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقال قوم : بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر . ولم يختلفوا في إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي ، وأنه امتنع عليهم ، وأوماً إلى غيره . فلم يقتنعوا إلا به ، فكان إمام القوم ، وكان يوصف بالرأى .

[أول سيفه سل من سيوفهم]

فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية . وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدنية^(٤) يا أشعث ! وما هذا التحكيم ؟ أشرط أو ثقت من شرط الله عز وجل ! ثم شهَرَ عليه السيف ، والأشعث مول ، فضرب به عجز البغلة ، فشبت البغلة فنفرت اليمانية - وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه - فلما رأى ذلك الأحنف قصده هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدي بن أعبد ، وشبت بن ربيع الرياحي إلى الأشعث . فسألوه الصفح ، ففعل .

(١) سورة الحجرات ١٥ . (٢) سورة هود ٤٦ .
(٣) ر : «جلدة له جاهلية» . (٤) ر : «الدنية» .

وكان عروة بن أُدَيَّةَ نَجَا من حرب النَّهْرَوَانِ، فلم يَزَلْ باقياً مدة من خلافة معاوية، ثم أتى به زيادٌ ومعه مولى له، فسأله عن أبي بكر وعمر، فقال خيراً، ثم سأله فقال: ما تقولُ في أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان وأبي ترَّاب علي بن أبي طالب؟ فتولَّى عثمان ست سنين من خلافته، ثم شهد عليه بالكفر! وفصل في أمر عليٍّ مثل ذلك إلى أن حَكَّم، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاوية. فسبَّه سباً قبيحاً! ثم سأله عن نفسه؟ فقال: أولَّكَ لَزْنِيَّةً وآخِرُكَ لِدَعْوَةٍ. وأنت بعد عاصي لربك! ثم أمر به فضرِبَتْ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صِفْ لى أموره؟ فقال: أأطْنَبُ أم أختصرُ؟ فقال: بل اختَصَرَ، فقال: ما أتيته بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فراشاً بليل قطُّ.

[مناظرة علي بن أبي طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحرورية أن علياً رضوان الله عليه، لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما^(١) قال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتوني، ثم سألوني التحكيم، أفعلتمُ أنه كان منكم أحدٌ أكرهَ لذلك مني؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فهل علمتمُ أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشتَرطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكَمَ بحُكْمِ الله عزَّ وجلَّ. فمتى^(٢) خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرءاء، وأنتم^(٣) تعلمون أنَّ حكم الله لا يعدوني؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم في ذلك الوقت ابن الكواء، وهذا من قبل أن يذبحوا عبدَ الله بن خَبَّابٍ؟ فإنما ذبحوه بكسَرٍ في الفرقة الثالثة - فقالوا: حَكَمْتَ في دين الله برأينا، ونحن مُقرُّون بأنَّا قد كفرنا، ونحن تائبون! فأقرُّرُ بمثل ما أقررنا وتبَّ ننهَضُ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمرَ بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأته^(٤). فقال تبارك وتعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(٥). وفي صيد أصيبَ في الحرم، كأرنب تساوى ربَّعَ درهم^(٦)، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٧)؟ فقالوا: إن عمرًا لما أبى عليك

(١) ر : «فكان مما».

(٢) ر : «فإن».

(٣) ر : «أو أنتم».

(٤) ر : «وامرأة».

(٥) سورة النساء ٣٥ .

(٦) ر : «يساوى ربع دينار».

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

أن تقولَ في كتابك : « هذا ما كتبه عبدُ الله على أمير المؤمنين » محوتَ اسمك من الخلافة ، وكتبتَ « على بن أبي طالب » . فقال لهم رضى الله عنه : لى برسول الله ﷺ أسوةً ، حيثُ أبى عليه سهيلُ بن عمرو أن يكتبَ : « هذا كتابُ كتبه محمدٌ رسول الله وسهيلُ بن عمرو » فقال : لو أقررتُ^(١) بأنك رسول الله ما خالفْتُك^(٢) ، ولكنى أقدمُك لفضلِك . ثم قال : اكتب : « محمدُ بن عبد الله » ، فقال لى : « يا على ، امحُ رسولَ الله » ، فقلتُ : يارسول الله ، لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة ، فقال عليه السلام : « ففنى^(٣) عليه » فمحا به ﷺ ، ثم قال : « اكتب محمد بن عبد الله » . ثم تبسم إلى فقال : « يا على ، أما إنك ستسأم مثلها فتعطى » . فرجعَ معه منهم ألفان من حروراء^(٤) . وقد كانوا تجمعوا بها ، فقال لهم على صلواتُ الله عليه : ما نسَميكم ؟ ثم قال : أنتم الحروريةُ ، لاجتماعكم بحروراء . والنسبُ إلى مثل « حروراء » « حروراوى » ، فاعلم ، وكذلك كلُّ ما كان فى آخره ألفُ التانيث الممدودة لكنَّه نسبَ إلى البلد بحذف الزوائد ، فقيل : الحرورى .

[اللطائف العبدى]

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدَىُّ فى كلمة له :

أرى أمةً شهَرَتَ سيفُها	وقد زيدَ فى سَوَطِها الأصبَحى
بنَجْدِيَّةٍ وَحَرُورِيَّةٍ	وأزرقَ يدْعُو إلى أزرقى
فَمِلَّتْنَا أَنَّنَا المسلمون	على دينِ صِدِّيقِنَا والنَّبى

وفى هذا الشعرُ مما يُستحسنُ قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ	مرَّ الغداةَ وكَرَّ العَشَى ^(٥)
إذا ليلةٌ هَرَمَتْ يومَها	أتى بعدَ ذلك يومٌ فَتِى
نروحُ ونغدو لحاجاتنا	وحاجةَ من عاشَ لا تنقضى
تموتُ مع المرءِ حاجاته	وتبقى له حاجة مابقى

(١) ر : « أقررنا » .

(٢) ر : « ما خلفناك » .

(٣) ر : « ففنى » .

(٤) حروراء : قرية من الكوفة .

(٥) ر :

* مُرُورُ الليالى وكَرُّ العَشَى *

قوله :

« وقد زيد في سوطها الأصبحي »

فإنه تُسمى هذه السياط التي يُعاقبُ بها السلطانُ الأصبحيةَ، وتُنسبُ إلى ذي أصبَح الحميري، وكان ملكا من ملوكِ حمير، وهو أولُ من اتخذها، وهو جدُ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه .

والنجديةُ تُنسبُ إلى نجدة بن عويمر، وهو عامرُ الحنفى، وكان رأساً ذا مقالة مفردة^(١) من مقالات الخوارج، وقد بقى من أهلها قومٌ كثيرٌ. وكان نجدةُ يصلّى بمكةَ بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة، وعبد الله يطلبُ الخلافة، فيُمسكان عن القتال من أجل الحرم .

[للراعى فى عهد الملك بن مروان]

قال الراعى يخاطب عبد الملك :

لا أكذبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا	إنى حَلَفْتُ على يمينِ بَرّة
يومًا أريدُ ببيعَتى تبديلا	ما إنْ أتيتُ أبا خُبَيْبٍ وأفدّا
أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا	ولا أتيتُ نجيدةَ بنِ عويمِر
إنى أعُدُّ له على فُضولا	من نعمةِ الرحمن لا من حيلتى

وفى هذه القصيدة :

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه
بالأصبحية قائما مغلولاً^(٢)

قوله :

« وأزرق يدعو إلى أزرقى »

يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى، وكان نافعُ شجاعاً مقدماً فى فقه الخوارج، وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة، وسنذكر جملةً منها فى هذا الكتاب، إن شاء الله .

(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

(١) ر : «منفردة» .

وقوله :

* على دين صديقنا والنبى *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تبدأ بالشىء والمقدم غيره^(١)، قال الله عزَّ اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٢)، وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤). وقال حسانُ بن ثابت :

بهاليلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه علىُ ومنهم أحمدُ المتخيرُ
يعنى بنى هاشم .

ومن كلام العرب : ربيعةٌ ومُضَرٌّ وقَيْسٌ وخندفٌ وسُلَيْمٌ وعامرٌ، وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذُوو الحَدِّ والجد^(٥). وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحلَ أكثرُ أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة^(٦)، فَقَلَّدَ الْمُهَلَّبُ حَرْبَهُمْ، فهزَمَهُمْ إلى الفرات، ثم هزَمَهُمْ إلى الأهواز، ثم أخرجَهُمْ عنها إلى فارس، ثم أخرجَهُمْ إلى كَرْمَانَ، وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحرب التى صاحبها الزنج^(٧) بالبصرة، يرثى البلد، ويذكر المنقبة التى كانت لهم :

[قال الأَخْفَشُ : أَنشَدَنِيهِ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ] .

سَقَى اللَّهُ مِصْرًا خَفَّ أَهْلُوهُ مِنْ مِصْرٍ وماذا الذى يَبْقَى عَلَى عَقَبِ الدَّهْرِ!^(٨)
وَلَوْ كُنْتُ فِيهِ إِذْ أُبِيحَ حَرِيمُهُ لَمْتُ كَرِيمًا أَوْ صَدَرْتُ عَلَى عَذْرِ
أُنِيحَ فَلَمْ أَمْلِكْ لَهُ غَيْرَ عِبْرَةٍ تُهَيِّبُ بِهَا أَنْ حَارَدَتْ لَوْعَةُ الصَّدْرِ!^(٩)

(١) ر : «وغيره المقدم» .

(٣) سورة الرحمن ٣٣ .

(٢) سورة التغابن ٢ .

(٤) سورة آل عمران ٤٣ .

(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاد فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المرفصى .

(٦) ر : «الترحل» .

(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .

(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .

(٩) العبرة : الدمعة .

ونحن رَدَدْنَا أَهْلَهَا إِذْ تَرَجَّلُوا • وَقَدْ نَظَمْتُ خَيْلُ الْأَزَارِقِ بِالْجَسْرِ
وَمَنْ يَخْشَى أَطْرَافَ الْمَنَابِ فَإِنَّا لَبَسْنَا لَهُنَّ السَّابِغَاتِ مِنَ الصَّبْرِ
فَإِنَّ كَرِيهَ الْمَوْتِ عَذَبٌ مَذَاقُهُ إِذَا مَا مَزَجْنَاهُ بِطِيبٍ مِنَ الذُّكْرِ
وَمَا رَزَقَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ مَنِيَّةٍ أَرَاخَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ تُخْزِ فِي الْقَبْرِ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرُ بَنُو الْعَبَّاسِ نِعْمَى تَجَدَّدَتْ
لَقَدْ جَنَّبْتُكُمْ أُسْرُ إِذْ حَسَدْتُكُمْ
وَقَدْ نَغَصَّتْهُمْ جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ
فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمَزِيدَ عَلَى الشُّكْرِ
فَسَلَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ سَيْفًا مِنَ الْكُفْرِ
يُيْتُونَ فِيهَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذُعْرٍ

وقال عبد الله بن قيس الرُّقِيَّاتِ :

أَلَا طَرَقْتُ مِنْ أَهْلِ بَثْنَةَ طَارِقَهُ (١)
تَبَيْتُ وَأَرْضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
إِذَا نَحْنُ شِئْنَا صَادَفْتَنَا عَصَابَةٌ
عَلَى أَنَّهَا مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَهُ
وَسُؤْلَافُ رُسْتَاقٍ حَمَتَهُ الْأَزَارِقَهُ (٢)
حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِنَ الدِّينِ مَارِقَهُ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أَصَابَ عَلَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِي مِائَةٍ، فِي أَصْحَابِ الْأَقَاوِيلِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ، وَكَانَ مِنْهُمْ بِالْكَوْفَةِ زُهَاءُ أَلْفَيْنِ مِمَّا يَسِرُّ أَمْرُهُ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَرْبَ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ أَنْ قَالَ عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ: ارْجِعُوا وَادْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَّابٍ، فَقَالُوا: كُلُّنَا قَتَلَهُ وَشَرِكَ فِي دَمِهِ! ثُمَّ حَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفٍّ عَلَى، وَقَدْ قَالَ عَلَى: لَا تَبْدَعُوهُمْ بِقِتَالٍ، فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلَى ثَلَاثَةً وَهُوَ يَقُولُ:

أَقْتُلْهُمْ وَلَا أَرَى عَلَيْهَا وَلَوْ بَدَأَ أَوْجَرَتْهُ الْخَطِيئَا

فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا خَالَطَهُ السَّيْفُ، قَالَ: حَبَّذَا الرُّوحَةُ إِلَى الْجَنَّةِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ: مَا أَدْرِي أَلِإِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ! فَقَالَ

(١) ر : «بيبة» . (٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان . والرستاق اسم للسواد والقرى .

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغْتِرَارًا بِهِذَا، وأراه قد شَكَّ! فانْخَزَلَ بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري، وكان رحمه الله على مِيْمَنَةٍ على، وجعل الناسُ يتسلَّلُون، وقد قال علىٌ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُّطْفَةَ، وجعل الناسُ يقولون له في ذلك، حى كادوا يشكُّونَ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم في أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشْرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فُقِتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية.

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حَكَّمَ وَلَفَظَ بالحكومة ولم يُشَدَّ بها رجل من بنى سَعْدِ بن زيد مئة بن تميم بن مُرٍّ، ثم ^(١) من بنى صَرِيم، يقال له الحجاجُ ابن عبد الله، ويُعرفُ بالبرك، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلِيَّتِهِ، فإنه لما سَمِعَ بذكر الحكمين قال: أَيُحَكِّمُ فى دينِ الله! لا حَكَمَ إلا لله! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فَأَنْفَذَ.

وأولُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَيْنِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائل، فإنه كان فى أصحاب على، فَحَمَلَ على رجل منهم فقتله غيلةً، ثم مَرَقَ بين الصَّفَيْنِ فَحَكَّمَ، وَحَمَلَ على أصحاب معاوية، فَكَثَرُوهُ، فرجع إلى ناحية على صلوات الله عليه، فَحَمَلَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرٌ هَمْدَانَ:

ما كا أغنى اليشكرى عن التى تصلى بها جمرًا من النار حاميا
غداة يُنادى والرماحُ تنوشه خلعتُ عليا باديًا ومعاويًا ^(٢)

وجاء فى الحديث، أن عليًا رضى الله عنه تلى بحضرته: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ^(٣)، فقال على: أهلُ حَرُورَاءَ منهم.

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر .

(٢) تنوخته : ناله .

(٣) سورة الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ .

وروى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خرج في غداة يُوقظُ الناسَ للصلاة في المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدثُ، فسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وَقَبَضَ عليّ لحيته: ظننتُ أنَّ فيكم أشقَّاهَا، الذي يَخْضِبُ هذه من هذه. وأومأ بيده إلى هامته وحيته.

[من شعر عليّ بن أبي طالب]

ومن شعر عليّ بن أبي طالب رحمه الله الذي لا اختلاف فيه أنه قاله، وأنه كان يُردِّده؛ أَنَّهُمْ لَمَّا سَامُوهُ أَنْ يُقَرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسِيرُوا معه إلى الشام، فقال: أَبْعَدْ صُحْبَةَ رسول الله ﷺ والرَّفْقَةَ في الدِّينِ أَرْجِعْ كَافِرًا!

يا شاهِدَ اللهِ على فاشْهَدِ أني على دينِ النّبيِّ أَحْمَدِ

* مَنْ شَكَّ في الله فإني مُهْتَدِي *

ويُروى : * أني تَوَلَّيْتُ وكَيَّ أَحْمَدِ *

[في تقسيم غنائم خيبر]

ويُروى أن رجلاً أسودَ شديدَ بياضِ الثيابِ وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يقسمُ غنائمَ خيبر - ولم تكنْ إلا لِمَنْ شهد الحُدَيْبِيَّةَ - فأقبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ، فقال: ما عدَلْتُ منذَ اليوم! فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئِيَ الغضبُ في وجهه . فقال عمرُ بن الخطاب : ألا أقتله يا رسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله : إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأٌ .

وفي حديث آخر أن رسولَ الله ﷺ قال له : «وَيَحْكُ! فَمَنْ يَعْدُلُ إذا لم أَعْدُلْ؟» ثم قال لأبي بكرٍ: «أقتله»، فمضى ثم رجع، فقال: يا رسولَ الله رأيتُهُ ساجداً، ثم قال لعليّ: «أقتله»، فمضى ثم رجع، فقال: يا رسولَ الله لم أرهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنان في دينِ الله».

قال أبو العباس: وحدثني إبراهيمُ بن محمد التيميُّ قاضي البصرة في إسناده ذكره، أن عليّاً رضي الله عنه وجَّهَ إلى رسول الله ﷺ بذهبة من اليمن، فقسمها أرباعاً فأعطى ربعاً للأقرع بن حابس المجاشعي، وربعاً لزيد الخيل الطائي، وربعاً لعيينة بن حصن الفزاري، وربعاً لعلقمة بن علاثة الكلابي. فقام إليه رجلٌ

مُضْطَرَبُ الْخَلْقِ غَائِرُ الْعَيْنِينَ، نَاتِيُ الْجِبْهَةِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ!، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَوَرَّدَ خَدَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَيَأْمَنْتُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنْتُونِي!»! فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرُ فَقَالَ: أَلَا أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ضِئْضِي هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، تَنْظُرُ فِي النَّصْلِ (١) فَلَا تَرَى شَيْئًا، وَتَنْظُرُ فِي الرِّصَافِ (٢) فَلَا تَرَى شَيْئًا، وَتَتَمَارَى فِي الْفُوقِ (٣)» .

قوله ﷺ: «مِنْ ضِئْضِي هَذَا» أَيْ مِنْ جَنْسِ هَذَا. يُقَالُ: فَلَانٌ مِنْ ضِئْضِي صِدْقٍ. فِي مَحْتَدِ صِدْقٍ (٤). وَفِي مُرْكَبِ صِدْقٍ. وَقَالَ جَرِيرٌ لِلْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ، وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ:

أَقْبَلَنْ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادِي خَيْمٍ	عَلَى قَلَاصٍ مِثْلَ خَيْطَانِ السَّلَمِ (٥)
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ	حَتَّى أَنْخَنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ
خَلِيفَةُ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ	فِي ضِئْضِي الْمَجْدِ وَبُحْبُوحِ الْكَرَمِ

وَيُقَالُ: مَرَّقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، إِذَا نَفَذَ مِنْهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ أَلَا يَعْلُقُ بِهِ مِنْ دَمِهَا شَيْءٌ، وَأَقْطَعُ مَا يَكُونُ السِّيفُ إِذَا سَبَقَ الدَّمُ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ عَابِسٍ الْكَنْدِيُّ:

وَقَدْ أَخْتَلَسَ الضَّرْبُ سَةً لَا يَدْمَى لَهَا نَصْلِي

فَأَمَّا مَا وَضَعَهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي كِتَابِ «الْإِخْتِيَارِ». فَعَلَى غُلْطٍ وَضِعَ.

[مِنْ أَخْبَارِ وَاهِلِ بْنِ عَطَاءٍ]

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الشَّعْرَ لِإِسْحَاقَ بْنِ سُؤَيْدِ الْفَقِيهِ، وَهُوَ لِأَعْرَابِيٍّ لَا يَعْرِفُ الْمَقَالَاتِ الَّتِي يَمِيلُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، أَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ:

(١) النصل: حديدة السهم والسيف .

(٢) الرصاف: عصب يشد على سنخ النصل .

(٣) الفوق: مشق رأس السهم .

(٤) ر: «ومن مجتد» .

(٥) الخيطان: جمع خوط؛ وهى الأغصان .

برئت من الخوارج لست منهم
ومن قوم إذا ذكروا علياً
ولكني أحبُّ بكلِّ قلبي
رسول الله والصديق خبياً

من الغزّال منهم وابن باب
يردون السلام على السحاب
وأعلم أن ذلك من الصواب
به أرجو غداً حسن الثواب

فإنَّ قوله: « من الغزّال منهم » يعنى واصل بن عطاء، وكان يُكنى
أبا حذيفة، وكان معتزلياً، ولم يكن غزّالاً، ولكنه كان يُلقَّب بذلك، لأنه كان
يلزِمُ الغزّالين، ليعرف المتعقّفات من النساء، فيجعل صدقته لهن، وكان طويل
العنق. ويروى عن عمرو بن عبّيد، أنه نظر إليه من قبل أن يكلمه، فقال: لا
يُفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق!

وقال بشار بن بُرد يهجو واصل بن عطاء :
ماذا مُنيتُ بغزّال له عنقٌ كننقى الدوّ إن ولى وإن مثلاً (١)
عنق الزرافة ما بالى وبالكُم تُكفرون رجلاً أكفروا رجلاً!

ويروى : لا بل (٢). كأنه لا يشكُّ فيه أن بشاراً كان يتعصبُ للنار على
الأرض. و يصبُّ رأى إبليس - لعنه الله - فى امتناعه من السجود لآدم عليه
السلام. ويروى له :

الأرض مظلمة والنار مُشرقة والنار معبودة مُذ كانت النارُ
فهذا ما يرويه المتكلمون.

وقتلُه المهديُّ على الإلحاد. وقد روى قومٌ أن كتبه فُتشت فلم يُصب فيها
شئٌ مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه : إننى أردتُ هجاء آل سليمان بن عليّ،

(١) التنق : الظليم . والدو : الفلاة الواسعة . ومثل . أى أيام .

(٢) قال المصنفى : هذه عبارة سخيّة ، يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبته الكفر إلى
أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار وبصوب رأى
إبليس . وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة .

فذكرت قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمنكت عنهم^(١). [إلا أني قلت :

دينار آل سُلَيْمَانِ وَدَرَهُمُهمْ كَبَابِلَيْنِ حُفًّا بِالْعَفَارِيتِ
لَا يُرْجِيَانِ وَلَا يُرْجَى نَوَاهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ^(٢)

وحدثني المازني قال: قال رجل لبشار: أتناكل اللحم وهو مبأين لديانتك! -
يذهب به^(٣) إلى أنه تنوى - قال: فقال بشار: ليسوا يدرون أن هذا^(٤) لحم يدفع
عني شر هذه الظلّمة.

وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب، وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في
الراء. فكان يخلص كلامه من الراء. ولا يفتن بذلك^(٥) لاقتداره وسهولة ألفاظه،
ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة. يمدحه بإطالته الخطب واجتنابه الراء، على كثرة
ترددها في الكلام. حتى كأنها ليست فيه :

عَلِيمٌ بِإِبْدَالِ الْحُرُوفِ وَقَامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الْحَقَّ بِاطِلُهُ

وقال آخر :

وَيَجْعَلُ الْبَرَّ قَمَحًا فِي تَصَرُّفِهِ وَخَالَفَ الرَّاءَ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يَطُقْ «مَطْرًا» وَالْقَوْلُ يُعْجَلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

ومما حكى^(٦) عنه قوله: وَذَكَرَ بَشَارًا : أما لهذا الأعمى المكتنى بأبي معاذ من
يقتله! أمّا والله لولا أن الغيلة خلقت من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه
على مضجعه، ثم لا يكون إلا سدوسياً أو عقيلياً.

فقال : «هذا الأعمى» ولم يقل بشاراً، ولا ابن بُرد، ولا الضّرير. وقال:
«من أخلاق الغالية» ولم يقل المغيرة ولا المنصورية. وقال: «لبعثت إليه». ولم

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٤) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

(٦) ر : «يحكى».

(١) د : «منهم» .

(٣) كلمة «به» ساقطة من ر .

(٥) ر . «بذاك».

يقول : لأرسلتُ إليه . وقال : «على مَضْجَعِهِ» . ولم يقل : على فراشه ، ولا مرقده .
وقال : «يَبْعَجُ» . ولم يقل : يَبْقُرُ . وذكر «بنى عقيل» . لأنَّ بشاراً كان يتوَالى إليهم
وذكر «بنى سدوس» . لأنه كان نازلاً فيهم .
واجْتَنَبُ الحروفِ شديداً .

قال : ولما سقطت ثنانياً عبد الملك ^(١) ابن مروان في الطَّسْتِ قال : والله لولا
الخطبة والنساء ما حَفَلْتُ بها .

قال : وخطب الجُمَحِيُّ ، وكان مَزْرُوعَ إحدى الثَّيْتَيْنِ ، وكان يَصْفُرُ إذا تكَلَّمَ ،
وأجاد ^(٢) الخطبة ، وكانت لنكاح ، فردَّ عليه زيد بن علي بن الحسين كلاماً جيداً .
إلا أنه فضَّلَهُ بتمكين ^(٣) الحروف وحسن مَخارج الكلام .

فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك :
صَحَّتْ مَخارجُها وتَمَّ حُرُوفُها فلهُ بذاك مَـزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ
المزية : الفضيلة .

وأما قوله : «ابن باب» فهو ^(٤) عمرو بن عُبيد بن باب ، وهو ^(٥) مولى بنى
العدوية ، من بنى مالك بن حنظلة ، فهذان مُعْتَزِلِيَّان وليسَا من الخوارج ، ولكن
قَصَدَ إسحاق بن سويدٍ إلى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما ،
فقال :

وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا أَشَارُوا بِالسَّلَامِ عَلَى السَّحَابِ

ويروى : * يردُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ *

[مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

ثم نرجعُ إلى ذكر الخوارج .

(٢) ر . «فأجاد» .

(٤) ر : «فإنه» .

(١-١) سافط من ر

(٣) ر : «يتمكن» .

(٥) ر . «وكان»

قال أبو العباس: فلما قتل عليُّ بن أبي طالب أهل النَّهْرَوَانَ، وكان بالكوفة زُهَاءُ أَلْفِينَ مِنَ الْخَوَارِجِ؛ مِمَّنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ، وَقَوْمٌ مِمَّنْ اسْتَأْمَنَ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، فَتَجَمَعُوا وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ طَيْئِهِ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلَى رَجُلًا، وَهُمْ بِالنُّخَيْلَةِ. فَدَعَاهُمْ وَرَفَّقَ بِهِمْ. فَأَبَوْا. فَعَاوَدَهُمْ فَأَبَوْا. فَقَتَلُوا جَمِيعًا، فَخَدَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ نَحْوَ مَكَّةَ. وَوَجَّهَ^(١) مُعَاوِيَةُ مَنْ يُقِيمُ لِلنَّاسِ حَاجَتَهُمْ. فَتَوَافَقُوا وَتَرَاضُوا بَعْدَ الْحَرْبِ بِأَنْ يَصَلَّى بِالنَّاسِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ؛ لِثَلَاثَةِ يَفُوتِ النَّاسَ الْحَجَّ. فَلَمَّا انْقَضَى نَظَرَتِ الْخَوَارِجُ فِي أَمْرِهَا، فَقَالُوا: إِنْ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ قَدْ أَفْسَدَا أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلَوْ قَتَلْنَاهُمَا لَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى حَقِّهِ! وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ: وَاللَّهِ مَا عَمَرُوا دُونَهُمَا، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ هَذَا الْفَسَادِ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ: أَنَا أَقْتُلُ عَلِيًّا. فَقَالُوا: وَكَيْفَ لَكَ بِهِ؟ قَالَ: أَغْتَالُهُ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرِيحِيِّ - وَهُوَ الْبُرْكَ: وَأَنَا أَقْتُلُ مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ زَاذُوِيهِ مَوْلَى بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ: وَأَنَا أَقْتُلُ عُمَرَ. فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ. فَجَعَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةٍ، فَاتَى ابْنَ مُلْجَمٍ الْكَوْفَةَ. فَأَخْفَى نَفْسَهُ وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا قِطَامُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ مِنْ تَيْمِ الرَّبَّابِ، وَكَانَتْ تَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ - وَالْأَحَادِيثُ تَخْتَلِفُ وَإِنَّمَا يُؤَثَّرُ صَحِيحُهَا - وَيُرْوَى فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ^(٢) أَنَّهَا قَالَتْ: لَا أَقْتَنِعُ مِنْكَ إِلَّا بِصَدَاقٍ أَسْمِيَهُ لَكَ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ. وَعَبْدُ وَأَمَّةٌ، وَأَنْ تَقْتُلَ عَلِيًّا. فَقَالَ لَهَا: لَكَ مَا سَأَلْتَ، وَكَيْفَ^(٣) لِي بِهِ؟ قَالَتْ: تَرَوْمُ ذَلِكَ غِيْلَةً، فَإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ، وَأَقَمْتَ مَعَ أَهْلِكَ، وَإِنْ أَصَبْتَ خَرَجْتَ^(٤) إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمٍ لَا يَزُولُ، فَأَنْعَمَ لَهَا^(٥)، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ^(٦):

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرْبٌ عَلَى بِالْحُسَامِ الْمَصْمَمِ^(٤)

(١) ر: «فوجه».

(٢) ر: «الأحاديث».

(٣) ر: «فكيف».

(٤) ر: «سرت».

(٥) أى قال لها نعم.

(٦) قال المرفضي: بل قائله ابن أبي مياس المرادي.

(٧) قبله.

وَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ دُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرِ قِطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ

فلا مَهْرَ أَغْلَى من على وإن غَلا ولا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مُلْجَمٍ
وقد ذكروا أَنَّ القاصِدَ إلى معاويةَ يزيدُ بنَ مُلْجَمٍ، والقاصِدَ إلى عمرو آخرُ
من بَنَى مُلْجَمٍ، وأنَّ أباهم نهاهم، فلمَّا عصوه قال: استَعِدُّوا للموت، وأنَّ أمَّهُمْ
حضَّتُهُمْ على ذلك. والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّةٍ.
فأقامَ ابنُ مُلْجَمٍ، فيقالُ: إنَّ امرأته قَطَامَ لَامَتُهُ، وقالت: ألا تَمْضِي لما
قَصَدْتَ له^(١)! لَشَدَّ ما أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ! قال: إِنِّي قد وَعَدْتُ صاحِبِي وقتًا بعينه -
وكان هناك رجلٌ من أَشْجَعٍ، يقال له شَيْبٌ، فَوَاطَاهُ عبدُ الرَّحْمَنِ.

وَيُرْوَى أَنَّ الْأَشْعَثَ نَظَرَ إلى عبد الرحمن متقلِّدًا سيفًا في بني كِنْدَةَ، فقال:
يا عبدَ الرَّحْمَنِ، أرِنِي سيفَكَ، فأراهُ إياه^(٢)، فَرَأَى سيفًا حديدًا، فقال: ما تَقْلُدُكَ
هذا^(٣) السيفَ وليس بأَوَّانَ حَرْبٍ! فقال: إِنِّي أردتُ أنْ أَنَحِرَ به جَزُورَ القَرْيَةِ!
فَرَكِبَ الْأَشْعَثُ بَغْلَتَهُ، وَأَتَى عَلِيًّا صَلَواتُ اللَّهِ عليه فَخَبَّرَهُ، وقال له: قد عرفتُ
بَسَالَةَ ابنِ مُلْجَمٍ وَفَتَكَه، فقال على: ما قَتَلَنِي بَعْدُ.

وَيُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِوانَ اللَّهِ عليه كان يَخْطُبُ مَرَّةً وَيَذْكُرُ أَصْحَابَهُ، وابنُ
مُلْجَمٍ تَلَقَّاءُ الْمُنْبَرِ، فَسَمِعَ وهو يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا رِيحَنَّهُمْ مِنْكَ! فلمَّا انصَرَفَ على
صَلَواتِ اللَّهِ عليه إلى بيته أَتَى به مُلَبِّيًا، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فقال: ما تريدون؟
فخَبَّرُوهُ بما سَمِعُوا، فقال: ما قَتَلَنِي بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عَنْهُ.

وَيُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا كانَ يَتَمَثَّلُ إِذَا رآه بَيْتَ عَمْرِو بنِ مَعْدَى كَرِبَ في قَيْسِ بنِ
مَكْشُوحِ المُرَادِيِّ - والمَكْشُوحُ هُبَيْرَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذلِكَ لَأَنَّهُ ضُرِبَ على كَشْحِهِ:
أُرِيدُ حِباءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر .

(٣) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

فَيَنْتَفِي مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَكْثَرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَرَادِيُّ: إِنَّ قَضِيَ شَيْءٌ كَانَ، فَقِيلَ لَعَلَى: كَأَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفْتَ مَا يُرِيدُ بِكَ، أَفَلَا تَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَقْتُلُ قَاتِلِي.

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَشَيْبٌ الْأَشْجَعِيُّ، فَاعْتَوَرَا الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ (١) عَلَى يَخْرُجُ (٢) مُغْلَسًا، وَيُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ، فَخَرَجَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، فَضْرِبَهُ شَيْبٌ فَأَخْطَاهُ، وَأَصَابَ سَيْفُهُ الْبَابَ، وَضْرِبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى صَلْعَتِهِ، فَقَالَ عَلَى: فُرِمْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ! شَأْنُكُمْ بِالرَّجُلِ. عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ (٣) مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: سَمِعْتُ كَلِمَةَ عَلَى، وَرَأَيْتُ بَرِيقَ السَّيْفِ، فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ فَأَفْرَجُوا لَهُ، وَتَلَقَّاهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بِقَطِيفَةٍ، فَرَمَى بِهَا عَلَيْهِ، وَاحْتَمَلَهُ فَضْرِبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَكَانَ الْمَغِيرَةُ أَيَّدًا، فَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَمَّا شَيْبٌ فَانْتَزَعَ السَّيْفَ مِنْهُ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، وَصَرَعَهُ وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ. وَكَثُرَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ: عَلَيْكُمْ صَاحِبَ السَّيْفِ، فَخَافَ الْحَضْرَمِيُّ أَنْ يُكْبُوا عَلَيْهِ وَلَا يَسْمَعُوا عُدْرَهُ فَرَمَى بِالسَّيْفِ، وَأَنْسَلَ شَيْبٌ بَيْنَ النَّاسِ فَدَخَلَ (٤) بِابْنِ مُلْجَمٍ (٥). عَلَى عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَأُؤْمِرَ فِيهِ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي جَوَابِهِ، فَقَالَ عَلَى: إِنْ أَعَشَ فَلَا أَمْرَ لِي (٦)، وَإِنْ أَصَبَ فَلَا أَمْرَ لَكُمْ، فَإِنْ أَثَرْتُمْ أَنْ تَقْتَصُوا فَضْرِبَةً بِضْرِبَةٍ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. وَقَالَ قَوْمٌ: بَلْ قَالَ: وَإِنْ (٧) أَصَبَ فَاقْتُلُوهُ فِي مَقْتَلِهِ (٨). فَأَقَامَ عَلَى يَوْمَيْنِ، فَسَمِعَ ابْنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ مِنَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: أَعَلَى مَنْ تَبْكِي أَمْ كُلُّهُمْ (٩)؟ أَعَلَى؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتُ سَيْفِي بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ، وَمَا زِلْتُ أُعْرِضُهُ، فَمَا يَعْيِيهِ أَحَدٌ إِلَّا أَصْلَحْتُ ذَلِكَ الْعَيْبَ، وَلَقَدْ سَقَيْتُهُ (١٠) السَّمَّ حَتَّى لَفَظَهُ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ ضْرِبَةً لَوْ قُسِمَتْ عَلَى مَنْ بِالْمَشْرِقِ لَأَتَتْ عَلَيْهِمْ.

وَمَاتَ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ فِي آخِرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ (١١) فِدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بِالْحَسَنِ (١٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ: إِنَّ لَكَ عِنْدِي سِرًّا. فَقَالَ الْحَسَنُ

(١-٢) ر : «بالمسجد».

(٣-٤) ر : «إي».

(٥-٦) «وإن أصبت فاضربوه ضربة في مقتله».

(٦) هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، روج عمر بن الخطاب.

(٧-٨) ر : «فدعاه الحسن».

(٧) ر : «أسقيته».

رضوان الله عليه: أتدرون ما يريد؟ يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها، فقال: أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها! فقال الحسن: كلا والله، لأضربنك ضربة تؤدّيك إلى النار. فقال: لو علمت أن هذا في يدك^(١) ما اتخذت إلها غيرك، فقال عبد الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادفعه إلى أشف نفسي منه. فاختلفوا في قتله، فقال قوم: أحمي له ميلين وكحله بهما. فجعل يقول: إنك يا بن أخي لتكحل عمك بملمولين^(٢) مضاضين^(٣)، وقال قوم: بل قطع يديه ورجليه، وقال قوم: بل قطع رجله، وهو في ذلك يذكر الله عز وجل. ثم عمد إلى لسانه فشق ذلك عليه. ف قيل له: لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك! فقال: نعم أحببت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً، ثم قتله.

ويروى أن علياً رضي الله عنه أتى بابتن ملجم وقيل له: إنا قد سمعنا من هذا كلاماً ولا^(٤) نأمن قتله لك؟ فقال: ما أصنع به؟ ثم قال على رضوان الله عليه:

اشدّد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكاً^(٥)
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكاً

والشعر إنما يصح بأن تحذف «اشدّد» فتقول:

حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكاً

ولكنّ الفصحاء من العرب يزدون ما عليه المعنى. ولا يعتدون به في الوزن. ويحذفون من الوزن، علماً بأنّ المخاطب يعلم ما يريدونه، فهو إذا قال: «حيازيمك للموت»، فقد أضمر «اشدّد»، فأظهره، ولم يعتد به.

قال: وحدثني أبو عثمان المازني قال: فصحاء العرب ينشدون كثيراً:

(١) ر: «في يدك».

(٢) الملمول: الحبل يكتحل به.

(٣) أي جارين.

(٤) ر: «فلا».

(٥) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: اشدد حيازيمك، أي وطن نفسك على الأمر.

لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ فَافْرَسَ حَمِيرًا^(١)
وإنما الشعر :

* لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضَّبَّابِ إِذَا غَدَا *

وأما الحجاج بن عبد الله الصريمي - وهو البرك - فإنه ضرب معاوية مصلية، فأصاب مأكمته^(٢)، وكان معاوية عظيم الأوراك، فقطع منه عرقاً يقال له^(٣) عرق النكاح، فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد. فلما أخذ قال: الأمان والبشارة، قتل على في هذه الصبيحة، فاستؤني به حتى جاء الخبر، فقطع معاوية يده ورجله، فأقام بالبصرة، ثم بلغ^(٤) زياداً أنه قد ولد له، فقال: أيولّد له وأمير المؤمنين لا يولد له! فقتله. هذا أحد الخبرين.

ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه، وأمر باتخاذ المقصورة، فقبل لابن عباس بعد ذلك: ما تأويل المقصورة؟ فقال: يخافون أن يبهظهم^(٥) الناس.

وأما زاذويه، فإنه أرضد لعمرو، واشتكى عمرو بطنه، فلم يخرج للصلاة. فخرج^(٦) خارجة^(٧)، وهو رجل من بني سهم بن عمرو بن هصيص، رهط عمرو ابن العاص، فضربه زاذويه فقتله، فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمرة قال: أَوَمَا قَتَلْتُ عَمْرًا! قيل: لا، إنما قتلت خارجة، فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة^(٨).

[لأبي زيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب]

وقال أبو زيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :
إن الكرام على ما كان من خلقي رهط أمري خارته للدين مختار
صب بصير بأضغان الرجال ولم يعدل بخبر رسول الله أخبار

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .

(٢) المأكمة : واحدة المأكمتين، وهما اللحمتان اللتان على رءوس الوركين.

(٣) كلمة «له» ساقطة من ر . (٤) ر : «بلغ» .

(٥) يبهظهم : يغلبهم . (٦) ر : «دخرج» .

(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة . (٨) ر : «والله أراد» .

وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إِذْ حَانَ مَوْعِدُهَا وكل شيء له وقتٌ ومقدارٌ
حَتَّى تَنْصَلَّهَا فِي مَسْجِدِ طَهْرٍ على إمامٍ هُدًى إِنْ مَعْشَرَ جَارُوا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَاتِ أَبُو حَسَنِ وأوجبت بعده للقاتل النارُ

قوله: «خارُهُ» يعنى^(١): اختاره، وهو «فَعَلَهُ» و «اِخْتَارَهُ» «افْتَعَلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقتدرَ عليه.

وقوله: «بَصِيرٌ بِأَضْغَانِ الرِّجَالِ»، فهى أسرارُها ومُخْبِأَتُها، قال الله تعالى: ﴿فِيخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾^(٢). والخبرُ العالمُ.

وَيُرَوَّى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ مَرَّ بِيَهُودِيٍّ يَسْأَلُ مُسْلِمًا عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْأَلْنِي وَدَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ حَبْرٌ أَى عَالِمٌ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ تَسْأَلَ عَالِمًا أَجْدَى عَلَيْكَ^(٣).

وقوله: «حَتَّى تَنْصَلَّهَا»، يريدُ استخرجَها.

وقوله «حُمَّتْ»، معناه قُدِّرَتْ.

[لِلْكَمِيَّةِ فِي رِثَائِهِ أَيْضًا]

قال الكُمِيَّةُ:

وَالْوَصِيُّ الَّذِي أَمَالَ التَّجْوِبَ سَى بِهِ عَرْشَ أُمَّةٍ لَانْهَادِمَ
قَتَلُوا يَوْمَ ذَاكَ إِذْ قَتَلُوهُ حَكَمًا لَا كَغَايِرِ الْحَكَّامِ
الْإِمَامَ الزَّكِيَّ وَالْفَارِسَ الْمُعْلَى مَ تَحْتَ الْعَجَاجِ غَيْرَ الْكَهَامِ
رَاعِيًّا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيْمِ هَلْكَ السَّوَامِ^(٤)

قول: «الْوَصِيُّ» فهذا شيءٌ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتُ:

نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ أَحْمَدُ وَالصَّدِيقُ سَقُ مِنَّْا التَّقِيُّ وَالْحَكَمَاءُ

(٢) سورة محمد ٧٣ .

(٤) مسجحا : سهلا .

(١) ر : «إنما هو» .

(٣) ر : «أجدى لك» .

وعلى وجعفر ذو الجناح
وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشر
رجلا من أهله في سجن عارم:

تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنْكَ عَائِدٌ
وصي النبي المصطفى وابن عمه
بَلْ الْعَائِدُ الْمَحْبُوسُ فِي سَجْنِ عَارِمٍ
وَفَكَالُ أَعْنَاقٍ وَقَاضِي مَغَارِمٍ
أَرَادَ ابْنُ وَصِيِّ النَّبِيِّ . وَالْعَرَبُ تُقِيمُ الْمُضَافَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ مَقَامَ
الْمُضَافِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

صَبَّحَنَ مَنْ كَاطِمَةَ الْحُصَّ الْحَرْبِ
يَحْمِلَنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
يريد ابن عباس رضي الله عنه .

وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك :
وَرِثْتُمْ ثِيَابَ الْمَجْدِ فَهِيَ لَبُوسُكُمْ
عن ابني مناف عبد شمس وهاشم
يريد ابني عبد مناف .

[لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيِّ فِي آلِ الْبَيْتِ]

وقال أبو الأسود :

أَحَبُّ مَحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا
أَحَبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى
هُوَّى أَعْطِيَتْهُ مِنْذَ اسْتِدَارَتِ
يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ بَنُو قَشِيرٍ :
بَنُو عِمِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبُوهُ
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أَصْبَهُ
وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةً وَالْوَصِيَّ
أَجَىءَ إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوًى
رَحَى الْإِسْلَامَ لَمْ يَعْدِلْ سَوِيًّا (١)
طَوَالَ الدَّهْرَ مَا تَنْسَى عَلِيًّا !
أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيَّ
وَلَيْسَ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا (٢)

(١) زيادات ر : «السوى والسواء : الذى قد سوى الله خلقه ، لازمانة به ولاداء ؛ وفى القرآن : ﴿بشرا سوياء﴾ ،
وتقول : ساويت ذاك بهذا الأمر ، أى جعلته مثالا له .

(٢) زيادات ر : «ويروى : وليست» .

وكان بنو قُشَيْرِ عُثْمَانِيَّةً، وكان أبو الأسود نازلاً فيهم، فكانوا يَرْمُون بالليل، فإذا أصبح شكوا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له^(١): ما نحن نرْمِيكَ ولكنَّ الله يرميك! فقال: كذبتُم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني.

قال: وكان نُقْشُ خاتمه:

يا غَالِبِي حَسْبُكَ مَنْ غَالِبٍ اَرْحَمُ عَلَىَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ
وقوله: «غيرَ الكَهَام» فالكَهَامُ: الكليلُ من الرجال والسيوف، يقال: سيفٌ كَهَامٌ. وقوله:

رَاعِيَا كَانَ مُسَجِّحًا فَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلُكَ السَّوَامِ
فالمُسِيمُ الذي يُسِيمُ إبله أو غنمه ترعى، وكذلك كلُّ شيءٍ من الماشية، فجَعَلَ الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يُسِيمُها وَيَسُوسُها وَيُصْلِحُها، ومتى لَمْ يَرْجِعْ أمرُ الناسِ إلى واحدٍ فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأُمُورهم.

قال ابنُ قيسِ الرُّقِيَّاتِ:

أيُّهَا الْمَشْتَهَى فَنَاءَ قَرِيْشٍ بيدَ اللهِ عَمْرُهَا وَالْفَنَاءُ
إِنْ تُودَّعَ مِنَ الْبِلَادِ قُرَيْشٌ لَا يَكُنْ بَعْدَهُمْ حَيٌّ بَقَاءُ
لَوْ تَقَفَّى وَيُتْرَكُ النَّاسُ كَانُوا غَنَمَ الذُّبِّ غَابَ عَنْهَا الرَّعَاءُ

وقال الحَمِيرِيُّ يعني علياً رضوانُ الله عليه:

كَانَ الْمُسِيمَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا لِمَنْ لَزِمَ الطَّرِيقَةَ وَاسْتَقَامَ مُسِيمَا
وَلَمَّا سَمِعَ عَلَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ نِدَاءَهُمْ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» قَالَ: كَلِمَةٌ
عَادِلَةٌ يُرَادُ بِهَا جَوْرٌ، إِنَّمَا يَقُولُونَ: لَا إِمَارَةَ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِمَارَةٍ بَرَةٍ أَوْ فَاجِرَةٍ.

وَرَوَوْا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَوْصَى إِلَى الْحَسَنِ فِي وَقْفِ أَمْوَالِهِ وَأَنْ يَجْعَلَ فِيهَا ثَلَاثَةً مِنْ مَوَالِيهِ وَقَفَ فِيهَا عَيْنَ أَبِي نِزَرٍ^(٢) وَالْبُغْيِغَةَ فَهَذَا^(٣) غَلَطَ. لِأَنَّ وَقْفَهُ هَذَيْنِ^(٤) الْمَوْضِعَيْنِ لِسِتَّتَيْنِ مِنْ خِلَافَتِهِ.

(١) كلمه «له» ساقطة من ر

(٢) كذا صط في الأصل. نسخ النون، وفي حاشيته عن الصحاح: «نيزر» بكسر الون.

(٣) ر «وهذا».

(٤) ر: «لهذين».

[وقفه عين أبي نيزر]

حدثنا أبو محمّد بن هاشم في إسناده ذكره أخوه أبو نيزر، وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم، قال: وصحّ عندي بعد أنه من ولد النجاشي^(١) - يعني أبا نيزر^(٢) - فرغب في الإسلام صغيراً، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم، وكان معه في بيوته، فلما توفّي رسول الله ﷺ صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام، قال أبو نيزر: جاءني على بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيّعتين: عين أبي نيزر والبغيغة^(٣). فقال لي: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمر المؤمنين، قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة سنخة^(٤)، فقال: على به، فقام إلى الربيع وهو جدول - فغسل يده، ثم أصاب من ذلك شيئاً، ثم رجع إلى الربيع، فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كل واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حساً^(٥) من ماء الربيع، ثم قال: يا أبا نيزر، إن الأكف أنظف الآنية، ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم أخذ المعوك^(٦) وانحدر في العين، فجعل يضرب، وأبطأ عليه المساء، فخرج وقد تفضج جبينه عرقاً^(٧). فانتكف العرق عن جبينه، ثم أخذ المعوك وعاد إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وجعل يههم^(٨) فانتكف كأنها عنق^(٩) جزور، فخرج مسرعاً، فقال: أشهد الله أنها صدقة، على بدواة وصحيفة، قال: فعجّلت بهما إليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدق به عبد الله على أمير المؤمنين، تصدق بالضيّعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقى الله بها وجهه حرّ النار يوم القيامة، لا تباعاً ولا توهباً حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق^(٩) لهما، وليس لأحد غيرهما.

(١-١) ساقط من ر .

(٢) البغيغة : عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل .

(٣) الإهالة : ما أذيب من الشحم والسنخة : المتغيرة الريح .

(٤) حسا : جمع حسوة؛ وهي الشربة ملء الفم .

(٥) المعول : الفأس العظيمة ينقر بها في الصخور .

(٦) تفضج جبينه عرقا : سال .

(٧) بههم، من الهمهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر .

(٨) يقال انثال الرمل انثيالا، إذا تبع بعضه بعضاً؛ وهو هنا على الاستعارة .

(٩) طلق : أى حلال .

قال محمد بن هشام: فركب الحسين رضى الله عنه ديناً، فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى أن يبيع، وقال: إنما تصدق بها أبى ليقى الله بها وجهه حرّ النار، ولست بأئعها بشيء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم، وهو وإلى المدينة: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أحب أن يرُدَّ الألف، ويسلَّ السخيمة، ويصلَّ الرحم، فإذا ورد عليك^(١) كتابي هذا^(٢) فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين، وارغب له في الصداق.

فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية^(٣)، وأعلمه بما في ردِّ الألف من صلاح ذات اليمين، واجتماع الدعوة، فقال عبد الله: إن خالها الحسين يبيع، وليس ممن يفتات عليه بأمر، فأنظرني إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر. فقام من عنده فدخل إلى الجارية، فقال: يا بنية، إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحللتك البغيغات، فلما حضر القوم للإملاك^(٤) تكلم مروان بن الحكم، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوجها من القاسم بن محمد. فقال له مروان: أغدراً يا حسين. فقال: أنت بدأت، خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان، واجتمعنا لذلك، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير، فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله، أكان ذاك؟ قال: اللهم نعم، فلم تزل هذه الضيعة في أيدي^(٥) بنى عبد الله بن جعفر، من ناحية أم كلثوم، يتوارثونها، حتي ملك أمير المؤمنين المأمون، فذكر ذلك له، فقال: كلا. هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فانتزعها من أيديهم، وعوضهم عنها، وردّها إلى ما كانت عليه.

(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

(١) ر : «وصل إليك» .

(٣) في الأصل : «أمير المؤمنين»، وما أثبتته عن ر .

(٥) ر : «يدى» .

(٤) الإملاك : عقد النكاح .

[حديث على مع الخوارج في أول خروجهم عليه]

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ عليٍّ بن أبي طالب رحمه الله .

قال: وَيُرَوَّى^(١) أن عليًّا في أول خروج القوم عليه دَعَا صَعَصَعَةَ بن صوحان العبدى، وقد كان وجهه إليهم، وزياد بن النَّضْرِ الحارثي مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعة: بأى القوم رأيتم أشدَّ إطاعة؟ فقال: بيزيد بن قيس الأرحبى، فركب على إليهم إلى حروراء، فجعل يتخلَّلهم حتى صار إلى مَضْرِبِ يزيد بن قيس. فصلَّى فيه ركعتين. ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس، ثم قال: هذا مقامٌ مَنْ فَلَجَ^(٢) فيه فلج يوم القيامة، أَشَدُّكُمْ اللهُ، أَعْلَمْتُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ كان أكرهَ للحكومة مني! قالوا: اللهم لا. قال: أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فَعَلَامَ خالفتُموني وَنابذتُموني؟ قالوا: إِنَّا أَتَيْنَا ذَنْبًا عَظِيمًا، فَتُبْنَا إِلَى اللهِ، فَتَبَّ إِلَى اللهِ مِنْهُ وَاسْتَغْفِرْهُ نَعْدُ لَكَ. فقال عليٌّ: إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ. فرجعوا معه، وهم ستة آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليًّا رَجَعَ عن التحكيم وراه ضلالا، وقالوا: إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْمَنَ الْكَرَاعُ^(٣)، وَيُجِبَى الْمَالُ، فَيَنْهَضَ إِلَى الشَّامِ. فَأَتَى الْأَشْعَثُ بن قيس عليًّا عليه السلام فقال: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَلَالًا وَالْإِقَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا. فَخَطَبَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنِّي رَجَعْتُ عَنْ الْحُكُومَةِ فَقَدْ كَذَبَ، وَمَنْ رَأَاهُ ضَلَالًا فَهُوَ أَضَلُّ. فَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَحَكَمَتْ. فَقِيلَ لِعَلِيِّ: إِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُونِي وَيَسْفَعُلُونِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بن العباس، فلما صار إليهم رَحَبُوا بِهِ وَأَكْرَمُوهُ، فَرَأَى مِنْهُمْ جَبَاهًا قَرِحَةً^(٤) لَطُولِ السُّجُودِ. وَأَيْدِيًا كَثِفَنَاتِ الْإِبِلِ^(٥)، وَعَلَيْهِمْ^(٦) قُمْصٌ مَرَحَضَةٌ^(٧). وَهُمْ مُشْمِرُونَ، فَقَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ

(١) ر: «يروي». (٢) فليج: انتصر.

(٣) الكراع: اسم لجماعة الخيل.

(٤) قرحة: بها قروح.

(٥) ثنات الإبل: ما يصيب الأرض منها إذا بركت.

(٦) ر: «عليهم».

(٧) قمص مرحضة مغسولة، من أرحض الثوب، غسله.

عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، وأعلمنا بربه وسنة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: 'إنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله، فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا. فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم! أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: فأشهدكم الله فهل (١) علمتم أن رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم، ولكن عليًا معًا نفسه من إمارة المسلمين، قال ابن عباس: ليس ذلك بمنزلة ما عنه وقد محّا رسول الله ﷺ اسمه من النبوة، وقد أخذ عليٌّ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى علي، قال: فأيهما رأيتموه أولى فولّوه، قالوا: صدقت، قال ابن عباس: ومتى (٢) جآر الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. قال: فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف، فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء، وقال: متى كانت حرب فرئيسكم شبت بن ربعي الرياحي، فلم يزلوا على ذلك يومين، حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي، قال: ومضى القوم إلى النهروان (٣)، وكانوا أرادوا المضي إلى المدائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني، فقالوا: أحفظوا ذمة نبيكم (٤).

ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا له (٥): 'إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك، فقال (٦): 'ما أحيا القرآن فأحيوه، و ما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبة فوضعا في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله،

(١) ر : «هل» . (٢) ر : «متى» .

(٣) زيادات ر : «قال الأخفش: كذا كان يقول المبرد: «النهروان. بكسر النون والراء، وإنما هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل في شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم» .

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهي في الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال» .

فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فقال عبدُ الله بن خَبَّابٍ: ما علىَّ منكم بأسٌ، إني لمُسْلِمٌ، قالوا له: حَدِّثْنَا عَنْ أَبِيكَ؟ قال: سمعتُ أباي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتنةٌ يموتُ فيها قلبُ الرجلِ كما يموتُ بدنه، يُمسى مؤمناً ويصبحُ كافراً، فكنْ عبدَ الله المقتولَ، ولا تكنِ القاتلَ».

قالوا: فما تقولُ في أبي بكرٍ وعمر؟ فأثنى خيراً، فقالوا: ما^(١) تقولُ في عليٍّ أميرِ المؤمنين قبل التَّحْكِيمِ، وفي عثمانٍ ستِّ سنين؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقولُ في الحكومةِ والتَّحْكِيمِ؟ قال: أقول إنَّ علياً أعلمُ بالله منكم^(٢)، وأشدُّ توقُّفاً على دينه، وأبعد^(٣) بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تتَّبِعُ الهدى، إنما تتَّبِعُ الرجالَ على أسمائِها.

ثم قرَّبوه إلى شاطئِ النهر فذَبَحُوهُ، فامْذَقَر دَمُهُ، أى جَرى مستطيلاً على دَقَّةٍ.

وسامُوا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هيَ لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بثمن. قال: ما أعجَبَ هذا؟ أَتَقْتُلُونَ مِثْلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ ولا تقْبُلُونَ مِنَّا جَنَى نَخْلَةٍ؟

[غِيلَانُ بن خَرْشَةَ ونيله منهم]

ومن طريف أخبارهم أن غِيلَانَ بن خَرْشَةَ الضَّبِّيَّ سَمَرَ ليلةً عند زيادٍ ومعه جماعةٌ، فذَكَرَ أمرُ الخوارجِ، فأَنحَى عليهم غِيلَانُ، ثم انصرف بعد ليلٍ إلى منزله، فلقيه أبو بلالٍ مِرْدَاسُ بن أدِيَّةَ، فقال له: يا غِيلَانُ، قد بَلَغَنِي ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفاسقِ، من ذكر هؤلاء القوم الذين شَرَوْا أَنفُسَهُمْ وابتاعوا آخرتهم بديناهم! ما يُؤْمِنُكَ أن يلقاك رجلٌ منهم، أَحْرَصُ واللَّهِ على الموت منك على الحياة، فَيُنْفَذَ حِضْنِيكَ^(٤) بِرُمَحِهِ؟ فقال غِيلَانُ: لَنْ يَبْلُغَكَ أَنِّي ذَكَرْتُهُمْ بعدَ الليلةِ.

[مِرْدَاسُ بن أدِيَّةَ وزياد]

ومِرْدَاسٌ تَنَتَحَلُهُ جماعةٌ من أَهْلِ الأَهْوَاءِ، لَقَشَفَهُ وبَصِيرَتَهُ، وصحة عبادته، وظهور ديانته وبيانه؛ تَنَتَحَلُهُ المعتزلةُ، وتزعمُ أنه خَرَجَ منكراً لجورِ السلطانِ، داعياً

(٢) ر: «أعلم بكتاب الله».

(٤) الحِضْنان: ناحيتا الإنسان. والجمع أحضان.

(١) ر: «فما تقول».

(٣) ر: «وأنفذ».

إلى الحق، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيثُ قال على المنبر: والله لا آخذَنَّ المحسنَ منكم بالمسيءِ، والحاضرَ منكم بالغائب، والصَّحيحَ بالسَّقيم، ^(١) والمطيعَ بالعاصي ^(٢). فقام إليه مرداسٌ فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان، وما هكذا ذكر الله عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيمَ عليه السلام، إذ يقول: ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ ^(٣) وأنتَ تزعمُ أنك تأخذُ المطيعَ بالعاصي. ثم خرجَ في عَقَبِ هذا اليوم.

والشَّيْعُ تتحلَّه، وتزعمُ أنه كَتَبَ إلى الحسين بن عليٍّ صلواتُ الله عليه: إنِّي لَسْتُ أرى رأَى الخوارج، وما أنا إلا على دينِ أبيك.

[آراء الفقهاء في مذهب الخوارج]

وهذا رأىٌ قد استهوى جماعة من الأشراف. يُروى أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجارودِ كان يرى رأى الخوارج. وكان يزيدُ بنُ أبي مسلمٍ مولى الحجاج بن يوسفَ يراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنٍ صاحب ديوان العراق يراه، وكان عدَّةٌ من الفقهاء يُنسَبون إليه ^(٣) ولعل هذا يكون باطلاً ^(٣)، منهم عكرمة مولى ابن عباس. وكان يقال ذلك في مالك بن أنس.

ويروى الزُّبَيْرِيُّونَ: أنَّ مالكَ بن أنسٍ المَدِينِيَّ ^(٤) كان يَذْكُرُ عثمانَ وعليًّا وطلحةَ والزُّبَيْرَ فيقول: والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر ^(٥).

(١-١) ساقط من ر.

(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١.

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) حاشية س: «قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس النقيع المدني المشهور صاحب المذهب. وليس الأمر كذلك. وهذا تقصير أو قصور من أبي العباس، حيث أبهم في موضع البياض، لأن مالكا المذكور هنا هو مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكري. ثم البصري. أحد رؤساء أهل البصرة. وأعظم فقهاؤها في زمانه. لشرف بيته وتقدمه في معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج. ولم يوقف لأمره على حقيقة، الله أعلم أي ذلك كان. وأما الإمام مالك بن أنس المدني الأصحح الحميري فهو الذهب الإبريز صماء. والكبريت الأحمر عزة».

(٥) الثريد الأعفر: الأبيض. ليس بالشديد البياض. يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفي.

فأما أبو سعيد الحسن البصري فإنه كان يُنكهرُ الحكومة، ولا يرى رأيهم، وكان إذا جلسَ فتمكّن في مجلسه ذكرَ عثمانَ فترحمَ عليه ثلاثاً، ولعن قتله ثلاثاً، ويقول: لو لم نلّعنهم للُعنا، ثم يذكرُ عليّاً فيقول: لم يزلُ أميرُ المؤمنين على رحمة الله يتعرّفه^(١) النصرُ، ويساعده الظفرُ، حتى حكّم، فلم تحكّم والحق معك! ألا تمضي قدماً لا أبالك وأنت على الحق!

قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاء، والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والإغراء، وربما استعملتها الجفأة من الأعراب عند المسألة والطلب، فيقول القائلُ للأميرِ والخليفة: انظر في أمر رعيّتك لا أبالك! وسمعَ سليمانُ بن عبد الملك رجلاً من الأعراب في سنة جدبة^(٢) يقول:

رَبِّ الْعِبَادِ مَا لَنَا وَمَا لَكَ
قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَأَ لَكَ

﴿ أنزل علينا الغيث لا أبالك ﴾

فأخرجه سليمان أحسن مخرج، فقال: أشهد أنه لا أبأ له ولا وكد ولا صاحبة [وأشهد أن الخلق جميعاً عباده]^(٣).

وقال رجلٌ من بني عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه:

أَبْنَى عُقْلٍ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ أَيْ وَأَيُّ بَنَى كِلَابٍ أَكْرَمُ

وقال رجلٌ من طيّ، أنشده أبو زيد الأنصاري:

يا قُرْطُ قُرْطَ حَيٍّ لَا أَبَالَكُمْ	يا قُرْطُ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذِرُ
أَأَنْ رَوَى مَرْقَسٌ وَاصْطَافَ أَعْنَزُهُ	مَنْ التَّلَاعِ الَّتِي قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ
قَلْتُمْ لَهُ أَهْجُ تَمِيمًا لَا أَبَالَكُمْ	فِي كَفِّ عَبْدُكُمْ عَنْ ذَاكُمْ قَصْرُ
فَإِنْ بَيْتَ تَمِيمٍ ذُو سَمِيعَتَ بِهِ	فِيهِ تَنَمَّتْ وَأَرَسَتْ عِزُّهَا مَضَرُ

(٢) ر: «جدبية».

(١) س: «يتعرّفه».

(٣) تكملة من ر.

قوله : «يا قُرْطَ قُرْطَ حَيٍّ» نَصَبُهُمَا مَعَا أَكْثَرُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَتَأْوِيلُهَا :
 أَنَّهُمْ أَرَدُوا «يَا قُرْطَ حَيٍّ» فَأَفْحَمُوا «قُرْطًا» تَوْكِيدًا، وَكَذَلِكَ لَجَرِيرٌ^(١) :
 يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوْءَةٍ عُمَرُ
 وَمِثْلُهُ لِعُمَرَ بْنِ لَجِجٍ^(٢) :

يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبُلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَاَنْزِلِ^(٣)
 فَإِنْ لَمْ تُرِدِ التَّوْكِيدَ وَالتَّكْرِيرَ لَمْ يَجْزُ إِلَّا رَفْعُ الْأَوَّلِ : «يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ»
 وَ «يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ»، كَمَا تَقُولُ : «يَا زَيْدَ أَخَا عَمْرٍو» عَلَى النَّعْتِ. وَمِثْلُ الْأَوَّلِ فِي
 التَّوْكِيدِ «يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ» أَرَادَ يَا بُؤْسَ الْحَرْبِ فَأَفْحَمَ اللَّامَ تَوْكِيدًا، لِأَنَّهَا تَوْجِبُ
 الْإِضَافَةَ. وَعَلَى هَذَا جَاءَ «لَا أَبَاكَ» وَ «لَا أَبَا لَزِيدٍ»، وَلَوْلَا الْإِضَافَةُ لَمْ تُثَبِتِ
 الْأَلْفَ فِي الْأَبِ، لِأَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ أَبَاكَ، فَإِذَا أَفْرَدْتُ قُلْتَ : هَذَا أَبٌ صَالِحٌ، وَإِنَّمَا
 كَانَتْ «لَا أَبَاكَ» كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَبَا الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِّي مُلَاقِي لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي
 وَقَالَ آخَرُ :

وَقَدْ مَاتَ شَمَّاخٌ وَمَاتَ مُزَرَّدٌ وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا أَبَاكَ يُخَلِّدُ
 وَقَوْلُهُ : «أَنَّ رَوَى مِرْقَسٌ» «مِرْقَسٌ» رَجُلٌ. وَرَوَى : اسْتَقَى لِأَهْلِهِ، يُقَالُ :
 فُلَانٌ رَأَوِيَّةٌ أَهْلُهُ، إِذَا كَانَ يَسْتَقِي لِأَهْلِهِ، وَالتَّى عَلَى الْبَعِيرِ وَالْحِمَارِ مَزَادَةٌ^(٤) فَإِذَا
 كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ وَكَانَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ آدَمَةٍ^(٥) فَهِيَ الْمُثَلَّثَةُ. وَأَصْغَرُ مِنْهَا السَّطِيحَةُ^(٦)،
 وَأَصْغَرُهُنَّ الطَّبَعُ^(٧) :

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : «يَهْجُو عَمْرُ بْنُ لُجَا التَّيْمِيَّ»، وَقَبْلَهُ كَمَا فِي الْدِيَوَانِ ٢٨٥ :
 أَتَبْتَغِي السَّيِّمَ عِذْرًا بَعْدَ مَا غَدَرُوا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ تَيْمٍ إِذَا اعْتَذَرُوا
 لَا تَتَمَنَّوْنَ لَكُمْ عَرَسًا وَمَا لَكُمْ إِلَّا بِغْيِيرِكُمْ وَرَدٌّ وَلَا صَدْرٌ

(٢) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : هَذَا غَلَطٌ، صَوَابُهُ : لَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْخَزْرَجِيُّ يَقُولُهُ لَزِيدُ بْنُ أَرْقَمٍ .
 (٣) الْيَعْمَلَاتُ : جَمْعُ يَعْمَلَةٍ ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ . وَالذُّبُلُ : الضَّوَامِرُ .
 (٤) الْمَزَادَةُ : هِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ جِلْدَيْنِ يَزِيدُ بَيْنَهُمَا نِصْفُ جِلْدٍ .
 (٥) آدَمَةٌ : جَمْعُ أَدِيمٍ، وَهُوَ الْجِلْدُ .
 (٦) السَّطِيحَةُ : الَّتِي تَكُونُ مِنْ جِلْدَيْنِ، يُقَابِلُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ .
 (٧) الطَّبَعُ، قَالَ الْمَرْصُفِيُّ : لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ ذَكَرَهُ إِلَّا فِي الْأَسْقِيَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَاءِ السَّقَاءِ .

وقوله: «واصْطَافَ أَعْنَزُهُ»، يريدُ «افْتَعَلَتْ»، من الصَّيْفِ، أى أصابت البقلَ فيه .

والتَّلْعَةُ: ما ارتفعَ من الأرضِ فى مُسْتَقَرِّ الْمَسِيلِ إذا تجافى السَّيْلُ عن مَتْنِهِ، وجمعه تَلَاعٌ .

وقوله: «ذُو سَمَعَتْ بِهِ» يريد الذى ، وكذلك تفعلُ طَيِّئٌ . تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الْخَيْلِ لِبْنَى فَزَارَةَ، وذكر عامرَ بنِ الطُّفَيْلِ فقال:

❖ إِنِّى أَرَى فى عامِرٍ ذُو تَرَوْنُ ❖

وقال عارقُ الطَّائِيُّ:

فإن لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعلْتُمُ لَأَنْتَجِينَ للعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ^(١)

يريد الذى .

ومن ظُرَفَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الْيَمَانِيَّةِ مَنْ يَعْمَلُ هَذَا اعْتِمَادًا لِإِثَارِ لُغَةٍ قَوْمِهِ .

قال الحسنُ بنُ هانئٍ الحَكَمِيُّ :

حُبُّ الْمُدَامَةِ ذُو سَمَعَتْ بِهِ لَمْ يُبْقِ فِى لَغِيرِهَا فَضْلاً

وقال حَبِيبُ بنِ أَوْسٍ الطَّائِيُّ :

أَنَا ذُو عَرَفْتِ فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ فَأَنَا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُدَّالِ

وقال الحسنُ بنُ وَهْبٍ الْحَارِثِيُّ :

وَاسْقِيَانِي أَوْلاً فَمَنْ تَسْقِيَانِ

مَنْ إِنْ عَزَّ جَانِبَ النَّدْمَانِ

عِ بَصَدَقِ الطَّعَّانِ يَوْمَ الطَّعَّانِ

عَلَّلَانِي بِذِكْرِهَا عَلَّلَانِي

أَنَا ذُو لَمْ يَزَلْ يَهُوْنُ عَلَى النَّدْمِ

وَيَكُونُ الْعَزِيزُ فِي سَاعَةِ الرَّوِّ

(١) لَأَنْتَجِينَ : لأفصدن . وعارقه، من عرق العظم يعرقه؛ بالضم عرقاً؛ أخذ اللحم عنه بأسنانه بهشاً؛ وبهذا البيت سُمي عارقاً .

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج^(١):

قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لدُّ واحتجاجٌ، على كثرة خطبائهم وشُعرائهم، ونفاذ بصيرتهم، وتَوَطُّين أنفُسِهِم على الموت، فمنهم الذي طُعِنَ فأنفذَهُ الرُّمَحُ فجعل يسعى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبُّ لَتَرْضَى﴾^(٢).

ويروى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قال: «سيماهم التَّحْلِيْقُ»^(٣)، يقرءون القرآن لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ مَخْدَجُ الْيَدِ»^(٤).

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «رجلٌ يُقالُ له عَمْرُو ذُو الْخَوَيْصِرَةِ»، أو «الْخَنْيَصِرَةِ».

وروى عن النبي ﷺ: أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ، إلى أن صَلَّى النبيُّ عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله؟» فحَسَرَ أبو بكرٍ عن ذِراعِهِ وانتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوه، ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال: «أقتلُ رجلاً يقولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» فقال النبيُّ عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعلُ؟» ففعلَ عمرٌ مثلَ ذلك، فلما كان في الثالثة قصدَ له علىُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام فلم يَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَةٍ وآخرها».

[حديث المَخْدَج]

ويروى عن أبي مَرِيَمَ عن علىِّ بن أبي طالبٍ رضى الله عنه أنه ذَكَرَ الْمَخْدَجُ عندَ النبي عليه السلام، فقال أبو مريم: والله إن كان معنا لفي المسجد وكان فقيراً، وكان يحضُرُ طعامَ علىٍّ إذا وضعه للمسلمين، ولقد كسوتهُ ثُرساً لى، فلما خَرَجَ القومُ إلى حَرَوَاءَ قلتُ: والله لأنظرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتخللهم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».

(٢) سورة طه ٨٤.

(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم خلق الرءوس.

(٤) مخدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إِلَى ابْنِ الْكَوَاءِ وَشَبَّثَ بِنِ رُبْعَى، وَرَسَلُ عَلَى تَنَاشُدِهِمْ، حَتَّى وَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ عَلَى رَسُولِ لَعْلَى، فَضَرَبَ دَابَّتَهُ بِالسَّيْفِ، فَحَمَلَ الرَّجُلَ سَرَجَهُ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ثُمَّ انْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى الْكُوفَةِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى كَثَرَتِهِمْ كَأَنَّمَا يَنْصَرِفُونَ مِنْ عِيدٍ، فَرَأَيْتُ الْمُخَدَّجَ، وَكَانَ مِنِّي قَرِيبًا، فَقُلْتُ: أَكُنْتَ مَعَ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: أَخَذْتُ سِلَاحِي أُرِيدُهُمْ، فَإِذَا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّبِيَّانِ قَدْ عَرَضُوا لِي فَأَخَذُوا سِلَاحِي، وَجَعَلُوا يَتَلَاعَبُونَ بِي فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّهْرِ قَالَ عَلِيٌّ: اطْلُبُوا الْمُخَدَّجَ. فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، حَتَّى سَاءَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَحَتَّى قَالَ رَجُلٌ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هُوَ فِيهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، فِجَاءَ رَجُلٍ فَقَالَ: قَدْ أَصْبَنَاهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَخَرَّ عَلَى سَاجِدًا، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ مَا يُسَرُّ بِهِ مِنَ الْفَتْوحِ سَجَدَ، وَقَالَ: لَوْ أَعْلَمْتُ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْهُ لَفَعَلْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: سَيَمَاهُ أَنْ يَدَهُ كَالثَّدْيِ، عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ كَشَارِبِ السَّنُورِ، إِيْتُونِي بِيَدِهِ الْمُخَدَّجَةَ، فَأَتَوْهُ بِهَا فَنَصَبَهَا.

[مِنْ أَخْبَارِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ]

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي الْجَلْدِ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْحَنْفَى وَإِلَى نَظَرِهِ وَتَوَغَّلَهُ وَتَعَمَّقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي لِأَجِدُ لَجْهَنِمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَإِنَّ أَشَدَّهَا حَرًّا لِلْخَوَارِجِ، فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.

قَالَ: وَكَانَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ يَنْتَجِعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ فَيَسْأَلُهُ، فَلَهُ عَنْهُ مَسَائِلُ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، قَدْ رَجَعَ إِلَيْهِ فِي تَفْسِيرِهَا، فَقَبَّلَهُ وَأَتَتْحَلَّهُ، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مِنْهَا صَدْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

حَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَّابَةَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ وَعِنْدَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْإِحْتِجَاجَ بِاللُّغَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾^(١)، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا جَمَعَ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُ ذَلِكَ الْعَرَبُ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ:

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إِنْ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مُسْتَوْسِقَاتٌ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا
هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وهو الحقُّ الذي لا يَقْدَحُ فيه قَادِحٌ. وَيَعْرَضُ القولُ
فيحتاجُ المبتدئُ إلى أَنْ يَزْدَادَ في التفسيرِ.

قوله: «حَقَائِقًا» إِنَّمَا بَنَى الْحَقَّةَ مِنَ الْإِبْلِ - وهي التي قد اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُحْمَلَ
عليها - عَلَى «فَعِيلَةٍ» مِثْلَ «حَقِيقَةٍ» وَلِذَلِكَ جَمَعَهَا عَلَى «حَقَائِقٍ» وَيُقَالُ:
«اسْتَوْسَقَ الْقَوْمُ، إِذَا اجْتَمَعُوا».

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ - وَرَوَى ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَ سَمِعْنَاهُ مِنْ غَيْرِ
وَجْهٍ - أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(١) فَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: الْجَدُولُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّوَاهِدِ، فَأَنْشَدَهُ:

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهَا أَزُورًا إِذَا يَعْبُجُ فِي السَّرِيِّ هَرَهَرًا
السَّلْمُ: الدَّلْوُ الَّتِي لَهُ عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ دَلْوُ السَّقَّائِينَ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ
طَرَفَةُ فَقَالَ:

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا أَمِيرًا بَسَلَمَى دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ^(٢)
وَالدَّالِجُ: الَّذِي يَمْشِي بِالدَّلْوِ بَيْنَ الْبِئْرِ وَالْحَوْضِ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ
يُنْشِدُونَ: «تَرَى الدَّالِيَّ مِنْهُ أَزُورًا» وَهَذَا خَطَأٌ لَا وَجْهَ لَهُ.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ: أَنَّ نَافِعًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ
زَنِيمٌ﴾^(٣): مَا الزَنِيمُ؟ قَالَ: هُوَ الدَّعَى الْمَلْزُوقُ، أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:
زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

يَزْعُمُ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اسْتِشْقَاقَ ذَلِكَ مِنَ الزَّئِمَةِ الَّتِي بَحَلَقَ الشَّاةَ، كَمَا يَقُولُونَ لِمَنْ
دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ: رَعْنَفَةٌ^(٤)، وَلِلْجَمْعِ رَعَانِفٌ، وَالزَّعْنَفَةُ: الْجَنَاحُ مِنْ
أَجْنَجَةِ السَّمَكِ.

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهواندماج مرفق الناقة .

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر : «الأم : زعنفة بالكسر» .

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعْنَفَة»، والناسُ كلهم يقولون: «زَعْنَفَة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

ويُرْوَى عن غير أبي عُبَيْدَةَ أنه سألَه عن قوله جَلَّ اسمُه: «والتفت السَّاقُ بالسَّاق»^(١)، قال: الشَّدةُ بالشَّدة، فسألَه عن الشاهد فأنشده:
أخو الحُرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهَا وإن شَمَرْتُ عن ساقِها الحربُ شَمَرًا

قال أبو العباس: وقرأتُ على عُمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التي يهجو فيها آل المهلب بن أبي صفرة، ويمدحُ هلال بن أخوز المازني، ويذكر الوقعة التي كانت لهم عليهم بالسند في سلطان يزيد بن عبد الملك، بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه:

أقولُ لها من ليلة ليس طولها	كطُول الليالي لَيْتَ صُبْحَكَ نَوْرًا
أخافُ على نفسِ ابنِ أخوز ^(٢) إنه	جَلَا حُمَمًا فوقَ الوجوه فأسْفَرًا
جَعَلْتَ لِقَبْرِ للخيارِ ومالك	وقبرِ عدى في المقابرِ أقْبَرًا ^(٣)
وأطفأت نيرانَ المزونِ وأهلها	وقد حاولوها فِتْنَةً أن تسْعِرًا ^(٤)
فلم تُبقِ منهم رايةً يَعْرِفُونَهَا	ولم تُبقِ من آلِ المهلبِ عَسْكَرًا
ألا رُبَّ سَامِي الطرفِ من آلِ مازن	إذا شَمَرْتُ عن ساقِها الحربُ شَمَرًا

فهذا نظيرُ ذلك. والمزون: عُمَانُ، قال الكُمَيْتُ:

(١) سورة القيامة ٢٩.

(٢) زيادات ر: «قال الشيخ أبو يعقوب: الذي رويت في شعر جرير:

حذارًا على نفسِ ابنِ أخوزَ إنه جَلَا كُلَّ وجهٍ من معدٍّ فأسْفَرًا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبي يعقوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أوطاة الغزاري. قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيها أيضا «ويروى: للخيار بواسط.

الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعي. وواسط بها قبر عدى بن أوطاة الغزاري».

(٤) زيادات ر: «المزون عمان بالفارسية».

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا
وقال آخرُ يعنى الحرب :

فإن شمِرتَ لك عن ساقِها فوَيْهَا حُذِيفَ وَلَا تَسَامُ^(١)

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ نَافِعَ بْنِ الْأَزْرَقِ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ
فَقَالَ: أَرَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ مَا خَوَّلَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ، كَيْفَ عُنِيَ بِالْهَدْهِدِ
عَلَى قَلْتِهِ وَضُئُولَتِهِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ احْتَجَّ إِلَى الْمَاءِ. وَالْهَدْهُدُ قَنَاءٌ^(٢).
وَالْأَرْضُ لَهُ كَالزَّجَاجَةِ، يَرَى بَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَسَأَلَ عَنْهُ لَذَلِكَ. قَالَ ابْنُ
الْأَزْرَقِ: قَفْ يَا وَقَافُ. كَيْفَ يُبْصِرُ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَالْفَخُّ يُغْطَى لَهُ بِمَقْدَارِ إصْبَعٍ
مِنْ تَرَابٍ فَلَا يُبْصِرُهُ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيَحْكُ يَا بَنَ الْأَزْرَقِ! أَمَّا
عَلِمْتَ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ عَشِيَ الْبَصَرُ.

وَمِمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ: ﴿أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٣)، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَأْوِيلُهُ: هَذَا
الْقُرْآنُ.

هَكَذَا جَاءَ ، وَلَا أَحْفَظُ عَلَيْهِ شَاهِدًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَنَا أَحْسِبُهُ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْهُ
إِلَّا بِشَاهِدٍ ، وَتَقْدِيرُهُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ : إِذَا قَالَ : « ذَلِكَ الْكِتَابُ » أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا وَعُدُوا
كِتَابًا ؛ هَكَذَا التَّفْسِيرُ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
بِهِ »^(٤) ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ الْيَهُودَ ، وَقَالَ : « يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ »^(٤) ، فَمَعْنَاهُ :
هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَتَوَقَّعُونَهُ ، وَبَيْتُ خُفَّافِ بْنِ نَدْبَةَ عَلَى ذَلِكَ يَصِحُّ مَعْنَاهُ .
وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّهُ غَزَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو - أَخِي خُنَسَاءَ - مَرَّةً وَفَزَارَةَ ، فَعَمَدَ ابْنًا
حَرْمَلَةً : دُرَيْدٌ وَهَاشِمُ الْمُرِّيَّانِ عَمَدَ مُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَطَرَدَّ لَهُ أَحَدُهُمَا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ

(١) زيادات ر : «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشيء فأغريته به . وواها له ، إذا تعجبت منه . وحذيف .
يريد «حذيفة» فرخم .

(٢) قنأ : عالم بمواضع الماء من الأرض ، مأخوذ من القناة . وهى كطيمة تحفر تحت الأرض . قاله المصنفى .

(٣) سورة البقرة ١ .

(٤) سورة البقرة ٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١٤٦ .

معاوية، فطعنه، وحمل الآخر على معاوية فطعنه مُتَمَكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ^(١)، فلما تَنَادَوْا: قتل معاوية .

قال خفاف بن نُدْبَة - وهى أمه ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو^(٢) أحدُ بنى سُلَيْم بن منصور - : قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ رِمْتُ^(٣) حتى أَثَارَ به، فَحَمَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ حِمَارٍ - وهو سيد بنى شَمَخِ بْنِ قَزَارَةَ - فطعنه فقتله ، فقال خُفَّافُ بْنُ نُدْبَةَ :

إِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ هَالِكَا
وَقَفْتُ لَهُ عَلَوَى وَقَدْ خَامَ صُحْبَتِي لِأَبْنَى مَجْدًا أَوْ لِأَثَارَ هَالِكَا^(٤)
أَقُولُ لَهُ وَالرُّمَحُ يَأْطُرُ مَتْنَهُ تَأْمَلُ خُفَّافًا إِنْنِي أَنَا ذَلِكَ

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعتَ به . هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يَأْطُرُ مَتْنَهُ» أى يَثْنِي . يقال: أَطَرْتُ القوسَ أَطَرُّهَا أَطْرًا، وهى مأطورة . وَعَلَوَى فَرَسُهُ .

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٥)، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قد عَرَفَهُ أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الرَّجْلِ عَ مَنِيتًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٦)

قال أبو العباس: مَنِيتٌ، يعنى الغُبَارَ، وذلك أنها تُقَطَّعُهُ قِطْعًا وِراءَهَا .
والمَنِيتُ: الضعيفُ المؤذِنُ بانقطاعِ، أنشدنى التَّوَرِيُّ عن أبى زيدٍ :

يَا رِيَّهَا إِنْ سَلِمْتَ يَمِينِي وَسَلِمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي

❖ وَلَمْ تَخْنِي عَقْدُ الْمَنِينِ ❖

(١) صميم الخيل: قال المرصفي: «يريد بالخيال الفرسان ، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو» .

(٢) رمت: برحت .

(٣) لفظ «هو» ساقط من ر .

(٤) سورة فصلت ٨ .

(٥) خام : جبن وضعف .

(٦) يصف خيلا . والرجع: رد الدابة يديها فى السير . وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع فى الجوى قاله المرصفي .

يريد الحبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ وممنونٌ، كقَتِيلٍ ومَقْتُولٍ، وجَرِيحٍ ومَجْرُوحٍ، وذكر التَّوَزَّى في كتاب الأضدادِ أن «المنين» يكونُ القويَّ، فجعله^(١) «فَعِيلًا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأولُ.

وقال غيرُ ابنِ عباس: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فيكْدَرُ عندهم.

ويُروى من غير وجه أن ابنَ الأزرق أتى ابنَ عباس يوماً^(٢) فجعلَ يسأله^(٣) حتى أمله، فجعلَ ابنُ عباسٍ يُظهرُ الضَّجَرَ، وطلَعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبي ربيعةٍ على ابنِ عباس، وهو يومئذ غلامٌ. فسَلَّمَ وجلسَ، فقال له ابنُ عباس: ألا تُنشدنا شيئاً من شعرك؟ فأَنشدَه :

غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمَهَجْرُ!
فَتُبْلَغُ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذَرُ
وَلَا الْحَبْلُ مُوصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصَرُ
وَلَا نَأْيُهَا يُسْلَى وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
نَهَى ذَا النُّهَى لَوْ يَرَعَوَى أَوْ يَفْكَرُ
لَهَا كَلَمًا لَأَقْيَيْتَهُ يَتَنَمَّرُ
فُيَسِّرُ لِيَ الشَّحْنَاءِ وَالْبُغْضِ مُظْهَرُ
يُشَهِّرُ الْمَامَى بِهَا وَيَنْكَرُ
بِمَدْفَعِ أَكْنَانِ أَهَذَا الْمُشَهَّرُ!
أَهَذَا الْمُغَيْرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ!
وَعَيْشُكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ
سُرَى اللَّيْلِ يَحْيَى نَصَهُ وَالتَّهَجَّرُ^(٤)
عَنِ الْعَهْدِ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيَخْصَرُ

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادَ فَمُبَكَّرُ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَهِيمٌ إِلَى نَعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ
وَلَا قَرَبُ نَعْمٍ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعُ
وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعْمٍ وَمِثْلُهَا
إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةِ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَمْرٌ بِبَابِهَا
أَلْكُنَى إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
بِآيَةٍ مَا قَالَتْ غَدَاةٌ لَقِيَتْهَا
قَفَى فَاَنْظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينِي
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ
فَقَالَتْ: نَعَمْ. لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ
لَئِنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حُلَّ بَعْدُنَا
رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارِضَتْ

(١) ر . « يجعله » . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ر . « يسأله » .

(٤) النص : ضرب من السير؛ والتهجر : السير في الهاجرة .

حتى أتمها، وهي ثمانون بيتاً، فقال له ابن الأزرقي: لله أنت يا ابن عباس! أنضربُ إليك أكبادَ الإبل نَسألكَ عن الدين فتُعْرِضَ، ويأتيك غلامٌ من قريش فيُنشِدُكَ سَفْهاً فتسمعه! فقال: تالله ما سمعتُ سَفْهاً، فقال ابن الأزرقي: أما أنشدك:

رأتُ رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتُ فيخزي وأما بالعشي فيخسرُ
فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فيضحى وأما بالعشي فيخسر» قال: أو تحفظ الذي قال؟ قال: والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه، ولو شئتُ أن أردّها لرددتها، قال: فارددها، فأنشده إياها كلها^(١).

وروى الزبيريون أن نافعا قال له: ما رأيتُ أروى منك قط. فقال له ابن عباس: ما رأيتُ أروى من عمر، ولا أعلم من على.

وقوله: «فيضحى» يقول: يظهرُ للشمس، ويخسر، يقول: في البردين^(٢)، فاذا ذكر العشي فقد دلَّ على عقيب العشي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظُنُّمْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾^(٣)، والضح: الشمس، وليس من: «ضحيت»، يقال: جاء فلان بالضح والريح «يرادُ به الكثرة»، قال علقمة:

أغرُّ أبرزه للضح راقبُه مقلدٌ قُضِبَ الرِّيحان مغمومُ
له فغمة، أي رائحة طيبة، يعنى إبريقاً فيه شراب. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما توجهَ إلى تبوك جاء أبو خيثمة، وكانت له امرأتان، وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه، ومهدت له في ظل، فقال: أظل ممدود، وثمره طيبة، وماء بارد، وامرأة حسناء، ورسول الله في الضح والريح! ما هذا بخير! فركب ناقته ومضى في أثره، وقد قيل لرسول الله ﷺ في نفر تخلفوا، أبو خيثمة أحدهم، فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال: دعوهُ فإن يرد الله به خيراً يلحقه بكم، فقبل ذات يوم: يا رسول الله، نرى رجلاً يرفعه الال، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فكانه.

(٢) البردان: الغداة والعشي.

(١) ساقطة من ر.

(٣) سورة طه ١١٩.

وإذا انبسطت الشمس فهو «الضحى» مقصور، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحو ذلك فذلك «الضحاء»، محدود مفتوح الأول.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج، ويحضرته يزيد بن أبي مسلم مولاه، وكان يستسرُّ برأى الخوارج، فكلمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه، فقال لها يزيد بن أبي مسلم: الأميرُ ويحك يكلمك! فقالت: بل الويلُ والله لك يافاسقُ الردى.

والردىُّ عند الخوارج: هو الذى يعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتمه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ما شاء فهما ثم بحثه، فرأى ما شاء إرباً ودهياً^(١)، فرغب فيه. فاستدعاه^(٢) إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مستبصراً مُحَقِّقاً، فزاده فى الاستدعاء فقال له: لتُغْنِكَ الأولى عن الثانية، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمعَ أقلُّ، قال له: قل. فجعلَ يَسْطُ له من قول الخوارج ويُزيِّن له مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بيِّنة ومعان قريية، فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته: لقد كادَ يُوقِعُ فى خِاطِرِي أن أَلْجِئَ خَلَقْتَ لَهُمْ، وأنا^(٣) أولى بالجهاد منهم. ثم رَجَعْتُ إلى ما ثَبَّتَ اللهُ علىَّ من الحجة وقرَّرَ فى قلبى من الحق. فقلتُ له: لله الآخرة والدنيا، وقد سلَّطنا^(٤) الله فى الدنيا، ومكَّنَ لنا فيها، وأراك لَسْتَ تجيب بالقبول^(٥)، والله لأقتلَنَّكَ إن لم تطع.

فأنا فى ذلك إذ دُخِلَ علىَّ بابنى مروان.

قال أبو العباس: كان مروان أخاً يزيدَ لأُمِّه، أُمُّهُمَا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبا عزيز النفس، فدُخِلَ به فى هذا الوقت على عبد الملك باكباً لضرب المؤدَّب إياه، فشق ذلك على عبد الملك، فأقبلَ الخارجى، فقال له: دَعُهُ ييكى^(١)؛ فإنه أَرَحَبُ لِشِدْقِهِ، وَأَصَحُّ لِدِمَاغِهِ، وَأَذْهَبُ لِصَوْتِهِ، وَأَحْرَى أَلَا تَأْبَى

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلاً مجرباً.

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «واستدعاء».

(٣) ر: «وأبى»

(٤) ر: «سلطنى».

(٥) ر: «يك» وكلاهما جائز.

(٥) ر: «بالقول».

عليه عينه إذا حضرته طاعة الله^(١)، فاستدعى عبرتها، فأعجب ذلك من قوله عبد الملك، فقال متعجباً: أما يشغلك ما أنت فيه وبعرضه عن هذا! فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء، فأمر عبد الملك بحبسه، وصفح عن قتله، وقال بعد يعتذر إليه: لولا أن تُفسد بالفاظك أكثر ريعتي ما حبستك.

ثم قال عبد الملك: من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوي من بعدى. وكان عبد الملك من الرأي والعلم بموضع.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتزعم الرواة أن رجلاً من أهل الكتاب وفد على معاوية، وكما موصوفاً بقراءة الكتب. فقال له معاوية: أتجد نعتي في شيء من كتب الله؟ قال: إى والله، لو كنت فى أمة لوضعت يدي عليك من بينهم. قال: فكيف تجدنى؟ قال: أجدهُ أول من يحول الخلافة ملكاً، والحُشنة ليلاً، ثم إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم، قال معاوية: فسرى عني، ثم قال: لا تقبل هذا مني، ولكن من نفسك، فاجتب^(٢) هذا الخبر. قال: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجل شرابٌ للخمر، سقاكُ للدماء، يحتجن الأموال^(٣)، ويصطنع الرجال، ويجنب^(٤) الخيول، ويبيح حُرمة الرسول^(٥)، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون فتنة^(٦) تشعبُ بأقوام حتى يفضي الأمرُ بها إلى رجل^(٧) أعرفُ نعتهُ، يبيع الآخرة الدائمة بحظٍّ من الدنيا مخسوس، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزال لعدوه قاهراً، وعلى من ناواه^(٨) ظاهراً، ويكون له قرين^(٩) مبير^(١٠) لعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال:

(١) ر : « طاعة ربه » .

(٢) ر : فاختر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أى جمعته .

(٣) احتجن الشيء أخذه وحبسه .

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها .

(٥) قال المرصفي: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن معه من فتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» .

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير . وفريق يدعو إلى بنى أمية .

(٧) قال المرصفي: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما» .

(٨) ناواه : عاداه .

(٩) مبير : مهلك ، وفى م : « مبين » .

شَدَمَا، فَأَرَاهُ مِنَ الشَّامِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ، فَقَالَ: مَا أَرَاهُ هَاهُنَا، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ ثِقَاتٍ مِنْ رُسُلِهِ، فَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَسْعَى مُؤْتَزِرًا فِي يَدِهِ طَائِرٌ، فَقَالَ لِلرُّسُلِ: هَاهُوَذَا! ثُمَّ صَاحَ بِهِ: إِلَى أَبِي مَنْ؟ قَالَ: أَبُو الْوَلِيدِ. قَالَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، إِنْ بَشَّرْتُكَ بِبَشَارَةٍ تَسُرُّكَ مَا تَجْعَلُ لِي؟ قَالَ: وَمَا مَقْدَارُهَا مِنَ السُّرُورِ حَتَّى نَعْلَمَ مَقْدَارَهَا مِنَ الْجُعْلِ؟ قَالَ: أَنْ تَمْلِكَ الْأَرْضَ، قَالَ: مَا لِي مِنْ مَالٍ، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ^(١) إِنْ تَكَلَّفْتُ لَكَ جُعْلًا، أَتَأَلُّ ذَلِكَ قَبْلَ وَقْتِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنْ حَرَمْتُكَ، أَتَوَخَّرُهُ عَنْ وَقْتِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَحَسْبُكَ مَا سَمِعْتَ.

فَذَكَرُوا أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ يُكْرِمُ عَبْدَ الْمَلِكِ لِيَجْعَلَهَا يَدًا عِنْدَهُ يُجَازِيهِ بِهَا فِي مَخْلَفَتِهِ^(٢) فِي وَقْتِهِ.

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَبْرَعَهُمْ أَدَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ فِي شَبِيبَتِهِ دِيَانَةً، فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِهَا أَوَّلَ تَسْلِيمَةٍ، وَالْمَصْحَفُ فِي حِجْرِهِ، فَأَطْبَقَهُ وَقَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

[صَدِيقُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ عَائِشٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فِي إِسْنَادٍ ذَكَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يُقَالُ لَهُ يَوْسُفُ، فَأَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا، وَهُوَ فِي عُنْفُوَانٍ نُسُكِهِ، وَقَدْ مَضَتْ جِيُوشُ يُزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ، مِنْ مَرَّةٍ غَطَفَانَ، تَرِيدُ الْمَدِينَةَ - أَلَا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ اللَّهِ قَاصِدَةً لِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ يَوْسُفُ: جَيْشُكَ وَاللَّهِ إِلَى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ جَيْشِهِ. فَتَقَضَّ عَبْدُ الْمَلِكِ ثَوْبَهُ ثُمَّ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! قَالَ لَهُ يَوْسُفُ: مَا قُلْتَ شَاكَا وَلَا مُرْتَابًا، وَإِنِّي لِأَجِدُكَ بِجَمِيعِ أَوْصَافِكَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَتَدَاوَلُهَا رَهْطُكَ، قَالَ: إِلَى مَتَى؟ قَالَ: إِلَى أَنْ تَخْرُجَ الرِّايَاتُ السُّودُ مِنْ خُرَاسَانَ.

[حَدِيثُ ابْنِ جَعْدَةَ لِلْمَنْصُورِ]

قَالَ: وَحَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَتَاهُ فِيهِ خُرُوجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ، قَالَ: فَغَمَّهُ

(١) ر: «أرأيتك».

ذلك، حتى امتنع من الغداء فى وقته، وطال عليه فكرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، : كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ قَصَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ، [قال] (١): فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْأَعْلَامِ السُّودِ مِنْ بَعْدِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْبُخْتُ الْمُجَلَّلَةُ (٢)؟ قلتُ: هَذِهِ أَعْلَامُ الْقَوْمِ. قَالَ: فَمَنْ تَحْتَهَا؟ قلتُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَأَيُّهُمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ قلتُ (٣): الْفَتَى الْمَعْرُوقُ (٤) الطَّوِيلُ، الْخَفِيفُ الْعَارِضِيُّ، الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي وَكِيمَةٍ كَذَا يَأْكُلُ فَيُجَدُّ، فَسَأَلْتَنِي عَنْهُ فَنَسَبْتُهُ لَكَ، فقلتُ: إِنَّ هَذَا الْفَتَى لَتِلْقَامَةٌ (٥)، قَالَ: قَدْ عَرَفْتَهُ؛ وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَكَانَهُ، قَالَ: فَقَالَ لِي الْمَنْصُورُ: اللَّهُ لَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ؟ قلتُ: وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْهُ. قَالَ: يَا غُلَامُ، هَاتِ الْغَدَاءَ.

[قِتَالُ أَهْلِ النَّخِيلَةِ]

قال أبو العباس: وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان، ممن فارق عبد الله بن وهب، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب، ومن كان أقام بالكوفة، فقال: لا أقاتل عليًّا، ولا أقاتل معه. فتوآصوا فيما بينهم وتعاضدوا، وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم. فقام منهم قائم يقال له المستورد، من بنى سعد بن زيد مناة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد، ثم قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَانَا بِالْعَدْلِ تَخَفُّقُ رَايَاتُهُ. معليًا مقالته. مبلِّغًا عن ربِّه، ناصحًا لأُمَّتِهِ، حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثُمَّ قَامَ الصَّدِيقُ فَصَدَّقَ عَنْ نَبِيِّهِ، وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ عَنْ دِينِ رَبِّهِ، وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الصَّلَاةَ بِالزَّكَاةِ، (٦) فَرَأَى تَعْطِيلَ إِحْدَاهُمَا طَعْنًا (٧) عَلَى الْآخَرَى، لَا بَلْ عَلَى جَمِيعِ مَنَازِلِ الدِّينِ ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَوْفُورًا، ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ (٧) الْفَارُوقُ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مُسَوِّيًا بَيْنَ النَّاسِ فِي إِعْطَائِهِ، لَا مُؤَثِّرًا لِأَقَارِبِهِ،

(١) تكملة من س .

(٢) البخت : جمع بختى ؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق . والمحللة : المغطاة بما يزينها .

(٣) ر : « فقلت » .

(٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) التلقامة : الكثير الأكل .

(٦-٦) ر : « فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى » . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٧) ساقطة من ر .

ولا مُحَكَّمًا فِي دِينِ رَبِّهِ . وَهَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا حَدَّثَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١) ، فَكُلُّ أَجَابٍ وَبَيَّاعٍ .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ دَاعِيًا ، فَأَبَوْا فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ عَفِيفُ بْنُ قَيْسٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَخْرُجْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؛ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ نَحْسُ لَعَدُوِّكَ عَلَيْكَ ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَصَيْتُ رَأْيَ كُلِّ مُتَكَهِّنٍ . أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ وَقْتَ الظَّفَرِ مِنْ وَقْتِ الْخِذْلَانِ ، ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿^(٢) ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فَطَحَنَهُمْ جَمِيعًا ، لَمْ يُفَلِّتْ مِنْهُمْ إِلَّا خَمْسَةٌ ، مِنْهُمْ الْمُسْتَوْرِدُّ ، وَابْنُ جُوَيْنٍ الطَّائِيُّ ، وَفَرَوَةُ بْنُ شَرِيكَ الْأَشْجَعِيُّ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، فَقَالَ : دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو حَسَنِ فَطَحَنَهُمْ طَحْنًا .

وَفِيهِمْ يَقُولُ عُمَرَانُ بْنُ حِطَّانَ :
إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الشُّرَاطَةُ بِهِ
وَقَالَ الْحَمِيرِيُّ يُعَارِضُ هَذَا الْمَذْهَبَ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ
وَبِالَّذِي دَانَ يَوْمَ النَّهْرِدَنْتُ بِهِ
تِلْكَ الدِّمَاءُ مَعًا يَا رَبُّ فِي عُنُقِي
يَوْمَ النُّخَيْلَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِينَا
وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِينَا
وَمِثْلَهَا فَاسْقِنِي آمِينَ آمِينَ

[مَنَاظَرَةُ أَهْلِ النُّخَيْلَةِ لِابْنِ عَبَّاسٍ]

وَكَانَ أَصْحَابُ النُّخَيْلَةِ قَالُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنْ كَانَ^(٤) عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ حَقٌّ لَمْ يَشْكُكَ فِيهِ . وَحَكَمَ مُضْطَرًّا ! فَمَا بَالُهُ حَيْثُ ظَفَرَ لَمْ يَسْبُ ! فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَدْ سَمِعْتُمُ الْجَوَابَ فِي التَّحْكِيمِ ، فَأَمَّا قَوْلُكُمْ فِي السَّبَاءِ ، أَفَكُنْتُمْ سَابِينَ أُمَّكُمْ

(١) سورة النساء ٩٥ .

(٢) سورة هود ٥٦ .

(٣) الخوسق الحرب : بظاهر الكوفة عند النخيلة ، والبيت في معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى

قيس بن الأصم الضبي .

(٤) ر . « إِذْ كَانَ » .

عائشة! فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وقالوا: أَمْسِكْ عَنَّا غَرْبَ لِسَانِكَ يَا بْنَ عَبَّاسٍ! فَإِنَّهُ طُلِقَ ذُلُقٌ، غَوَّاصٌ عَلَى مَوْضِعِ الْحِجَّةِ. ثُمَّ خَرَجَ الْمُسْتَوْرِدُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَهُوَ وَالِي الْكُوفَةِ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ، فَدَعَاهُ الْمُسْتَوْرِدُ إِلَى الْمُبَارَزَةِ، وَقَالَ لَهُ: عَلَامَ يَقْتُلُ النَّاسُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: النَّصَفَ سَأَلْتُ. فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لَأَبِي عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَخَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَيِّتًا.

[الْمُسْتَوْرِدُ التَّيْمِيُّ]

وَكَا الْمُسْتَوْرِدُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ شَدِيدَ الاجْتِهَادِ، وَلَهُ آدَابٌ يُوصَى بِهَا، وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ عَنْهُ .

كَانَ يَقُولُ: إِذَا أَفْضَيْتُ بِسَرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَفْشَاهُ لَمْ أَلَهُ، لِأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بِحِفْظِهِ .

وَكَانَ يَقُولُ: لَا تُفْشِ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا، وَإِنْ كَانَ مُخْلِصًا، إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوَرَةِ .

وَكَانَ يَقُولُ: كُنْ أَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ سِرِّ صَاحِبِكَ مِنْكَ عَلَى حَقْنِ دِمِكَ .
وَكَانَ يَقُولُ : أَوَّلُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ عَائِبُ النَّاسِ مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ، وَلَا يَعْيبُ إِلَّا مَعِيبَ .

وَكَانَ يَقُولُ: الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ عَلَيْكَ فَاشْتَرِ مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى عَلَيْكَ .
وَكَانَ يَقُولُ: بَذَلُ الْمَالِ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءٌ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْجَوَادِ .
وَكَانَ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: لَوْ مَلَكَتُ الْأَرْضَ بِحِذَافِيرِهَا، ثُمَّ دُعِيتُ إِلَى أَنْ أُسْتَفِيدَ بِهَا خَطِيئَةٌ مَا فَعَلْتُ .

[الْخَوَارِجُ وَمَعَاوِيَةُ]

قَالَ: وَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ، وَاتَّصَلَ خُرُوجُهَا، وَإِنَّمَا نَذَرَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ذَا خَبَرٍ طَرِيفٍ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ حِكْمٌ مِنْ كَلَامٍ وَأَشْعَارٍ .

فَأَوَّلُ مَنْ خَرَجَ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْثَرَةُ الْأَسَدِيِّ .
فَإِنَّهُ كَانَ مُتَنَحِيًّا بِالْبَنْدَنِجِينَ^(١)، فَكَتَبَ إِلَى حَابِسِ الطَّائِيٍّ يَسْأَلُهُ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ

(١) الْبَنْدَنِجِينَ . بَلْفُظُ الْمَثْنَى . بَلَدٌ فِي طَرَفِ النَّهْرَوَانِ مِنْ أَعْمَالِ بَغْدَادِ .

الخوارج حتى يسير إليه بجمعه، فيتعاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرجعاً إلى موضع أصحاب النخيلة، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس ابن سعد بن عبادة.

ثم خرج الحسن يريد المدينة، فوجه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتوكل لمحاربتهم، فقال الحسن: والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين، ولا أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم! فلما رجع الجواب إليه وجه إليهم جيشاً^(١) أكثره أهل الكوفة^(٢). ثم قال لأبيه أبي حوثر: قم فاكفني^(٣) أمر ابنك فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأبى فأداره، فصمم، فقال له: يا بني أجيبك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه؟ فقال: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى ابني! فرجع إلى معاوية فأخبره الخبر^(٤)، فقال: يا أبا حوثر، عتاً^(٥) هذا جداً!

فلما نظر حوثر إلى أهل الكوفة قال: يا أعداء الله، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه، واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه!

فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز، فقال: يا أبت، لك في غيري مندوحة، ولي في غبرك عنك مذهب، ثم حمل على القوم وهو يقول:

أكرر على هذي الجموع حوثره فعن قليل ما تنال المغفرة

فحمل عليه رجل من طيء^(٥) فقتله، فرأى أثر السجود قد لوح جبهته، فندم على قتله، ثم انهزم القوم جميعاً.

وأنا أحسب أن قول القائل :

وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال ذوو العيوب

(١-١) ر : جيشا أكثرهم من أهل الكوفة .

(٢) ر « اكفني أمر ابنك » .

(٣) ساقطة من ر .

(٤) عتا : استكبر .

(٥) نقل المرصفي عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش

إنما أخذه من كلام المستورد، قال رجلٌ للمستورد: أريدُ أن أرى رجلاً عيَّاباً، قال: التَّمِسْهُ بِفَضْلِ مَعَايِبَ فِيهِ.

وقال العباسُ بن الأحنف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سرِّهِ :

تَعَتَّبْتَ تَطْلُبُ مَا أَسْتَحِقُّ	به الهَجَرَ منك ولا تَقْدِرُ
وماذا يَضِيرُكَ مِنْ شُهُرَتِي (١)	إذا كان سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ
أَمْنِي تَخَافُ اتِّشَارَ الْحَدِيثِ	وَحَظِي فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ
ولو لم تَكُنْ فِي بَقِيَا عَلَيْكَ	نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

[من أخبار مقتل الإمام علي ، ووصيته لأبنائه]

ويُروى عن حديث محمد بن كعب القرظي قال: قال عَمَّارُ بن ياسر: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ فَلَمَّا قَفَلْنَا نَزَلْنَا مَنَزَلاً، فَخَرَجْتُ أَنَا وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ نَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ يَعْتَمِلُونَ، فَتَعَسَّنَا فَنَمْنَا، فَسَفَتَ عَلَيْنَا الرِّيحُ التُّرَابَ، فَمَا نَبْهَنَا إِلَّا كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «يَا أَبَا تَرَابٍ - لِمَا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ - أَتَعْلَمُ مَنْ أَشَقَى النَّاسِ؟» فَقَالَ: خَبَّرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَشَقَى النَّاسِ اثْنَانِ: أَحْمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَأَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ» - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ - «مِنْ هَذَا»، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ.

ويُروى عن عِيَّاضِ بْنِ خَلِيفَةَ الْخَزَاعِيِّ قَالَ: تَلَقَّانِي عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ فِي الْغَلَسِ، فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عِيَّاضُ بْنُ خَلِيفَةَ الْخَزَاعِيِّ، فَقَالَ: ظَنَنْتُكَ أَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَعَلَى قَرْنِهِ.

ويُروى: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كَثِيرًا - قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: أَحْسِبُهُ عِنْدَ الضَّجَرِ بِأَصْحَابِهِ -: مَا يَمْنَعُ أَشَقَاها أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذَا!

(١) ر «يصرك» تشديد الراء .

وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ أَنَّهُ خَرَجَ النَّاسُ يُعْلِفُونَ دَوَابَّهُمْ بِالْمَدَائِنِ وَأَرَادَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ، فَوَجَّهَهُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ لِيُرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ - وَكَانَ ابْنُ عَمٍّ لِي فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ - فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ عَشِيَّةٍ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَأْخُذَ لِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فِي التَّرْفِيهِ^(١) عَنْ ابْنِ عَمِّي، فَإِنَّهُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ، فَقَالَ: تَغْدُو عَلَيْنَا وَالْكِتَابُ مَخْتُومٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَبِتُّ لَيْلَتِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ النَّاسُ يَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ. فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ، وَإِذَا بِهِ فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: لَوْلَا مَا حَدَّثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي صَلَّيْتُ مَا رَزَقَ اللَّهُ. ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْهُمْ. فَدَعَوْتُ اللَّهَ، قَالَ الْحَسَنُ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمْتُ.

وَحَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا ضُرِبَ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ اعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ثُمَّ أَفَاقَ، فَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ: أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَاتَكُمَا مِنْهَا، اْعْمَلَا الْخَيْرَ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا. وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا. ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَوْصِيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلِإِنِّي أَوْصِيكَ بِهِ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ وَتَوْقِيرِهِمَا وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: أَوْصِيكُمَا بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ شَقِيقُكُمَا وَابْنُ أَبِيكُمَا، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُحِبُّهُ، فَأَحْبِبَاهُ، فَلَمَّا قَضَى عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ، قَالَتْ أُمُّ الْعُرْيَانِ:

وَكُنَّا قُبْلَ مَهْلِكِهِ زَمَانًا	نَرَى نَجْوَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا	وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكَبَ السَّفِينَا
أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ	فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ

(١) الترفيه التنفيس

وَيُرَوَّى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ مَعْدَى كَرْبَ، وَأَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدَى سَمِعَ الْأَشْعَثَ يَقُولُ لَهُ: فَضَحَكَ الصُّبْحُ، فَلَمَّا قَالُوا: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ حُجْرُ بْنُ عَدَى لِلْأَشْعَثِ: أَنْتَ قَتَلْتَهُ يَا أَعُورُ!
وَيُرَوَّى أَنَّ الَّذِي سَمِعَ ذَلِكَ أَخُو الْأَشْعَثِ، عَفِيفُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَنَّهُ قَالَ لِأَخِيهِ:
عَنْ أَمْرِكَ كَانَ هَذَا يَا أَعُورُ!

وأخبار الخوارج كثيرة طويلة، وليس كتابنا هذا^(١) مفرداً لهم، ولكننا^(٢) نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب، أو شعرٌ مُسْتَطَرَفٌ، أو كلامٌ من خطبةٍ معروفةٍ مختارة.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بْنُ مُرَّةٍ الْأَزْدِيُّ وَرَحَافُ الطَّائِيُّ - وَكَانَا مُجْتَهِدَيْنِ بِالْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ زِيَادٍ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أُمُورِهِمَا: أَيُّهُمَا كَانَ الرَّئِيسَ - فَاعْتَرَضَا النَّاسَ، فَلَقِيَا شَيْخًا نَاسِكًا مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ، فَقَتَلَاهُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: رُؤْبَةُ الضُّبَيْعِيِّ، وَتَنَادَى النَّاسُ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُطَيْعَةَ مِنَ الْأَزْدِ وَفِي يَدِهِ السِّيفُ، فَنَادَاهُ النَّاسُ مِنْ ظُهُورِ الْيُبُوتِ: الْحُرُورِيَّةَ الْحُرُورِيَّةَ! انْجِبْ بِنَفْسِكَ. فَتَنَادَوْهُ: لَسْنَا حُرُورِيَّةً، نَحْنُ الشَّرِطُ، فَوَقَّفَ فَقَتَلُوهُ. وَبَلَغَ أَبَا بِلَالٍ خَبْرُهُمَا، فَقَالَ: قُرَيْبُ، لَا قُرْبَةَ لِلَّهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَرَحَافُ، لَا عَفَاَ اللَّهُ عَنْهُ، رَكَبَاهَا عَشَوَاءَ مُظْلَمَةٍ - يَرِيدُ اعْتِرَاضَهُمَا النَّاسَ - ثُمَّ جَعَلَا لَا يَمُرَّانِ بِقَبِيلَةٍ إِلَّا قَتَلَا مِنْ وَجَدَا، حَتَّى مَرَّ ابْنُ بِنِي عَلَى بْنِ سُودٍ مِنَ الْأَزْدِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَائَةٌ يَجِيدُونَ الرَّمْيَ، فَرَمَوْهُ رَمِيًّا شَدِيدًا، فَصَاحُوا: يَا بَنِي عَلَى! الْبُقْيَا، لَا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَلَى:

لَا شَيْءَ لِلْقَوْمِ سِوَى السَّهَامِ مَشْحُوذَةٍ فِي غَلَسِ الظَّلَامِ^(٣)

فَعَرَدَ عَنْهُمْ^(٤) الْخَوَارِجُ، وَخَافُوا الطَّلَبَ، فَاشْتَقَوْا مَقْبَرَةَ بَنِي يَشْكُرَ، حَتَّى نَفَذُوا إِلَى مُزَيْنَةَ، يَنْتَظِرُونَ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ مُضَرٍّ وَغَيْرِهَا، فَجَاءَهُمْ ثَمَانُونَ،

(٢) «لكننا» .

(٤) عرد الرجل تعريداً ، إذا عدا فزعا .

(١) ساقطة من ر .

(٣) شحذ السيف : إجلأؤه .

وخرجت إليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها، فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم.

ثم غدا الناس إلى زياد فقال: ألا ينهي كل قوم سفهاءهم! يا معشر الأزد، لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت: إنكم أرثتموها. فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وثاقاً^(١)، وأتت بهم رياداً، فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره.

وله أخرى في الخوارج. أخرجوا معه امرأة، فظفر بها فقتلها، ثم عراها. فلم تخرج النساء بعد علي زياد، وكن إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا.

[قتل مصعب لأمراة المختار]

ولمّا قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية، امرأة المختار - وليس هذا من أخبار الخوارج - أنكره الخوارج غاية الإنكار، ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً، لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين. وللخواص منهن أخبار، فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

إن من أعظم الكبائر عندي	قتل حسناء غادة عطبول ^(٢)
قُتِلَتْ باطلاً على غير ذنب	إن لله درهاً من قتيل!
كتب القتال والقتال علينا	وعلى المحصنات جر الذبول ^(٣)

قال: وكان^(٤) الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين، يقال لإحدهما كحيلّة، والأخرى قطام، فجعل أصحاب ابن عامر يعيرونهم ويصيحون بهم: يا أصحاب كحيلّة وقطام! يعرضون لهم بالفجور، فتناديهم الخوارج بالدفع والردع، ويقول قائلهم: لا تقف ما ليس لك به علم.

(٢) العطبول : المرأة التامة الخلق .

(٤) ر : « وكانت » .

(١) ساقطه من ر .

(٣) المحصنات العنفيات .

وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)، قَالَ: أَعْيَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الزُّورُ: الْغَنَاءُ، فَقِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ: أَوْ مَا هَذَا فِي الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ! فَقَالَ: لَا، إِنَّمَا آيَةُ شَهَادَةِ الزُّورِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

[عِبَادَ اللَّهِ بِنِ زِيَادٍ وَالْخَوَارِجِ]

عاد الحديث إلى أمر الخوارج.

وكانت^(٣) من المجتهدات من الخوارج - ولو قلت: من المجتهدين. وأنت تعني امرأة كان أفصح، لأنك تريد رجالاً ونساءً هي إحداهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَانِتِينَ﴾^(٤) وقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾^(٥) - منهنما البلجاء وهي امرأة من بني حرام بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم، من رهط سجاح، التي كانت تنبأت وسنذكر خبرها في موضعه إن شاء الله. وكان مرداس بن حذير أبو بلال، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تُعْظِمُهُ الخوارج، وكان مجتهداً كثير الصواب في لفظه، فلقيه غيلان بن خرشة الضبي، فقال: يا أبا بلال! إِنِّي سَمِعْتُ الْأَمِيرَ الْبَارِحَةَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ يَذْكُرُ الْبَلْجَاءَ، وَأَحْسِبُهَا سَتُؤْخَذُ، فَمَضَى إِلَيْهَا أَبُو بِلَالٍ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسَّعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّقِيَّةِ^(٦) فَاسْتَتَرِي؛ فَإِنَّ هَذَا الْمُسْرِفَ عَلَى نَفْسِهِ، الْجَبَّارَ الْعَنِيدَ قَدْ ذَكَرَكَ، قَالَتْ: إِنْ يَأْخُذْنِي فَهُوَ شَقِي بِي، فَأَمَّا أَنَا فَمَا أَحَبُّ أَنْ يُعْنَتَ إِنْسَانٌ بِسَبِي.

فَوَجَّهَ إِلَيْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَأَتَى بِهَا فَقَطَعَ يَدَيْهَا وَرَجَلَيْهَا، وَرَمَى بِهَا فِي السُّوقِ، فَمَرَّ أَبُو بِلَالٍ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: الْبَلْجَاءُ، فَعَرَّجَ إِلَيْهَا فَنَظَرَ، ثُمَّ عَضَّ عَلَى لَحْيَتِهِ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: لَهْذِهِ أَطِيبُ نَفْسًا عَنْ بَقِيَّةِ الدُّنْيَا مِنْكَ يَا مُرْدَاسَ.

(١) سورة الفرقان ٢٢ .
(٢) سورة الإسراء ٣٦ .
(٣) ر: « وكان » .
(٤) سورة التحريم ١٢ .
(٥) سورة الشعراء ١٧١ .
(٦) التقية: حفظ النفس بما يسقط من المكروه.

ثم إنَّ عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم، وحبس مرداساً، فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقته فقال له: إني أرى لك مذهبا حسنا، وإنَّي لأحبُّ أن أوليكَ معروفا؛ إن تركتكَ تنصرفُ ليلا إلى بيتك، أتدليجُ^(١) إلى؟ قال نعم. فكان يفعل ذلك به.

ولجَّ عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم، فكلَّم في بعض الخوارج فكَلَّم وأبى، وقال: أقمَعَ النِّفاقُ قَبْلَ أن يَنْجُمَ^(٢). لَكَلَامُ هَؤُلاءِ أَسْرَعُ إلى القلوبِ مِمَّ النار إلى اليراع^(٣).

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشرط، فقال ابنُ زياد ما أدري ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلا بقتل رجلٍ منهم فَتَكُؤا بِقَاتِلِهِ! لَأَقْتُلَنَّ من في حَبْسِي منهم. فَأَخْرَجَ السَّجَّانُ مرداساً إلى منزله كما كان يفعلُ، وآتَى مرداساً الخبر، فلما كان السَّحَرُ تَهَيَّأَ للرجوع، فقال له أهله: اتَّقِ الله في نفسك فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ. فقال: إني ما كنتُ لَأَلْقَى الله غادراً. فرجعَ إلى السَّجِّ فقال: إني قد علمتُ ما عَزَمَ عليه صاحبك، فقال: أعلمتَ وَرَجَعْتَ!

[من أخبار مرداس أبي بلال]

ويُروى أنَّ مرداساً مرَّ بأعرابيٍّ يَهْنَأُ^(٤) بعيراً له، فَهَرَجَ^(٥) البعير، فسفه مرداسٌ مغشياً عليه، فظنَّ الأعرابيُّ أنه قد صُرِعَ، فقرأ في أذنه، فلما أفاق قال الأعرابيُّ: قرأتُ في أذنك، فقال له مرداس: ليس بي ما خَفْتَهُ عليَّ، ولكُ رأيتُ بعيرك هَرَجَ من القَطِرَانِ، فذكرتُ به قَطِرَانِ جهنم، فأصابني ما رأيت فقال: لا جَرَمَ والله لا فارقتك أبداً!

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صَفَيْنَ مع عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. وأنكر التَّحْكِيمَ، وشهد النَّهْرَ، ونَجَا فيمن نجا، فلما خرج من حبس ابن ز

(١) الإدلاح . السير من آخر الليل .

(٢) بنجم يطلع . (٣) اليراع : القصب الفارسي .

(٤) يهنأ بعيراً يطلبه بالهاء ؛ وهو القطران .

(٥) هرج تع وبغير

ورأى جدَّ ابن زياد في طلب الشَّراة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنَا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامهم، مُجَانِبِينَ للعدل، مفارقين للفصل^(١)، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيم، وإن تجرَّد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكنَّا نَتَبَذُّ عنهم، ولا نجردُ سيفًا، ولا نقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلًا، منهم حريثُ بن حَجَل، وكهمسُ بن طَلْقِ الصَّرِيح، فأرادوا أن يُوَكِّلُوا أمرهم حُرَيْثًا، فأبى، فولَّوا أمرهم مُرداسًا، فلمَّا مضى بأصحابه لقيه عبدُ الله بن رَبَاح الأنصاري - وكان له صديقًا - فقال له: يا أخى^(٢)، أين تريد؟ قال: أريد أن أَهْرَبَ بدينى وأديان أصحابى من أحكام هؤلاء الجَوْرَةِ. فقال له: أَعَلِمَ بكم أحدٌ؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تَخَافُ على مكروها؟ قال: نعم، وأن يؤتى بك! قال: فلا تَخَفْ، فإنى لا أَجْرِدُ سيفًا، ولا أُخِيفُ أحدًا، ولا أَقاتِلُ إلا مَنْ قاتلنى. ثم مَضَى حتى نزلَ أَسَكَ - وهو ما بين رامهرمزَ وأَرَجَانَ - فَمَرَّ به مالٌ يُحْمَلُ لابن زياد، وقد قاربَ أصحابه الأربعين، فَحَطَّ ذلك المال، فأخذَ منه عَطَاءً وَأَعْطِيَاتِ أَصْحَابِهِ، وَرَدَّ الْبَاقِيَ عَلَى الرَّسْلِ، وقال: قولوا لصاحبكم: إِنَّمَا قَبَضْنَا أُعْطِيَاتَنَا، فقال بعضُ أصحابه: فَعَلَامَ تَدْعُ الْبَاقِيَ! فقال: إنهم يَقْسِمُونَ هذا الفِءَ كما يَقِيمُونَ الصلاة فلا نقاتلهم.

ولأبى بلالٍ أشعار في الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبْعَدَ ابْنِ وَهَبٍ ذِي النَّزَاهَةِ وَالتُّقَى وَمَنْ خَاضَ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ الْمَهَالِكَا^(٣)
أَحَبُّ بَقَاءٍ أَوْ أَرْجَى سَلَامَةٍ وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكَا
فَيَارَبِّ سَلَمٍ نَيْتِي وَبَصِيرَتِي وَهَبٌ لِي التُّقَى حَتَّى الْأَقَى أَوْلُكَا

قوله: « وقد قتلوا » ولم يذكر أحدًا، فإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعنى مخالفيه، وإنما يحتاجُ الضميرُ إلى ذكرٍ قبله لِيُعْرَفَ، فلو قال رجلٌ: ضربته، لم يَجُزْ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكره الهاء، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قائلٌ^(٤): هذا هو، لم يحتجْ إلى تقدِّمِ الذكر؛ لأن المطلوبَ معلومٌ، وعلى هذا قال

(١) الفصل . قول الحق.

(٢) لفظ: « يا أخى » من ر

(٣) ابن وهب: هو عبد الله بن وهب الراسبي . (٤) ر . « قوم » .

عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِةٍ فِي افْتِتَاحِ قَصِيدَتِهِ :
هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ
أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأْتُكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

لأنه قد علم أنه يريد حبيبة له .

وقوله : « حَتَّى الْآقَى » وَلَمْ يُحَرِّكِ الْيَاءَ ، فَقَدْ مَضَى شَرْحُهُ مُسْتَقْصًى .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ زِيَادٍ قَالَ : خَرَجْنَا فِي جَيْشٍ نُرِيدُ خُرَّاسَانَ ،
فَمَرَرْنَا بِأَسْكَ ، فِإِذَا نَحْنُ بِهِمْ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، فَصَاحَ بَنَا أَبُو بَلَالٍ : أَقَاصِدُونَ
لَقَاتَلْنَا أَنْتُمْ ؟ - وَكُنْتُ أَنَا وَأَخِي قَدْ دَخَلْنَا - زَرْبًا - ، فَوَقَفَ أَخِي بِيَابِهِ فَقَالَ : السَّلَامُ
عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ مَرْدَاسٌ : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، فَقَالَ لِأَخِي : أَجِئْتُمْ لِقَاتِلِنَا؟ فَقَالَ لَهُ : لَا ،
إِنَّمَا نُرِيدُ خُرَّاسَانَ ، قَالَ : فَأَبْلَغُوا مَنْ لَقَيْكُمْ أَنَا لَمْ نَخْرُجْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا
لِنُرَوِّعَ أَحَدًا ، وَلَكِنْ هَرَبْنَا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَسْنَا نَقَاتِلُ إِلَّا مَنْ يُقَاتِلُنَا ، وَلَا نَأْخُذُ مِنْ
الْفِئَاءِ إِلَّا أُعْطِيَائُنَا ، ثُمَّ قَالَ : أُنَدِبَ إِلَيْنَا أَحَدٌ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، أَسْلَمَ بْنُ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ ،
قَالَ : فَمَتَى تَرَوْنَهُ يَصِلُ إِلَيْنَا؟ قُلْنَا : يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ أَبُو بَلَالٍ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ
الْوَكِيلُ !

وَجَهَزَ عَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ فِي أَلْفَيْنِ ، وَقَدْ
تَتَمَّ أَصْحَابُ مَرْدَاسٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ أَسْلَمُ صَاحَ بِهِ أَبُو بَلَالٍ : اتَّقِ
اللَّهَ يَا أَسْلَمُ ؛ فَإِنَّا لَا نُرِيدُ قِتَالًا ، وَلَا نَحْتَجُّنَ فَيْئًا . فَمَا الَّذِي تَرِيدُ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ
أُرَدِّكُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، قَالَ مَرْدَاسٌ : إِذَنْ يَقْتُلُنَا ، قَالَ : وَإِنْ قَتَلَكُمْ ! قَالَ : تَشْرِكُهُ فِي
دِمَائِنَا ، قَالَ : إِنِّي أَدِينُ اللَّهَ ^(١) بِأَنَّهُ مُحِقٌّ وَأَنْكُمْ مَبْطُلُونَ ، فَصَاحَ بِهِ حُرَيْثُ بْنُ
حَاجَلٍ : أَهْوَ مُحِقٌّ وَهوَ يُطِيعُ الْفَجْرَةَ ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، وَيَقْتُلُ بِالظُّنَّةِ ، وَيَخْصُصُ
بِالْفِئَاءِ ، وَيَجُورُ فِي الْحُكْمِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَتَلَ بَابِنَ سَعَادَ أَرْبَعَةَ بَرَاءَ ، وَأَنَا أَحَدُ
قَتْلَتِهِ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ فِي بَطْنِهِ دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ ! ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمْلَةً رَجُلٍ
وَاحِدٍ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ . وَكَانَ مَعَبْدٌ أَحَدُ الْخَوَارِجِ ، قَدْ كَادَ

(١) ر . « أدس بأنه محق » .

يَأْخُذْهُ . فلما وَرَدَ على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً، وقال : وَيْلَكَ ! أَتَمْضِي فِي أَلْفِينَ فَتَهْزِمُ لِحْمَلَةِ أَرْبَعِينَ ! وكان أَسْلَمُ يَقُولُ : لَأَنْ يَذْمَنِي ابْنُ زِيَادٍ حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَمْدَحَنِي مَيِّتًا !

وكان إذا خرج إلى السوق أو مرَّ بصبيان صاحوا به : أَبُو بِلَالٍ وَرَاءَكَ ! وربما صاحوا به : يَا مَعْبُدُ خُذْهُ ، حَتَّى شَكَا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَمْرًا ابْنُ زِيَادٍ الشَّرْطَ أَنْ يَكْفُوا النَّاسَ عَنْهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَيْسَى بْنُ فَاتِكٍ : مَنْ بَنَى تَيْمَ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَلُّوا وَقَامُوا	إِلَى الْجُرْدِ الْعَتَاقِ مُسَوِّمِينَ (١)
فَلَمَّا اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عَلَيْهِم	فَظَلَّ ذُو الْجَعَائِلِ يُقَتِّلُونَا
بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ	سَوَادُ اللَّيْلِ فِيهِ يُرَاوِغُونَا
يَقُولُ بِصِيرِهِمْ لَمَّا أَتَاهُمْ	بِأَنَّ الْقِيَوْمَ وَلُّوا هَارِبِينَ
أَلْفًا مَوْماً فِيَمَا زَعَمْتُمْ	وَيَهْزِمُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَا !
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ	وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ غَيْرَ شَكٍّ	عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

ثُمَّ نَدَبَ لَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ النَّاسَ ، فَاخْتَارَ عَبَّادُ بْنُ أَخْضَرَ - وَلَيْسَ بَابِنَ أَخْضَرَ - هُوَ عَبَّادُ بْنُ عُلْقَمَةَ الْمَازَنِيِّ ، وَكَانَ أَخْضَرُ زَوْجَ أُمِّهِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، فَوَجَّهَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَتَهَدَّ لَهُمْ . وَيَزْعَمُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا تَنَحَّوْا عَنْ دَرَابَجَرْدٍ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ عَبَّادُ ، وَكَانَ التَّقَاؤُهُمْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَنَادَاهُ أَبُو بِلَالٍ : اخْرُجْ إِلَى يَا عَبَّادُ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحَاوِرَكَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا الَّذِي تَبْغِي ؟ قَالَ : أَنْ آخِذَ بِأَقْفَائِكُمْ فَأُرْدِكُمْ إِلَى الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ! قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَنْ تَرْجِعَ ، فَإِنَّا لَا نَخِيفُ سَبِيلًا ، وَلَا نَذْعُرُ مُسْلِمًا ، وَلَا نَحَارِبُ إِلَّا مَنْ حَارَبَنَا ، وَلَا نَجْنِي إِلَّا مَا حَمَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ عَبَّادُ : الْأَمْرُ مَا قُلْتُ لَكَ ، فَقَالَ لَهُ حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ : أَتَحَاوِلُ أَنْ تُرَدَّ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى جَبَّارٍ عَنِيدٍ ! قَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ أَوْلَى بِالضَّلَالِ مِنْهُ ، وَمَا مِنْ ذَاكَ بُدٌّ !

(١) مسومين : معلمين بعلامات يعرفون بها في الحرب .

وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج، فلما رأى الجميعين قال: ما هذا؟ قالوا: الشراة، فحمل عليهم. ونشبت الحرب، فأخذ القعقاع أسيراً، فأتى به أبو بلال، فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائك، وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت، فأطلقه، فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه. ثم حمل عليهم ثانية، وهو يقول:

أَقَاتْلَهُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ بَعْثُ نَشَاطًا لَيْسَ هَذَا بِالنَّشَاطِ
أَكْرِ عَلَى الْحُرُورِيِّينَ مُهْرِي لِأَحْمَلَهُمْ عَلَى وَضَحِ الصِّرَاطِ

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي، فأسراه فقتلاه ولم يأتيا أبا بلال، فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة، صلاة يوم الجمعة، فناداهم أبو بلال: يا قوم، هذا وقت الصلاة، فوادعونا حتى نصلّي وتصلّوا، قالوا: لك ذاك، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة، فأسرع عباد ومن معه والحرورية ميّطئون، فهم من بين راكم وقائم وساجد في الصلاة وقاعد، حتى مال عليهم عباد ومن معه، فقتلوهم جميعاً، وأتى برأس أبي بلال.

وتروى الشراة أن مرداساً أبا بلال لماً عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال: اللهم إن كان ما نحن فيه حقاً فأرنا آية. قال^(١): فرجف البيت. وقال آخرون: فارتفع السقف.

فروى أهل العلم أن رجلاً من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحي يعجبه من الآية، ويرغبه في مذهب القوم، فقال أبو العالية: كاد الخسف ينزل بهم. ثم أدركتهم نظرة الله.

فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤوسهم، وفيهم داود بن شبث. وكان ناسكاً، وفيه حبيبة البصري من قيس، وكان مجتهداً.

(١) ساقطة من ر.

فَيُرَوَى عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي حَبِيبَةٌ: لَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ
مَكَرْتُ فِي بَنَاتِي، فَقُلْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ: لَا مُسْكِنَ عَنْ تَفَقُّدِهِنَّ حَتَّى أَنْظُرَ، فَلَمَّا كَانَ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ اسْتَسْقَتْ بَنِيَّ لِي، فَقَالَتْ: يَا أَبَتَا اسْقِنِي، فَلَمْ أُجِبْهُمَا، فَأَعَادَتْ،
فَقَامَتْ أُخَيَّةٌ لَهَا أَسْنٌ مِنْهَا، فَسَقَتْهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مُضَيِّعٍ،
فَأَتَمَمْتُ عَزْمِي.

وَكَانَ فِي الْقَوْمِ كُھَمَسٌ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ! لَوْلَا
مَكَانُكَ لَخَرَجْتُ، فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّ، قَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عِيسَى بْنُ قَاتِكٍ
الْحَبَطِيُّ:

أَلَا فِى اللَّهِ لَا فِى النَّاسِ شَالَتْ	بِداود وإخوته الجذوع
مَضَوْا قَتْلًا وَتَمْزِيقًا وَصَلْبًا	تَحُومٌ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَفُوعٌ
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَأَبْدُوهُ	فَيَسْفُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا	وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هَجُوعٌ

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ:

يَا عَيْنَ بَكِّي لِمُرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ	يَا رَبَّ مُرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كِمُرْدَاسٍ
تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمُرْزَتِي	فِي مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسٍ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ	مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مُرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَئِهَا	عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جَرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذُفْهَا شَارِبٌ عَجَلًا	مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرَدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ

[عِبَادَةُ بِنِ أَخْضَرَ الْمَازَنِى]

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: ثُمَّ إِنَّ عَبَّادَ بْنَ أَخْضَرَ الْمَازَنِى لَبِثَ دَهْرًا فِي الْمَصْرِ، مَوْصُوفًا
بِمَا كَانَ مِنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى ائْتَمَرَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْ يَفْتَكُوا بِهِ،
فَذَمَرَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ^(١)، فَجَلَسُوا لَهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى بَغْلَةٍ

(١) دَمَرَهُ: لَامَهُ.

له، وابنه رديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألك عن مسألة، قال: قل. قال: أرايت رجلاً قتل رجلاً بغير حق، وللقاتل جاهٌ وقدرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألوكي ذلك المقتول أن يفتك به إن قدر عليه؟ قال: بل يرفعه إلى السلطان، قال: إن السلطان لا يعدى عليه مكانه منه وعظم جاهه عنده. قال: أخافُ عليه إن فتك به فتك به السلطان، قال: دغ ما تخافه من ناحية السلطان، أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله؟ قال: لا. قال: فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسياهم. ورمى عبداً ابنه فنجاً، وتنادى الناس: قتل عبداً! فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرُق، وكان مقتل عبداً في سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب - فجاء معبد بن أخضر - أخو عبداً وهو معبد بن علقمة، وأخضر زوج أمهما، في جماعة من بنى مازن، فصاحوا بالناس: دعونا وثأرتنا. فأحجم الناس وتقدم المازنيون، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً، لم يفلت منهم أحدٌ إلا عبيدة بن هلال. فإنه خرّق خُصاً ونفذ منه. ففي ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدرك الأوتارَ غيرَ ذميمة	إذا ذمّ طلابُ التراثِ الأخضر
هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر	فنالوا التي ما فوقها نال ثائر
أقادوا به أسداً لها في اقتحامها	إذا برزت نحو الحروب بصائر ^(١)

ثم ذكر بنى كليب، لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه، فقال في كلمته هذه:

كفعل كليب إذ أخلت بجارها	ونضر اللئيم معتم وهو حاصر ^(٢)
وما لكليب حين تذكّر أول	وما لكليب حين تذكّر آخر

وقال معبد بن أخضر:

سأحمي دماء الأخضرين إنه أبى الناس إلا أن يقولوا ابن أخضراً

[عروة بن أدية]

وكان مقتل عبداً وعبيد الله بن زياد بالكوفة، وخليفته على البصرة عبيد الله ابن أبى بكر. فكتب إليه يأمره ألا يدع أحداً يعرف بهذا الرأي إلا حبسه وجد في

(٢) يقال: اعتم الرجل في الشيء؛ إذا أبطأ فيه.

(١) أقادوا أسداً. قتلوهم به.

طلبه . ممن تَغَيَّبَ منهم . فجعل عبيد الله بن أبي بكرَ يَتَّبِعُهُمْ فَيَأْخُذُهُمْ ، فإذا شَفَعَ إليه في أحدٍ منهم كَفَّلَهُ إلى أن يَقدَّمَ ابنُ زيادٍ ، حتى أَتَى بِعُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةٍ فأطلقه ، وقال : أنا كَفَيْلُكَ ، فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أَخَذَ مَنْ فِي الحِجْسِ ^(١) منهم فقتلَهُم جميعاً ، وطلب الكُفلاءَ بِمَنْ كَفَّلُوا بِهِ مِنْهُمْ ، فَكُلُّ مَنْ جَاءَهُ بِصَاحِبِهِ أَطْلَقَهُ ، وَقَتَلَ الخَارجِيَّ ، ومن لم يَأْتِ بِمَنْ كَفَّلَ بِهِ مِنْهُمْ قَتَلَهُ ، ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرَ : هاتِ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةٍ ، قال : لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . قال : إذا وَاللَّهِ أَقْتُلُكَ فَإِنَّكَ كَفَيْلُهُ ، فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَيْهِ فِي سَرَبٍ ^(٢) العلاء بن سُويَّةَ المِنَقَرِيُّ ، فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ : إنا أَصَبْنَاهُ فِي سَرَبٍ .

فَتَهَانَفَ بِهِ عبيدُ الله بن زيادٍ ، وكان كثيرَ المَحاوَرَةِ ، عاشقاً للكلام الجيِّدِ ، مستَحْسِناً للصوابِ منه ؛ لا يزالُ يَبْحِثُ عَنْ عُدْرِهِ ، فإذا سَمِعَ الكَلِمَةَ الجَيِّدَةَ عَرَجَ عَلَيْهَا . وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ فِي عَقَبِ مَقْتَلِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَزِينَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ - وَكَانَتْ أَسْنَى مَنْ حُمِلَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ ، وَقَدْ كَلَّمَتْهُ فَأَفْصَحَتْ وَأَبْلَغَتْ ، وَأَخَذَتْ مِنَ الحِجَّةِ حاجَتَهَا - فَقَالَ لَهَا : إِنَّ تَكُونِي بَلَغَتْ مِنَ الحِجَّةِ حاجَتَكَ فَقَدْ كَانَ أَبُوكَ خَطِيباً شاعراً . فَقَالَتْ : مَا لِلنِّسَاءِ وَالشَّعْرِ ^(٣) ! وَكَانَ مَعَ هَذَا أَلَكَنَّ يَرْتَضِخُ ^(٤) . لُغَةً فَارَسِيَّةً . وَقَالَ لِرَجُلٍ مَرَّةً وَاتَّهَمَهُ بِرَأْيِ الخَوَارِجِ : أَهْرُورِيٌّ مِنْذُ الْيَوْمِ !

رجع الحديث :

فقال للكاتب : صَحَّفْتَ وَاللَّهِ وَلَوْ مُتَ ، إِنَّمَا هُوَ « فِي سَرَبٍ الْعَلَاءُ بن سُويَّة » . وَلَوْ دِدْتُ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَشْرَبُ النَّبِيذَ .

فَلَمَّا أَقِيمَ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ حَاوَرَهُ . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي خَبَرِهِ ^(٥) ، وَأَصَحُّهُ عِنْدَنَا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَقَدْ ^(٦) جَهَّزْتَ أَخَاكَ عَلِيًّا . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ بِهِ ضَنِينًا . وَكَانَ لِي عِزًّا ، وَلَقَدْ أَرَدْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ ^(٧) لِنَفْسِي ، فَعَزَمَ عَزْمًا فَمَضَى عَلَيْهِ ، وَمَا

(٢) السرب : الطريق والمسلوك .

(٤) يرتضخ : يميل إليها في نطقه .

(٧) ر : « ما أريده » .

(١) ر : « السجن » .

(٣) س : « وللشعر » .

(٥) ر : « وقد اختلف الناس في خبره » .

(٦) كلمة « لقد » ساقطة من ر .

أحبُّ لنفسي إلا المقامَ وتركَ الخروجَ، قال له: أفأنتَ على رأيهِ؟ قال: كُنَّا^(١) نعبُدُ ربًّا واحدًا، قال: أما لا مثْلَنَّا بك! قال له: اخترْ لنفسك من القصاص ما شئتَ. فأمر به فقطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف ترى؟ قال: أفسدتَ على دنيائِ وأفسدتَ عليك: آخرتك، ثم أمر به فقتلَ، ثم صلبَ على باب داره، ثم دَعَا مولاَه ففسأله عنه، فأجابه جوابًا قد^(٢) مضى ذِكْرُهُ.

قوله: «فَتَهَانَفَ». حقيقته تَضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءٍ. وقال ابنُ أبي ربيعة المخزومي:

لَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتُ لَهَا	وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ
أَكَمَّا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي	عَمُرُكُنِ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ!
فَتَهَانَفْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا	حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَدٌ حُمِلَنَّهُ مِنْ أَجْلِهَا	وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

[أمر زياد مع الخوارج]

وكان عبيد الله لا يلبثُ الخوارج، يحبسهم تارةً ويقتلهم تارةً، وأكثرُ ذلك يقتلهم، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم، وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما وُلِّي بعده، فخرجوا عليه.

فأما زيادُ فكان يقتل المعلنَ ويستصلحُ المُسرَّ، ولا يُجرِّدُ السيفَ حتى تزول التَّهْمَةُ. ووجهُ يومَا بُحَيْنَةَ بنَ كَبِيشٍ الأعرجيَّ إلى رجلٍ من بني سعدٍ يرى رأيَ الخوارج، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه. فقال: إني أريد أن أُحدثَ وضوءًا للصلاة، فدعني أدخلُ منزلي^(٣). قال: ومن لي بخروجك؟ قال: الله عز وجل. فتركه. فدخل فأحدثَ وضوءًا ثم خرج، فأتى به بُجَيْمَةُ زيادًا، فلما مثَّلَ بين يديه ذكرَ الله زيادُ، ثم صلَّى على نبيه، ثم ذكرَ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ بخير، ثم قال: قعدتَ عني فأنكرتَ ذلك، فذكرَ الرجلُ ربَّه فَحَمَدُهُ، ثم ذَكَرَ النَّبِيَّ عليه السلام، ثم ذَكَرَ

(١) ر «كلنا» . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ر : «أدخل إلى منزلي» .

أبا بكر وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولاً فصدَّقْهُ بفعلك، وكان من قولك: وَمَنْ قَعَدَ عَنَّا لَمْ نَهْجَهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوة وحملان، فخرج الرجلُ من عند زياد وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كُلُّكُمْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْبِرَهُ، ولكني دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضِراً ولا نفعاً لنفسه، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فَرَزَقَ اللَّهُ مِنْهُ مَا تَرَوْنَ.

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذي يمنعكم من إتياني إلا الرُّجْلَةَ^(٢). فيقولون: أجل، فيحملهم، ويقول: اغشَوْنِي الآن واسْمُرُوا عندي. فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل الله زياداً! جَمَعَ لَهُمْ كَمَا تَجْمَعُ الذَّرَّةُ^(٢)، وحاطهم كما تحوط الأمُّ البرَّة، وأصلحَ العِراقَ بأهل العراق، وترك أهل الشام بشأمهم^(٢)، وجبى العراقَ مائة ألف ألفٍ وثمانية عشر ألف ألفٍ.

قال أبو العباس: وبلغَ زياداً عن رجلٍ يُكنى أبا الخير، من أهل البأس والنَّجْدَةِ، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدَى سابور وما يليها، ورزقه أربعة آلاف درهمٍ في كل شهر، وجعل عُمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلُّبِ بين أظهر الجماعة! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيئاً. فتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه، فلم يخرجْه من حبسه حتى مات.

[الرهين المراءى وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ - وكان رجلاً من مُرَاد، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب، وكان في الدُّهَاءِ والمعرفة والشعرِ والفقه بقول الخوارج، بمنزلةِ عِمْرَانَ بنِ حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حِطَّانَ في وقته شاعراً قَعَدَ الصُّفْرِيَّةَ ورئسَهُمْ ومفتيَهُمْ.

(١) الرجلَة : المشى على الرجلين .

(٢) الذرة : واحدة الذر ؛ وهو النمل الصغار .

(٣) ر : « في شأمهم » .

وللرهين المرادى ، ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار ، وفي السير والسنن ، وفي الغريب ، وفي (١) الشعر ، نذكر طريفها إن شاء الله . قال المرادى :

يا نفس قد طال في الدنيا مُراوَعَتِي لا تأمننَّ لصرف الدهر تنقيصاً (١)
 إنني لبائع ما يقنني لباقيّة إن لم يعقني رجاء العيش تريباً (٣)
 وأسأل الله بيع النفس محتسباً حتى ألقى في الفردوس حرقوصاً

- [قال الأخفش : حرقوص : ذو الثديّة] .

وابن المنّيح ومرداس وإخوته إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصاً (٤)
 قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعار كثيرة في مذاهبهم .

وكان زياد ولي شيبان بن عبد الله الأشعري صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان وما يليه ، فجدد في طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا قد (٥) كثروا ، فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة - وهو متكئ بباب داره - رجلان من الخوارج ، فضرباه بأسيفهما فقتلاه ، وخرج بنون له للإغاثة فقتلوا ، ثم قتلتهما الناس . فأتى زياد بعد ذلك برجل من الخوارج . فقال : اقتلوه متكتئ كما قتل شيبان متكتئ . فصاح الخارجي : يا عدّلاه ! يهزأ به .

فأمّا قول جرير :

ومنا فتى الفتيان والبأس مغفل ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا
 فإنه أراد معقل بن قيس الرياحي ، ورياح بن يربوع ، وجرير من كليب بن

يربوع .

وقوله :

❖ ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا ❖

(٢) ر . س : « تنعبصا » .

(١) ر . « والشعر » .

(٣) التريبص . الانتظار .

(٥) ساقطة من ر .

(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .

يريدُ المستوردَ التَّيمِيَّ، وهو من بنى تيم^(١) بن عبد مناة بن أد، وتيم بن مرة ابن أد .

وأما قولُ ابن الرُّقيات :

والذى نَغَصَّ ابن دَوْمَةَ مَاتُوا حى الشياطين والسيوف ظمَاء
فأَبَاحَ العراقَ يَضْرِبُهُم بالسَّيْفِ صَلَّتْهُ وَفَى الضَّرَابِ غِلَاءُ^(٢)

فإنما يريدُ بابن دَوْمَةَ المختار بن أبى عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ، والذى نَغَصَّهُ مَصْعَبُ بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهب. كان خارجياً، ثم صار زُبَيْرِيّاً، ثم صار رافضياً فى ظاهره .

وقوله : « ما تُوحى الشياطينُ »، فإنَّ المختارَ كان يدَّعى أنه يُلهمُّ ضرباً من السَّجَاعَةِ^(٣) لأُمُورٍ تكونُ، ثم يحتالُ فيوقعُها، فيقولُ الناسُ : هذا من عند الله عزَّ وجلَّ .

فمن ذلك قوله ذات يوم : لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فلتُحْرِقَنَّ دارَ أسماء . فذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجة، فقال : أقد سَجَعَ بى أبو إسحاق! هو والله مُحَرِّقٌ دارى! فتركه والدار وهربَ من الكوفة .

وقال فى بعض سجعِهِ : أمّا والذى شرَعَ الأديانَ، وجَنَّبَ الأوثانَ، وكرَهَ العصيانَ، لأَقْتَلَنَّ أزدَ عُمَانَ، وجُلَّ قيسَ عَيْلَانَ، وتَمَيَّما أولياءَ الشيطانَ، حاشا النَّجِيبَ ظَبْيَانَ! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول : لم أزلُ فى عُمُرِ المختارِ أَتَقَلَّبُ آمِناً .

[المختار بن أبى عُبَيْدٍ وبعض أخبارِهِ]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ - حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة - اتَّهَمَهُ ابنُ الزبير ، فولى رجلاً من قريش الكوفة، فلما أَطْلَقَ قال لجماعة من أهلها: اخرجوا إلى هذا المغرور فُردُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تُريدُ؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقْتَلَنَّكَ المختارُ، فرجع .

(١) ر : « من تيم » .

(٢) الصلت : الماضى فى الشيء . والغلاء : مجاوزة القدر فى كل شيء .

(٣) السجاعة : صناعة السجع .

وكتب المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع، فما أدرى ما الذى رده! فغضب ابن الزبير على القرشى وعجزه ورده إلى الكوفة، فلما شارفها قال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلام القرشى، فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير، وعلم بذلك المختار، وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بنى هاشم، فقال: لتبأعن أو لأخرقنكم، فأبوا بيعته، وكان السجن الذى حبسهم فيه يدعى سجن عارم، ففى ذلك يقول كثير:

تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ بل العائدُ المظلومُ فى سجن عارمِ
وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِى مَنْ النَّاسُ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ
سَمِيَ النَّبِىُّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَفَكَأُ أَغْلَالٍ وَقَاضِى مَغَارِمِ

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائد، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعباً:

بَلَدٌ تَأْمَنُ الْحَمَامَةُ فِيهِ حَيْثُ عَاذَ الْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ

وكان عبد الله يدعى المحل، لإحلاله القتال فى الحرم، وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنَّى غَزِلَ بِذِكْرِ الْمَحِلَةِ أُخْتِ الْمَحِلِ

وكان عبد الله بن الزبير يظهرُ البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله، وكان يحسده على أيده^(١)، ويقال: إن علياً استطال درعاً فقال: لينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثم جذبها فقطعه من الموضع الذى حده أبوه، فكان ابن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل^(٢).

فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصى محمد بن على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء. ثم

(١) الأيد: القوة. (٢) الأفكل: اسم للردة تعلق الإنسان.

ملاً الكتاب بسببه وسب أبيه . وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يدس إلى الشيعة، ويعلمهم مولاته إياهم، ويخبرهم أنه على رأيهم وحمد مذاهبهم، وأنه سيظهر ذلك عما قليل، ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار، حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم، ثم ساروا بهم إلى مأمَنهم.

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما، فأبى عليه إبراهيم إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب، فكتب إليه يستأذنه^(١) في ذلك^(٢)، فعلم محمد أن المختار لا عقد له . فكتب محمد إلى إبراهيم بن الأشتر: إنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يدى من شاء^(٣) من خلقه . فخرج معه إبراهيم بن الأشتر، فوجه^(٤) نحو عبيد الله بن زياد . وخرج يشيعه ماشياً، فقال له إبراهيم: اركب يا أبا إسحاق! فقال: إني أحب أن تغبر قدامى في نصرة آل محمد ﷺ .

فشيعة فرسخين، ودفع إلى قوم من خاصته حمماً بيضاً ضخماً، وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها، وقال للناس: إن استقمتم فبنصر الله، وإن حصتم حيصة^(٥) فإننى أجِدُ فى محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب، تأتى فى صور الحمم دوين السحاب .

فلما صار ابن الأشتر بخازر^(٦) وبها عبيد الله بن زياد . قال: من صاحب الجيش؟ قيل له: ابن الأشتر، قال: أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشيء، وعلى ميمنة ابن زياد، حصين^(٧) بن نمير السكوني من كندة - ويقال السكوني السكوني، والسدوسي والسدوسي، كذا كان أبو عبيدة يقول .

[قال أبو الحسن : السكوبى أكثر]^(٨) ، وعلى ميسرته عمير بن الحباب

فارس الإسلام .

(٢) ر : « من يشاء » .

(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .

(٦) ر : « حصين » ، وما أثبتته عن الأصل .

(١-١) ساقط من ر .

(٣) ر . « فتوجه » .

(٥) خازر : نهر بين إربل والموصل .

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَيْنُ بْنُ نَمِيرٍ لابن زياد: إِنَّ عَمِيرَ بْنَ الْحَبَابِ غَيْرُ نَاسٍ قَتَلِي الْمَرْجَ (١). وَإِنِّي لَا أَتَّقِي لَكَ بِهِ. فقال ابنُ زياد: أَنْتَ لِي عَدُوٌّ، قَالَ حُصَيْنٌ: سَتَعْلَمُ.

قال ابنُ الْحَبَابِ: فلما كان الليلة التي يُريد أن نَوَاقِعَ ابنَ الْأَشْثَرِ في صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لي صديقاً، ومعى رجلٌ من قومي، فصرتُ إلى عسكره. فرأيتُه وعليه قميصٌ هَرَوِيٌّ (٢) ومُلاءةٌ، وهو متوشحٌ (٣) السيفَ يَجُوسُ عسكره فيأمر فيه وَيَنْهَى، فَالْتَزَمْتُهُ من ورائه، فوالله ما الَّتَفَتُ إِلَيَّ وَلَكِنْ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: عَمِيرُ بْنُ الْحَبَابِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِأَبِي الْمُغَلَّسِ، كُنْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي: أَرَأَيْتَ أَشْجَعَ مِنْ هَذَا قَطُّ! يَحْتَضِنُهُ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ عَدُوِّهِ، وَلَا يَدْرِي مَنْ هُوَ؟ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ! ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَقَالَ: مَا الْخَبْرُ؟ فُلْتُ: الْقَوْمُ كَثِيرٌ، وَالرَّأْيُ أَنْ تُنَاجِزَهُمْ، فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى مُطَاوَلَةِ هَذَا الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ: نَصْبِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَحَاكُمُهُمْ إِلَى ظُبَاتِ السِّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْقَنَاءِ، فَقُلْتُ: أَنَا مُنْخَزِلٌ عَنْكَ بَثْلُثَ النَّاسِ غَدًا.

فلما الَّتَقَوْا كانت علي أصحاب إبراهيم في أول النهار، فأرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس: الملائكة! فتراجعوا، ونكس عَمِيرُ بْنُ الْحَبَابِ رَأْيَتَهُ، وَنَادَى: يَا لَثَارَاتِ الْمَرْجِ! وَانْخَزَكِ بِالْمَيْسَرَةِ كُلِّهَا، وَفِيهَا قَيْسٌ فَلَمْ يَعْصُوهُ، وَاقْتُلِ النَّاسَ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ. ثُمَّ انْكَشَفُوا وَوَضَعَ السَّيْفُ فِيهِمْ حَتَّى أَفْنَوْا، فَقَالَ ابْنُ الْأَشْثَرِ: لَقَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا عَلَى شَاطِئِ هَذَا النَّهْرِ فَرَجَعَ إِلَى سَيْفِي، فِيهِ (٤) رَاحَتَةُ الْمَسْكِ. وَرَأَيْتُ إِقْدَامًا وَجُرْأَةً، فَصَرَعْتُهُ فَذَهَبَتْ يَدَاهُ قَبْلَ الْمَشْرِقِ، وَرَجَلَاهُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، فَانْظُرُوا. فَأَتَوْهُ بِالنَّيْرَانِ، فَإِذَا هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ.

وقد كان عند المختار كُرسىٌ قديمُ العهد. فَعَشَّاهُ بِالذَّيْبَاجِ، وَقَالَ: هَذَا الْكَرْسِيُّ مِنْ ذَخَائِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَضَعُوهُ فِي

(١) قَتَلِي الْمَرْجَ، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها. قاله المرفص.

(٢) هَرَوِيٌّ. منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان.

(٣) ر: «متشج».

(٤) ر: «متشج».

بَرَآكَاءِ الْحَرْبِ، وَقَاتِلُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَحَلَّهُ فِيكُمْ مَحَلُّ السَّكِينَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.
ويقال إنه اشترى ذلك الكرسيَّ من نَجَّارٍ بدرهمين^(١).

وقوله: « فِي بَرَآكَاءِ الْقِتَالِ » ويقال: بَرَآكَاءُ وَبِرُوكَاءُ، وهو موضعُ اصطِدَامِ
الْقَوْمِ، وقال الشاعر^(٢):
وَلَيْسَ بِمُنْفِذٍ لَكَ مِنْهُ إِلَّا بَرَآكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارِ

وهذا باب (٣) اللام التي للاستخانة والتي للإضافة

إذا استغثتَ بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة. تقول: يَا لِّلرَّجَالِ،
وَيَا لِّلْقَوْمِ، وَلِزَيْدٍ! إذا كانت تدعوهم .

وإنما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له، ووجب أن تفتحها لأن أصل
اللام الحافضة إنما كان الفتح، فَكُسِرَتْ مع المظهر ليفصل بينها وبين لام التوكيد،
تقول: إِنَّ هَذَا لَزَيْدٌ. إذا أردت: إِنَّ هَذَا زَيْدٌ. وتقول: إِنَّ هَذَا لَزَيْدٌ. إذا أردت أنه
فِي مِلْكِهِ. وَلَوْ فَتَحْتَ لَالْتَبَسَا^(٤).

فإن وقعت اللام على مضمّر فتحتها على أصلها، فقلت: إِنَّ هَذَا لَكَ. وإن
هذا لَأَنْتَ، إذا أردت لام التوكيد ليس هاهنا لَبَسٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمَضْمُورَةَ عَلَى
غَيْرِ لَفْظِ الْمُظْهَرَةِ. فلهذا أَجْرِيَتْهَا عَلَى الْأَرْضِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ تَرُدُّهَا إِلَى أَصْلِهَا مِنْ
أَجْلِ اللَّبْسِ.

والمدعو له فِي بَابِهِ. فاللام معه مكسورة. تقول: يَا لِّلرَّجَالِ لِلْمَاءِ!
وَيَا لِّلرَّجَالِ لِلْعَجَبِ وَيَا لَزَيْدٍ لِلْخَطْبِ الْجَلِيلِ! قال الشاعر:
يَا لِّلرَّجَالِ لِيَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَمَّا يَنْفَكُ يَبْعَثُ لِي بَعْدَ النَّبِيِّ طَرَبًا^(٥)

(١) ر: « بدرهمين من بخار » .

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* وَلَا يَنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا *

(٤) ر: « لالتبسا » .

(٣) ر: « هذا » .

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي .

وقال آخر :

تَكْتَفِنِي الْوَشَاءُ فَأَرْعِجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأْشِيِّ الْمَطَاعِ^(١)
وفى الحديث لما طَعَنَ العَلْجُ - أو العبدُ - عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه
صاح: يا لله يا للمسلمين !

وتقولُ : يا للعَجَبِ، إذا كنتَ تدعو إليه، و «يا» لِغَيْرِ الْعَجَبِ، كأنك
قلتَ: يا للنَّاسِ لِلْعَجَبِ. وَيُنْشَدُ هذا البيتُ :

يا لعنة الله والأقوامِ كلِّهم والصالحينَ على سِمعانَ من جَارِ^(٢)
فيا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم لعنة الله والأقوامِ كلِّهم.

وزعمَ سيبويه أنَّ هذه اللامَ التي للاستغاثة دليل، بمنزلة الألف التي تَبَيَّن
بالهاء في الوقف إذا أردتَ أن تُسمع بعيداً. فإنما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام.
وذلك قولك : يَا قَوْمَاهُ! على غير الندبة، ولكن للاستغاثة ومَدَّ الصوت.

والقولُ كما قال. محلُّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ. فإذا وصلتَ حذفتَ
الهاء، لأنها زِيدَتْ في الوقف لخفاء الألف. كما تَرَادُّ لبيان الحركة، فإذا وصلتَ
أغْنَى ما بعدها عنها. تقولُ: يَا قَوْمًا تَعَالَوْا. ويا زيدا لا تَفْعَلْ. ولا يجوزُ أن
تقولَ: يَا لَزَيْدٍ وهو مُقْبِلٌ عليك. وكذلك لا يجوزُ أن تقولَ: يَا زَيْدَاهُ وهو معك،
إنما يقال ذلك للبعيد أو يُنْبِئ به النائم.

فإن قلتَ: يَا لَزَيْدٍ ولعمرو، كسرتَ اللامَ في «عمرو» وهو مَدْعُوٌّ، لأنك إنما
فتحت اللامَ في «زيد» لتفصل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ إليه، فلما عطفت على «زيد»
استغنيت عن الفصل، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار في مثل حاله.

ونظيرُ ذلك الحكايةُ، يقول الرجلُ: رأيتُ زيدا، فتقولُ: مَنْ «زيداً»؟ وإنما
حكيتَ قوله لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُ عن الذي ذَكَرَ بعينه، ولا تسأله عن زيدٍ
غيره، والموضعُ موضعُ رفع، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ، فإن قلتَ: وَمَنْ زَيْدٌ؟ أو فَمَنْ
زيدٌ؟ لم يكن إلا رفعاً، لأنك عطفتَ على كلامه، فاستغنيتَ عن الحكاية، لأن
العطفَ لا يكونُ مستأنفاً.

(١) نسه المرصفي إلى قيس بن ذريح وقبله :

فواكسبدي وعادوني رداعي وكان فراق لبني كالحداع

(٢) سمعان . . بفتح السين وكسرهما. وكلاهما صحيح.

وَنَظِيرُ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ فِي اللَّامِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
يَبْكِيكَ نَاءُ بَعِيدِ الدَّارِ مُعْتَرِبٌ يَا لَلْكُھُولِ وَلِلشَّبَابِ لِلْعَجَبِ !
فَقَدْ أَحْكَمْتَ كُلَّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ .

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خَالِدُ بْنُ عَبَادٍ السَّدُوسِي]

قال أبو العباس : وَذَكَرَ لَعْبِيدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ ، يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَبَّادٍ - أَوْ ابْنُ عَبَادَةَ - وَكَانَ مِنْ نُسَّاكِهِمْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ . فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ آلِ ثَوْرٍ ، فَكَذَّبَ عَنْهُ . وَقَالَ : هُوَ صَهْرِي وَهُوَ فِي ضِمْنِي . فَخَلَّى عَنْهُ . فَلَمْ يَزَلِ الرَّجُلُ يَتَفَقَّدُهُ حَتَّى تَغَيَّبَ ، فَأَتَى ابْنَ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَبَعَثَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبَّادٍ فَأَخَذَهُ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أَيْنَ كُنْتَ فِي غَيْبِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَذْكُرُونَ أَثْمَةَ الْجَوْرِ فَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُمْ ! قَالَ : ادْلُنِي عَلَيْهِمْ ^(١) ، قَالَ : إِذَنْ يَسْعَدُوا وَتَشْقَى . وَلَمْ أَكُنْ لَأَرْوِعَهُمْ !

قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : خيراً . قال : فما تقول في أمير المؤمنين عثمان ، أتتولاهُ وأمير المؤمنين معاوية ؟ قال : إِنْ كَانَا وَلِيَيْنِ اللَّهِ فَلَسْتُ أُعَادِيهِمَا ، فَأَرَاغُهُ مَرَاتٍ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ إِلَى رَحْبَةِ ^(٢) تُعْرَفُ بِرَحْبَةِ الزَّيْنَبِيِّ .

فَجَعَلَ الشُّرَطُ يَتَفَادَوْنَ مِنْ قَتْلِهِ ، وَيَرُوعُونَ عَنْهُ تَوَقَّيًّا ، لِأَنَّهُ كَانَ شَاسِفًا ^(٣) عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ ، حَتَّى أَتَى الْمُثَلَّمُ بْنُ مَسْرُوحٍ الْبَاهِلِيَّ ، وَكَانَ مِنَ الشُّرَطِ ، فَتَقَدَّمَ فَقَتَلَهُ ، فَأَتَمَرَ بِهِ الْخَوَارِجُ لِيَقْتُلُوهُ ، وَكَأَ مُغْرَمًا بِاللَّقَاحِ ^(٤) يَتَّبَعُهَا ^(٥) فَيَشْتَرِيهَا مِنْ مَظَانِّهَا . وَهُمْ فِي تَفَقُّدِهِ فَدَسُوا إِلَيْهِ رَجُلًا فِي هَيْئَةِ الْفَتْيَانِ . عَلَيْهِ رَدْعُ رَعْفَرَانٍ ^(٦) .

(١) ر : « دلني عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : الابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التي لها لبن .

(٥) ر : « يتتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزعفران .

فَلَقِيهِ بِالْمَرْيَدِ^(١) وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ لِقْحَةٍ صَفَى^(٢) ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى : إِنْ كُنْتَ تَبْلُغُ^(٣) فَعِنْدِي مَا يُغْنِيكَ عَنْ غَيْرِهِ . فَاْمَضْ مَعِي .

فَمَضَى الْمُثَلَّمُ عَلَى فَرَسِهِ وَالْفَتَى أُمَامَةً ، حَتَّى أَتَى بِهِ بَنَى سَعْدَ ، فَدَخَلَ دَاراً ، وَقَالَ لَهُ : ادْخُلْ عَلَى فَرَسِكَ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَتَوَغَّلَ فِي الدَّارِ أَغْلَقَ الْبَابَ ، وَثَارَتْ بِهِ الْخَوَارِجُ ، فَاعْتَوَرَهُ خُرَيْثُ بْنُ جَحْلٍ ، وَكَهَمَسُ بْنُ طَلْقِ الصَّرِيمِيِّ فَمَقَاتَلَاهُ ، وَجَعَلَا دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ فِي بَطْنِهِ . وَدَفَنَاهُ فِي نَاحِيَةِ الدَّارِ ، وَحَكَآ آثَارَ الدِّمِّ ، وَخَلَّيَا فَرَسَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَأَصِيبَ مِنَ الْغَدِ فِي الْمَرْيَدِ ، وَتَجَسَّسَ^(٤) عَنْهُ الْبَاهِلِيُّونَ فَلَمْ يَرَوْا لَهُ أَثَرًا . فَاتَّهَمُوا بِهِ بَنَى سَدُوسٍ ، فَاسْتَعَدَّوْا عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ ، وَجَعَلَ السَّدُوسِيُّونَ يَحْلِفُونَ ، وَتَحَامَلُ^(٥) ابْنُ زِيَادٍ مَعَ الْبَاهِلِيِّينَ . فَأَخَذَ مِنَ السَّدُوسِيِّينَ أَرْبَعَ دِيَاتٍ . وَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ ! كُلَّمَا أَمَرْتُ بِقَتْلِ أَحَدِهِمْ اغْتَالُوا قَاتِلَهُ فَلَمْ يُعْلَمْ بِمَكَانِهِ . حَتَّى خَرَجَ مَرْدَاسٌ ، فَلَمَّا وَافَقَهُمْ ابْنُ زُرْعَةَ صَاحَ بِهِمْ جُرَيْثُ ابْنِ جَحْلٍ : أَهَاهُنَا مِنْ بَاهِلَةٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، أَخَذْتُمْ بِالْمُثَلَّمِ أَرْبَعَ دِيَاتٍ وَأَنَا قَاتِلَتُهُ^(٦) ، وَجَعَلْتُ دِرَاهِمَ كَانَتْ مَعَهُ فِي بَطْنِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا مَدْفُونٌ ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا صَارُوا إِلَى الدَّارِ ، فَصَابُوا أَشْلَاءَهُ وَالدِّرَاهِمَ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

أَلَيْتُ لَا أَغْدُو إِلَى رَبِّ لِقْحَةٍ أَسَاوِمُهُ حَتَّى يَعُودَ الْمُثَلَّمُ^(٧)
ثُمَّ خَرَجَتْ خَوَارِجٌ لَا ذِكْرَ لَهُمْ ، كُلُّهُمْ قَتِيلٌ ، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى
الْأَزَارِقَةِ .

(١) المريد : المكان الذي تحبس فيه الإبل وتضان . ومنه سمي مريد البصرة . وكان موضع سوق الإبل .

(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .

(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنا جيدا . قاله المرصفي .

(٤) ر : « وتحسن » .

(٥) ر : « فتحامل » .

(٦) ر : « وأنا قاتله » .

(٧) بعده كما ذكره المرصفي :

وَقَارَبَهُ فِي السَّوْمِ وَالْقَتْلِ يَكْتُمُ
وَقَدْ بَاتَ يَجْرِي فَوْقَ أَثْوَابِهِ الدِّمُّ
وَلَكِنْ حِينَ الْمَرَّةِ لِلْمَرَّةِ مَسْلَمٌ

وَقَالَ لَهُ كَوْمَاءُ حَمْرَاءُ جَلْدَةٌ
فَأَصْبَحَ قَدْ عَمِيَ عَلَى النَّاسِ أَمْرُهُ
وَقَدْ كَانَ فِيمَا كَانَ مِنْهُ بِمَعَزَلٍ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افتרכת الخوارجُ فصارت على أربعةٍ أُضربِ :
 الإباضيةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إِبَاض .
 والصفوريةُ : واختلفوا في تسميتهم ، فقال قومٌ : سموا بـابنِ صَفَّارٍ^(١) ، وقال آخرون - وأكثر المتكلمين عليه - هم قومٌ نهَكْتَهُمُ العبادةَ فاصفَرَّت وجوههم .
 ومنهم البيهسيةُ ، وهم أصحابُ بيهس^(٢) .
 ومنهم الأزارقة ، وهم أصحابُ نافع بن الأزرقِ الحنفيِّ .
 وكانوا قبلُ على رأى واحدٍ ، لا يختلفون إلَّا فى الشيء الشاذُّ من الفروع ،
 كما قال صخرُ بن عُرْوَةَ : إنى كرهت قتالَ على بن أبى طالب رضى الله عنه
 لسابقتَه وقرابته ، فأما الآن فلا يسعُنِي إلَّا الخروجُ . وكان اعتزَلَ عبدُ الله بن وهبٍ
 يومَ النهَرِ ، فضلَّلتَه^(٣) الخوارجُ بامتناعِه من قتالِ على .

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرهم الذى نَسْتَأْهُ : أنَّ جماعةً من الخوارج ، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر
 الحنفيُّ عَزَمُوا على أن يقصدوا مكة ، لما تَوَجَّهَ مُسْلِمٌ بن عَقْبَةَ يريدُ المدينةَ لوقعة
 الحرةِ ؛ فقالوا : هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ، ويجب علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله
 منه . ومنتحن ابن الزبير ، فإن كان على رأينا بايعناه ، فَمَضَوْا لذلك .

فكان أولُ أمرهم أنَّ أبا الوأزعِ الرَّاسِبِيَّ - وكان من مجتهدى الخوارج - كان
 يَذْمُرُ نَفْسَه ويلومُها على القعودِ ، وكان شاعراً ، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه . فأتى
 نافع بن الأزرق وهو فى جماعةٍ من أصحابه ، يَصِفُ لَهُم جَوْرَ السلطان - وكان ذا
 لسانٍ عَضْبٍ ، واحتجاجٍ وصبرٍ على المنازعة - فأتاه أبو الوأزعِ ، فقال : يا نافعُ ،
 لَقَدْ أُعْطِيتُ لِسَاناً صَارِماً . وقلباً كَلِيلاً ، فَلَوَدِدْتُ أن صَرَّامَةَ لِسَانِكَ كانت لقلبك ،
 وكَلَالَةَ قَلْبِكَ كان للسانك ، أَتَحُضُّ على الحقِّ وَتَقْعُدُ عنه ، وَتَقْبَحُ الباطلَ وتُقيمُ
 عليه ! فقال : إلى أن يَجْتَمَعَ^(٤) من أصحابك من تَنكِى به عدوك ، فقال أبو الوأزعِ :

(٢) هو هيصم بن جابر .

(٤) ر : « تجمع » .

(١) هو عبد الله بن الصفا .

(٣) ضلَّته . نسبته إلى الضلال .

لِسَانِكَ لَا يُنْكِي بِهِ الْقَوْمُ إِنَّمَا تَنَالُ بِكَفِّكَ النَّجَاةَ مِنَ الْكَرْبِ
فَجَاهِدْ أُنَاسًا حَارِبُوا اللَّهَ وَاصْطَبِرْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخْزِيَ غَوَى بَنِي حَرْبٍ

ثم قال: والله لا ألوئك ونفسي ألوم، ولا غُدُونٌ غَدُوَةٌ لا أَثْنِي بعدها أبداً. ثم مضى فاشتري سيفاً، وأتى صَيْقَلًا (١) كان يذم الخوارج ويدل علي عوراتهم، فشاورة في السيف فحمدته، فقال: اشحذه، فشحذه. حتى إذا رضى حَكَمَ وَخَبَطَ به الصقيل وحمل علي الناس فتهاربوا منه، حتى أتى مقبرة بني يشكر، فدفع عليه رجلٌ حائطَ السُّترة فكرهت ذلك بنو يشكر. خوفاً أن تجعل الخوارج قبره مهاجراً، فلما رأى ذلك نافعٌ وأصحابه جدوا، وخبرج في ذلك جماعة، فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطي، من تيم اللات بن ثعلبة، ومقتله بعد خروج الأزارقة.

فمضى نافعٌ وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة، ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرفوه أنفسهم، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام، فدافعوهم إلى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية، ولم يبايعوا ابن الزبير.

ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمر، وبرئ من عثمان وعلي، وكفر أباه وطلحة، بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده. فتشأغلنا بما يُجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو متبذلٌ. وأصحابه متفرقون عنه. فقالوا: إنا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى، وآوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه. وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وأثرهم بغيء المسلمين؟ وفي الذي بعده الذي حَكَمَ في دين الله الرجال. وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم؟ وفي أبيك وصاحبه، وقد بايعا علياً وهو إمام عادل مرضي، لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجنا عائشة تُقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن (٢) في بيوتهن؟ و كان لك في ذلك ما يدعوك إلى

(١) الصقيل: شحاذ السيوف وجلاؤها.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب ٣٣: ﴿وقرن في بيوتكن﴾.

التوبة! فإن أنت قلت كما نقول فلك الزُّلفَةُ عندَ الله والنَّصْرُ على أيدينا، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ وإن^(١) أبيتَ خذلكَ الله وانتصرَ منك بأيدينا^(١).

فقال ابن الزبير : إنَّ الله أمر - وله العزة والقُدرة - في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العُتاة بأرفه^(٢) من هذا القول، فقال لموسى ولأخيه - صلى الله عليهما - في فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٣) وقال رسول الله ﷺ : « لا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبِّ المَوْتَى » فَنهَى عن سَبِّ أبى جهلٍ من أجل عكرمة ابنه، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرسول، والمقيم على الشُّرك، والجاد فى المحاربة، وألمتبغضُ إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة، والمحاربُ له بعدها، وكفى بالشُّرك ذنباً! وقد كان يُغنيكم عن هذا القول الذى سَمِيتُمْ فيه طلحة. وأبى أن تقولوا: أَتَبْرَأُ مِنَ الظالمين؟ فإن كانا منهم، دخلاً فى غُمار^(٤) الناس، وإن لم يكونا منهم لم تُحفظُونى^(٥) بِسَبِّ أبى وصاحبه. وأنتم تعلمون أنَّ الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أبويهِ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٦)، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٧). وهذا الذى دَعَوْتُمْ إليه أمرٌ له ما بعده، وليس يُقنعكم إلاَّ التوقف والتَّصريح، ولَعَمْرى إنَّ ذلكَ لأخرى بقطع الحُجج، وأوضح لِنُهاج الحقِّ، وأولى بأن يَعْرِفَ كلُّ صاحبه من عدوِّه، فُروحوأ إلى مِن عَشِيَّتكم هذه أَكشِفَ لكم ما أنا عليه إن شاء الله .

فلما كان العشيُّ راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبسَ سلاحه، فلما رأى ذلك نَجدة قال: هذا خروجُ مُنابدٍ لكم، فجلس على رَفْعٍ من الأرض فحمدَ الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ . ثم ذَكَرَ أبا بكر وعمرَ أحسنَ ذكراً، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السَّنينِ الأوائلِ من خلافتِهِ، ثم وَصَلَهُنَّ بالسَّنينِ التى أنكَرُوا سِيرَتَهُ فيها. فجعلها كالماضية، وخبرَ أنه آوى الحُكمَ بن أبى العاصِ بإذنِ رسولِ الله ﷺ ،

(١-١) كذا وردت العبارة فى الأصل . س . وفى ر : « وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول . وتصويب أبيك وصاحبه . والتحقيق بعثمان ، والتولى على السنين الست التى أحلت دمه . ونقضت . . . وأفدت إمامته ، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا » .

(٢) فى ر : « بأرف » .

(٣) سورة طه ٤٤ .

(٤) غمار الناس : جماعاتهم .

(٥) لم تحفظونى : لم تغضبونى .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

(٧) سورة البقرة ٨٣ .

وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأنَّ القومَ استَعَبُوهُ من أمور، وكان له أن يفعلها أولاً مُصِيباً، ثم أَعْتَبَهُمْ بعدَ مُحَسِّنًا، وأنَّ أهلَ مصرَ لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضَمِنَ لهم العُتْبَى؛ ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ، فدَقَعُوا الكتابَ إليه، فحلف أنه لم يَكُتِبْهُ ولم يَأْمُرْ به، وقد أَمَرَ بِقَبُولِ اليمينِ ممن ليس له مثلُ سَابِقَتِهِ، مع ما اجْتَمَعَ له من صِهرِ رسولِ الله ﷺ ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه، وعثمانُ الرجل الذي لَزِمَتْهُ يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحَلَفَ على حقٍّ فافتداها بمائة ألف ولم يحلف، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ» .

فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصَاحِبِيهِ، وأنا وليُّ وُكَيْيهِ، وعدُوُّ عَدُوِّهِ، وأبى وصاحبُه صاحباً رسولُ الله ﷺ، ورسولُ الله يقولُ عن الله تعالى يومَ أحدٍ لما قُطِعَتْ إصْبَعُ طَلْحَةَ: «سَبَقَتْهُ إِلَى الْجَنَّةِ»، وقال: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»، وكان الصديقُ إذا ذَكَرَ يومَ أحدٍ، قال: ذاك يومَ كُلُّهُ أو جُلُّهُ لَطَلْحَةَ، والزبيرُ حَوَارِيُّ رسولِ الله وَصَفَوْتُهُ، وقد ذَكَرَ أَنَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وقال جلَّ وعزَّ: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(١)، وما أَخْبَرْنَا بعدُ أنه سَخَطَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنْ مَا سَعَوْا فِيهِ حَقًّا فَأَهْلُ ذَلِكَ هُمْ، وَإِنْ يَكُنْ زَلَّةٌ فَفِي عَفْوِ اللَّهِ تَمْحِصُهَا، وَفِيمَا وَفَقَهُمْ لَهُ مِنَ السَّابِقَةِ مَعَ نَبِيِّهِمْ ﷺ. ومهما ذَكَرْتُمُوهَا بِهِ فَقَدْ بَدَأْتُمْ بِأَمْكُمُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فَإِنَّ أَبِي أَبٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ أُمًّا نَبَذَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَنْهُ، قال الله جلَّ وعزَّ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^(٢). فنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ .

وكان سببُ وضعِ الحربِ بينَ ابنِ الزبيرِ وبينَ أهلِ الشام - بعدَ إذ كان^(٣) حُصَيْنَ بنَ نَمِيرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبيرِ أنه أتاها موتُ يَزِيدَ بنِ معاويةَ فتَوَادَعَ النَّاسُ، وقد كان أهلُ الشامِ ضَجَرُوا مِنَ الْمَقَامِ عَلَى ابنِ الزبيرِ، وَحَنَقَتِ الْخَوَارِجُ فِي قِتَالِهِمْ، ففِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ:

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(١) سورة الفتح ١

(٣) ر : « أن كان » .

يا صاحبي ارتحلاً ثم املساً لا تحبساً لدى الحَصِينِ مَحْبَساً
 إِنَّ لَدَى الْأَرْكَانِ نَاساً بُوْساً
 - [قال الأَخْفَشُ : حَفَظِي « بَأْساً أَبُوْساً »] -
 وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الْأَنْفُسَا إِذَا الْفَتَى حَكَّمَ يَوْمًا كَلَّسَا
 قوله : « ثم املساً » يريد : تَخَلَّصًا تَخَلُّصًا سهلاً ، وَكَلَّسَ ، أَي حَمَلَ وَجَدَ .

ولما سَمَّحَ ابن الزبير للخوارج في القولِ وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له
 فلان بن همام^(١) من رهط الفرزدق :
 يَا بْنَ الزَّبِيرِ أَنْتَ هَوَى عَصَبَةٍ قَتَلُوا ظِلْمًا أَبَاكَ وَلَمَّا تُنْزَعِ الشُّكَّ
 ضَحَّوْا بِعَثْمَانَ يَوْمَ النَّحْرِ ضَاحِيَةً مَا أَعْظَمَ الْحَرَمَةَ الْعُظْمَى الَّتِي أَنْتَهُكُوا!
 فقال ابنُ الزبير : لو شايعتني التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشام لشايعتُها .
 الشُّكَّ : جمعُ شِكَّةٍ ، وهى السَّلاحُ . قال الشاعر :
 وَمُدَجَّجًا يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ

فتفرقت الخوارجُ عن ابن الزبير لما تَوَلَّى عَثْمَانُ ، فصارت طائفة إلى
 البصرة ، وطائفة إلى اليمامة ، وكان رجاءُ النُصْرَى^(٢) وهو الذى كان جَمَعَهُم
 للمدافعة عن الحرم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفى ، وبنو
 الماحُوزِ السليطيون ، ورؤسُهم حسانُ بن بحدج^(٣) . فلما صاروا إلى البصرة نظروا
 فى أمورهم فأمرُوا عليهم نافعاً .

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويُروى أن أبا الجَلْدِ اليشكرى قال لنافع يوماً : يا نافعُ إنَّ لجهنم سبعة
 أبوابٍ ، وإنَّ أشدها حرًّا لِلْبَابِ الذى أُعِدَّ للخوارج ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون منهم

(١) ر : « قيس بن همام » .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ر « النمبرى » .

(٣) ر : « محرج » .

فأفعل، فأجمع القوم على الخروج، فمضى بهم نافع إلى الأهواز^(١) في سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يهيجون أحداً، ويُنَظِّرونَ الناسَ.

وكان سببُ خروجهم إلى الأهواز أنه لما مات يزيدُ بايعَ أهلُ البصرة عبيدَ الله ابنَ زياد، وكان في السجن يومئذ أربعمئة رجلٍ من الخوارج، وضعفَ أمرُ ابنِ زياد، فكُلِّمَ فيهم فأطلقهم، فأفسدوا البيعةَ عليه، وفشوا في الناس، يدعونَ إلى محاربةِ السلطان ويظهرون ما هم عليه، حتى اضطربَ على عبيد الله أمره. فتحولَ عن دار الإمارة إلى الأزْد، ونشأت الحرب بسببه بين الأزْد وربيعةَ وبين بني تميم، فاعتزلهم الخوارجُ إلا نفرًا منهم من بني تميم. معهم عبسُ بن طلق الصريمي أخو كهمس، فإنهم أعانوا قومهم، فكان عبسُ الطعان في سعد، والربابُ في القلب بحذاء الأزْد.

وكان حارثة بن بدرِ اليربوعي في حنظلة بحذاء بكر بن وائل، وفي ذلك يقول حارثة بن بدرٍ للأحنف؛ وهو صخرُ بن قيس :

سيكفيك عبسُ أخو كهمس مُواقفةَ الأزْد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها لكيز بن أفصى وما عددوا

- لكيز هو عبدُ القيس -

وتكفيك بكرًا إذا أقبلت بضربٍ يشيبُ له الأمر

فما قُتل مسعودُ بن عمرو المَعْنِي، وتكافَّ الناس، أقام نافعُ بن الأزرق بموضعه بالأهواز، ولم يعدْ إلى البصرة، وطرَدوا عمالَ السلطان عنها، وجَبَوْا ألفيَّ.

[خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق ، والرسائل التي دارت بينهما]

ولم يزالوا على رأي واحد، يتولَّونَ أهلَ النهر ومرداساً ومن خرج معه، حتى جاء مولىَ لبني هاشمٍ إلى نافع، فقال له: إنَّ أطفالَ المشركين في النار، وإنَّ مَنْ خالفنا مشركٌ، فدماءُ هؤلاء الأطفال لنا حلالٌ. قال له نافع: كفرتَ وأحللتَ بنفسك^(٢)، قال له: إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقتلني، ﴿قال نوحٌ ربِّ لا

(١) الأهواز سَع كور بين البصرة وفارس

(٢) ر س . « وأدلت » .

تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا^(١)، فهذا أمرُ الكافرين وأمرُ أطفالهم، فشهد نافع أنهم جميعاً في النار، ورأى قتلهم. وقال: الدار دار كُفرٍ إلا من أظهر إيمانه، ولا يحلُّ أكل ذبائحهم^(٢)، ولا تناكحهم، ولا توارثهم، ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم كفَّار العرب، لا نقبلُ منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم، والتقية لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً^(٣)﴾. وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَةً^(٤)﴾. فنفر جماعة من الخوارج عنه، منهم نجدة بن عامر، واحتج بقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً^(٥)﴾، وبقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ^(٦)﴾. فالقعد منا، والجهاد إذا أمكن أفضل، لقوله جل وعز: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا^(٧)﴾.

ثم مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان.

فلما تتابع^(٨) نافع في رأيه وخالف أصحابه، وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم^(٩) في جماعة قد بايعوه، فلما انخرزل نجدة خلَعوا أبا طالوت، وصاروا إلى نجدة فبايعوه، ولقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة^(١٠) - والعرمة كالسكر^(١١) - وجمعها عَرِمٌ، وفي القرآن المجيد: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ^(١٢)﴾ وقال النابغة الجعدي:

مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَنْوُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِ الْعَرِمَا
فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ نَجْدَةٍ: إِنْ نَافِعًا قَدْ أَكْفَرُ^(١٣) الْقَعْدَ وَرَأَى الْاسْتِعْرَاضَ،
وَقَتْلَ الْأَطْفَالِ، فَانصَرَفُوا مَعَ نَجْدَةٍ. فلما صار باليمامة كتب إلى نافع.

(١) سورة نوح ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة النساء ٧٧.

(٣) سورة آل عمران ٢٨.

(٤) سورة النساء ٩٥.

(٥) خضارم: اسم واد باليمامة.

(٨) التتابع في الشر وهو التهافت عليه.

(٩) العرمة: أرض صلبة تتأخم الدهناء.

(١٠) السكر، بكسر فسكون: اسم لما سد به فم النهر.

(١١) سورة ساء ١٦.

(١٢) سورة ساء ١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ
الرحيم . وللضعيف كالأخ البرِّ ، لا تأخذك في الله لومة لائم . ولا تَرَى مَعُونَةَ
ظالم ، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابك ، أما تَذَكَّرُ قَوْلَكَ : لولا أَنِّي أعلمُ أن للإمام
العادل مثلَ أجرِ جميعِ رعيَّته ما توليتُ أمرَ رجلينِ من المسلمين ؟ فلما شَرَّيتَ
نَفْسَكَ في طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبتَ من الحقِّ فِصَّةً ، وركبتَ مُرَّةً . تَجَرَّدَ
لك الشيطانُ ، ولم يكن أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك وَمِنْ أصحابك . فاستمالك
واستهواك واستغواك وأغواك ، فَغَوَيْتَ فَأَكْفَرْتَ الَّذِينَ عَذَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَعَدِ
المسلمين وَضَعَفْتَهُمْ ، فقال جل ثناؤه ، وقوله الحقُّ ووَعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿لَيْسَ عَلَى
الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
وِرَسُولِهِ﴾^(١) . ثم سَمَاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، فقال : ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ
سَبِيلٍ﴾^(٢) . ثم اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ ، وقد نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِهِمْ ،
وقال الله عز ذكره : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣) ، وقال في الْقَعْدِ خَيْرًا ،
وَفَضَلَ اللَّهُ مِنْ جَاهِدٍ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَدْفَعُ مَنَزَلُهُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَمَلًا مَنَزَلَةً مَنْ هُوَدُونَهُ ،
أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى
الضَّرَرِ﴾^(٤) ، فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم ،
ورأيتَ ألا تُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ خَالَفَكَ ، والله يأمرُ أن تُؤَدِّيَ الْأَمَانَاتُ إِلَى أَهْلِهَا ،
فاتقِ الله وانظرْ لنفسك ، واتقِ يوماً ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ
عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^(٥) ، فإن الله عزَّ ذكره بِالْمِرْصَادِ ، وَحُكْمِهِ الْعَدْلُ ، وقوله الْفَصْلُ ،
وَالسَّلَامُ .

فكتب إليه نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد أثنى كتابك تعظني فيه
وتذكّرني ، وتنصح لي وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحقِّ ، وما كنت أوثره
من الصوابِ ، وأنا أسأل الله جلَّ وعزَّ أن يجعلني من الذين يستمعون القول

(٢) سورة التوبة ٩١ .

(٤) سورة النساء ٩٥ .

(١) سورة التوبة ٩١ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .

(٥) سورة لقمان ٣٣ .

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَعَبَتَ عَلَى مَا دَنَتْ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقُتْلِ الْأَطْفَالِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ، فَسَافَسَرُ لَكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

أَمَّا هَؤُلَاءِ الْقَعْدُ فَلْيَسُوا كَمَنْ ذَكَرْتَ مَنْ كَانَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . لَأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ مَقْهُورِينَ مُحْصُورِينَ، لَا يَجِدُونَ إِلَى الْهَرَبِ سَبِيلًا، وَلَا إِلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمُسْلِمِينَ طَرِيقَةً، وَهَؤُلَاءِ قَدْ فَقَّهُوْا فِي الدِّينِ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ، وَالطَّرِيقَ لَهُمْ نَهْجٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ، إِذْ قَالُوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١). فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسْعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(٢). وَقَالَ: ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾^(٤). فَخَبَّرَ بِتَعْذِيرِهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَقَالَ: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥). فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَائِهِمْ وَسِمَاتِهِمْ.

وَأَمَّا أَمْرُ الْأَطْفَالِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ - يَا نَجْدَةَ - مِنْي وَمِنْكُمْ فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٦). فَسَمَّاهُمْ بِالْكَفْرِ وَهُمْ أَطْفَالٌ. وَقَبْلَ أَنْ يُولِدُوا. فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَلَا نَكُونُ نَقُولُهُ فِي قَوْمِنَا! وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾^(٧)، وَهَؤُلَاءِ كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، لَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ جَزِيَّةً، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ أَوْ الْإِسْلَامُ.

وَأَمَّا اسْتِحْلَالُ أَمَانَاتٍ مَنْ خَالَفَنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَنَا أَمْوَالَهُمْ، كَمَا أَحَلَّ لَنَا دِمَاءَهُمْ، فَدِمَاؤُهُمْ حَلَالٌ طَلُقَ^(٨)، وَأَمْوَالُهُمْ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ. فَاتَّقِ اللَّهَ وَرَاجِعْ نَفْسَكَ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكَ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، وَلَنْ يَسْعَكَ خِذْلَانُنَا، وَالْقَعُودُ عَنَّا، وَتَرْكُ مَا نَهَجْنَاهُ لَكَ مِنْ طَرِيقَتِنَا وَمَقَالَتِنَا، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَقْرَأَ بِالْحَقِّ وَعَمِلَ بِهِ.

[كِتَابُ نَافِعٍ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ]

وَكَتَبَ نَافِعٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَدْعُوهُ إِلَى أَمْرِهِ :

- | | |
|----------------------|------------------------|
| (١) سورة النساء ٩٧ . | (٢) سورة النساء ٩٧ . |
| (٣) سورة التوبة ٨١ . | (٤) سورة التوبة ٩٠ . |
| (٥) سورة التوبة ٩٠ . | (٦) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ . |
| (٧) سورة القمر ٤٣ . | (٨) الطلق . الحلال . |

أما بعد : فإنني أحذرك من الله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١). فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين، فإن الله يقول: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ (٢). وقد حضرت عثمان يوم قُتِلَ فَلَعَمْرِي لئن قُتِلَ مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين - وإنهم لمهتدون - لقد كفر من يتولاه وينصره ويعصده. ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره من بين قاتلي وخاذلي، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان، فكيف (٣) ولأية قاتل متعمد ومقتول في دين واحد! ولقد ملك عليٌ بعده فنقى الشبهات، وأقام الحدود، وأجرى الأحكام مجاريها، وأعطى الأمور حقائقها، فيما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة، ثم خلعه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس: إن يكن عليٌ في وقت معصيتكم ومُحَارَبَتِكُمْ له كان مؤمناً؛ أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعمتم، وفي الحكم جائراً، لقد بؤتُم بغضب من الله لفراركم من الرِّحْف، ولقد كنت له عدواً، وليسيرته عائباً، فكيف توليته بعد موته! فاتق الله فإنه يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٤).

[كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة]

وكتب نافع إلى من بالبصرة من المحكمة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة، والدين واحد، فقيم المقام بين أظهر الكفار، تروُن الظلم ليلاً ونهاراً، وقد ندبكم الله إلى الجهاد فقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (٥)، ولم يجعل لكم في التَّخَلُّفِ عذراً في حال من الحال، فقال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ (٦) ! وإنما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما يُنفقون ومن كانت إقامته لعلّة . ثم فضل عليهم مع ذلك

(١) سورة آل عمران ٣٠

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) ر « وكف »

(٤) سورة المائدة ٥١ .

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة التوبة ٤١

المجاهدين . فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١) ؛ فلا تَغْتَرَّوْا وَلَا تَطْمَئِنُّوا إِلَى الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا مَرَارَةٌ مَكَّارَةٌ . لَذَّتْهَا نَافِدَةٌ ، وَنَعَمَتُهَا بَائِدَةٌ . حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا . وَأَظْهَرَتْ حَبْرَةٌ^(٢) . وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ أَكَلُ مِنْهَا أَكْلَةٌ تَسْرُهُ . وَلَا شَارِبُ شُرْبَةٍ تُؤْنِقُهُ^(٣) . إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةً إِلَى أَجَلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةً مِنْ أَمَلِهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ، فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَلِيمٌ بِهَا قَرَارًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(٤) . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى .

فَوَرَدَ كِتَابُهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بِيَهَسٍ هَيْصَمُ بْنُ جَابِرٍ الضُّبَعِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ الْمُرِّي ، مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَبِيدٍ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بِيَهَسٍ عَلَى ابْنِ إِبَاضٍ فَقَالَ : إِنْ نَافِعًا غَلَا فَكْفَرًا ، وَإِنْكَ قَصَرْتَ فَكَفَّرْتَ ، تَزَعُمُ أَنَّ مَنْ خَالَفْنَا لَيْسَ بِمُشْرِكٍ . وَإِنَّمَا هُمْ كُفَّارُ النَّعَمِ ؛ لَتَمْسُكُهُمُ بِالْكِتَابِ ، وَإِقْرَارِهِمُ بِالرَّسُولِ ، وَتَزَعُمُ أَنَّ مَنَّا كَحَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ وَالْإِقَامَةَ فِيهِمْ حِلٌّ طَلَقُ^(٥) ؟ وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ أَعْدَاءَنَا كَأَعْدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، تَحِلُّ لَنَا الْإِقَامَةُ فِيهِمْ . كَمَا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي إِقَامَتِهِمْ بِمَكَّةَ . وَأَحْكَامُ الْمُشْرِكِينَ تَجْرِي فِيهِمْ^(٦) ، وَأَزَعُمُ أَنَّ مَنَّا كَحَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ تَجُوزُ لَأَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ يَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ . وَأَنْ حَكَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حَكَمُ الْمُشْرِكِينَ .

فَصَارُوا فِي هَذَا الْوَقْتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقَاوِيلَ : قَوْلُ نَافِعٍ فِي الْبِرَاءَةِ وَالِاسْتِعْرَاضِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ . وَقَوْلُ أَبِي بِيَهَسٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضٍ . وَهُوَ أَقْرَبُ الْأَقَاوِيلِ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَقَاوِيلِ الضَّلَالِ . وَالصُّفْرِيَّةُ وَالنَّجْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ بِقَوْلِ ابْنِ إِبَاضٍ . وَقَدْ قَالَ ابْنُ إِبَاضٍ مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَقَالَتِهِ .

وَأَنَا أَقُولُ : إِنَّ عَدُوَّنَا كَعَدُوِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنِّي لَا أَحْرَمُ مَنَّا كَحَتَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ ، لِأَنَّ مَعَهُمُ التَّوْحِيدَ وَالْإِقْرَارَ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَرَى مَعَهُمْ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ تَجْمَعُهُمْ ، وَأَرَاهُمْ كُفَّارًا لِلنَّعَمِ ، وَقَالَتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلَيْنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ فِي أَمْرِ الْقَعْدِ . حَتَّى صَارَ عَامَتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فِيهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فَقَالَ قَوْمٌ :

(٢) الحبرة . النعمة وسعة العيش .

(٤) سورة البقرة ١٩٧ .

(٦) ر . « هِيهَا » .

(١) سورة النساء ٩٥ .

(٣) تؤنقه : تعجبه .

(٥) طلق . حلال .

سُمُوا صُفْرِيَّةً لَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ صَفَّارٍ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا سُمُوا بِصُفْرَةٍ عَلَتْهُمْ.
وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَاصِمٍ اللَّيْثِيِّ. وَكَانَ يَرَى رَأَى الْخَوَارِجَ، فَتَرَكَهُ وَصَارَ
مُرْجئاً:

فَارَقْتَ نَجْدَةَ وَالَّذِينَ تَزَرَّقُوا وَأَبْنَ الزُّبَيْرِ وَشِيعَةَ الْكَذَّابِ (١) !
وَالصُّفَّرَ الْأَذَانَ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا دِيناً بِلَا ثِقَةٍ وَلَا بَكْتَابِ

- خَفَّفَ الهمزة من « الْأَذَانَ » ولولا ذلك لانكسر الشَّعْرُ -

وَقَالَ أَبُو بَيْهَسٍ: الدَّارُ دَارُ كُفْرٍ. وَالاستعراضُ فِيهَا جَائِزٌ، وَإِنْ أَصِيبَ مِنَ
الْأَطْفَالِ فَلَا حَرَجَ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مَقْتَلُ نَافِعٍ بِالْأَهْوَازِ]

وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى الْأَضْرُبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَأَقَامَ نَافِعٌ بِالْأَهْوَازِ
يَعْتَرِضُ النَّاسَ وَيَقْتُلُ الْأَطْفَالَ، فَإِذَا أُجِيبَ إِلَى الْمَقَالَةِ جَبَّ الْخَرَجَ. وَفَشَّ عَمَلَهُ فِي
السَّوَادِ (٢). فَارْتَاعَ لَذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، فَشَكَّوْا
ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ إِلَّا لَيْلَتَانِ، وَسِيرَتُهُمْ مَا تَرَى. فَقَالَ
الْأَحْنَفُ: إِنْ فَعَلَهُمْ فِي مَصْرِكُمْ - إِنْ ظَفَرُوا بِهِ - كَفَعْلَهُمْ فِي سَوَادِكُمْ، فَجَدُّوا فِي
جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ، فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ
الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَهُوَ بَيْتٌ (٣) - فَسَأَلَهُ أَنْ يُؤَمِّرَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَارَ لَهُمْ ابْنَ
عَبَّيْسٍ (٤) بْنِ كُرَيْزٍ، وَكَانَ دِيناً شَجَاعاً، فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَشِيعَهُ، فَلَمَّا نَفَذَ مِنْ جَسْرِ
الْبَصْرِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: إِنِّي مَا خَرَجْتُ لَامْتِيَارٍ (٥) ذَهَبٍ وَلَا قَضِيَّةٍ وَإِنِّي

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) السه فى الأصل : كثرة اللحم وتراكبه . لقب به عبد الله بن الحارث ؛ وكانت أمه ترقصه وتقول :

لَأَنْكَحَنَنَّ بَيْتَهُ جَارِيَةً كَالْقُبَّةِ
مَكْرَمَةً مَحَبَّةً تحب أهل الكعبة

(٤) هو مسلم بن عبيس .

(٥) الامسار هنا حبل الطعام

لأحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحُهم، فمن كان شأنه الجهادَ فَلْيَنْهَضْ. وَمَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ فَلْيَرْجَعْ. فرجع نفرٌ يسيرٌ، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدُولاب^(١) خرج إليهم نافعٌ. فاقتتلوا قتالا شديداً، حتى تكسرت الرماحُ، وعُقرت الخيلُ، وكثرت الجراحُ، والقتلى^(٢)، وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل في المعركة ابنُ عبيسٍ ونافعُ بن الأزرَق.

وكان ابنُ عبيسٍ قد تقدّم إلى أصحابه فقال: إن أُصِبتُ فأمرِكُم الربيعُ بن عمرو الأجدُمُ الغدانيُّ، فلما أُصيبَ ابنُ عبيسٍ أخذَ الربيعُ الرايةَ. وكان نافعٌ قد استخلفَ عبيدَ الله بن الماحُوزِ السِّلَيطيَّ. فكان الرئيسان من بنى يربوع: رئيس المسلمين من بنى غُدانة بن يربوع، ورئيسُ الخوارج من بنى سَلِيط بن يربوع، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وَدَعَى قَتْلَ نَافِعٍ سَلَامَةُ الْبَاهِلِيُّ، وقال: لَمَّا قَتَلْتُهُ وَكُنْتُ عَلَى بَرْدُونَ وَرَد^(٣)، إِذَا بِرَجُلٍ عَلَى فَرَسٍ - وَأَنَا واقِفٌ فِي خُمْسٍ قَيْسٍ - يُنَادِي: يَا صَاحِبَ الْوَرْدِ! هَلُمَّ إِلَيَّ الْمُبَارَزةَ. فَوَقِفْتُ فِي خُمْسٍ بَنِي تَمِيمٍ، فَإِذَا بِهِ يَعْضُضُهَا عَلَى. وَجَعَلْتُ أَنْتَقِلُ مِنْ خُمْسٍ إِلَى خُمْسٍ إِلَى خُمْسٍ. وَلَيْسَ يُزَايِلُنِي. فَصَرْتُ إِلَى رَحْلِي، ثُمَّ رَجَعْتُ. فَرَأَى فِدْعَانِي إِلَى الْمُبَارَزةِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضْرِبَتُهُ فَصْرَعْتُهُ، فَنَزَلْتُ لِسْلَبِهِ وَأَخَذْتُ رَأْسَهُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قَدْ رَأَتْني حِينَ قُلْتُ نَافِعًا، فَخَرَجَتْ لَتَّارَ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ الرَّبِيعُ الْأَجْدُمُ يَقَاتِلُهُمْ نِيفًا وَعَشْرِينَ يَوْمًا. حَتَّى قَالَ يَوْمًا: أَنَا مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَأَنَّ يَدِي الَّتِي أُصِيبْتُ بِكَابُلٍ انْحَطَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَشَلَّتْنِي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَاتَلَ إِلَى اللَّيْلِ، ثُمَّ غَادَاهُمْ فَقَتَلَ. فَتَدَافَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الرَّايَةَ حَتَّى خَافُوا الْعَطَبَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَئِيسٌ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْحِجَّاجِ بْنِ بَابِ الْحَمِيرِيِّ فَأَبَاهَا، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ رُؤُسَاءَ الْعَرَبِ بِالْخَضْرَاءِ. وَقَدْ اخْتَارُوكَ مِنْ بَيْنِهِمْ! فَقَالَ: مَشْؤُومَةٌ، مَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَ، ثُمَّ أَخْذَهَا، فَلَمْ يَزَلْ يَقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِدُولَابٍ، وَالْخَوَارِجُ أَعَدُّ بِالْأَلَاتِ وَالْدُرُوعِ وَالْجَوَاشِينِ^(٤)، فَالْتَقَى الْحِجَّاجُ بْنُ بَابٍ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّاسِبِيُّ وَذَلِكَ بَعْدَ

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء .

(٤) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أن اقتتلوا زهاء شهر، فاختلفا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أم عمران تراثيه:

الله أيدَ عمراناً وطهره
يدعوه سراً وإعلاناً ليرزقه
وَلَّى صحابته عن حرٍّ ملحمة
وكان عمرانٌ يدعو الله في السحر
شهادةً بيدي ملحادة غدَر
وشدَّ عمرانٌ كالضرغامة الهصر

قولُ الربيع: «استشلتني»، أى أخذتني إليها واستنقذتني. يقال: استشلاه واشتلاه. وفي الحديث: «إن السارق إذا قُطِعَ سبقتُه يده إلى النار، فإن تاب استشلاه». قال رؤبة:

«إن سلمان اشتلانا ابنَ على»

وقولُ الناس: «أشليتُ كلبى» أى أغريته بالصيد، خطأ، إنما يقال: آسدته، وأشليتُهُ: دعوته.

وقولُها: «بيدي ملحادة» «مفعالٌ» من الإلحاد، كما تقول: رجل معطاء يافتي، ومحسان، ومكرام، وأدخلت الهاء للمبالغة، كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة.

«وغدَر» «فعلٌ» من الغدَر. ولـ «فعلٌ» بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة. إذا فرغنا من خبر هذه الواقعة.

والضرغامة: من أسماء الأسد.

والهصر: الذى يهصر كلَّ شىء، أى يثنيه، قال امرؤ القيس:
فلما تنازعنا الحديدَ وأسَمَحْتُ هصرتُ بغصنِ ذى شَمَارِيخٍ مِيَالٍ

ولذكرنا الصفورية والأزارقة والبيهسية والإباضية تفسير، لم نسب إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبى بيهس بالكنية المضاف إليها. ونسب إلى صفر ولم يُنسب إلى واحدٍهم، ونسب إلى ابن إباض فجعل النسب إلى أبيه؟ وهذا نذكره بعد باب «فعل».

[القطري يوم دُولَاب]

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر في يوم دُولَاب قول قطري:

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الْطَّمِّ وَجَهَهَا
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ
غَدَاةَ طَفَّتْ عَلَمَاءَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جَدِّهَا
وَوَلَّتْ شُيُوخُ الْأَزْدِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُقْعَصًا
وَضَارِبَةً خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتًى
أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
رَأَتْ فَتْيَةً بَاعُوا إِلَهَهُ نَفُوسَهُمْ

وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ^(١)
شِفَاءً لِذِي بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدُّ لَثِيمٍ
طَعَانَ فَتًى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَأَحْلَافَهَا مِنْ يَحْصُبٍ وَسَلِيمٍ^(٢)
تَعُومُ وَظِلْنَا فِي الْجَلَادِ نَعُومٍ^(٣)
يَمُجُّ دِمَاءٌ مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ^(٤)
أَغْرَ نَجِيبِ الْأَمْهَاتِ كَرِيمٍ
لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدَيْرُ حَمِيمٍ^(٥)
تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
بِجَنَاتٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

قوله: «ولو شهدتنا يوم دُولَاب» فلم ينصرف «دُولَاب» وإنما ذاك لأنه أراد البلدة، ودُولَاب: أعجمي، مُعَرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطري. وكانت من أجمل النساء وجهها، وأحسنهم بدينهم تمسكا. كانت تحمل على الناس وترجز.

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَمُمْتُ حَمْلَهُ وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلْتُهُ

ألا فتى يحمل عنى ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصر وكبير للورن.

(٣) في البيت إقواء.

(٤) المقعص: المطعون. والفائظ: من قولهم: فائظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم: موضع بالاهواز

الألفُ واللامُ، فإذا دخلته الألفُ واللامُ فقد صار مُعرباً، وصار على قياس الأسماء العربية، لا يمنع من الصرف إلا ما يمنعُ العربي، فدولابُ «فُوعال» مثلُ طومارٍ وسولافٍ. وكلُّ شيءٍ لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيره فهو نكرةٌ، نحو رجلٍ، لأن هذا الاسم يُلحقُ كل ما كان على بَنِيته، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام العجم معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريف آخر فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرعونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيم، ويعقوب.

وقوله :

﴿ غَدَاةَ طَفَتْ عِلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ﴾

وهو يريدُ على الماءِ ، فإن العربَ إذا التَقَّتْ فى مثل هذا الموضع لَامَانَ استجازوا حذفَ إحداهما استثقالا للتضعيف ، لأنَّ ما بقى دليلٌ على ما حُذِفَ، يقولون : «عِلْمَاءُ بَنُو فلان» كما قال الفرزدقُ :

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلَةٍ وَلَكِنْ طَفَتْ عِلْمَاءِ قُلْفَةٍ خَالِدٍ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفة فإنهم يُجيزون معه حذفَ النونِ التى فى قولك «بنو» لقرب مَخْرَجِ النونِ من اللامِ، وذلك قولك : فلانُ من «بَلْحَارِثٍ» و «بَلْعَنْبَرٍ» ، «بَلْهَجِيمٍ».

وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جَاءَ يَنْظُرُ مِنْ دُجَيْلٍ شَيْوْخَ الْأُرْدِ طَافِيَةَ لِحَاهَا (١)
وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابْنُ بَدْرِ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ وَالْحَائِزُونَ بَنَافِعَ ابْنِ الْأَزْرَقِ
والموتُ حَتَمٌ لَا مَحَالَةَ وَقَعَ مِنْ لَا يَصْبَحُهُ نَهَاراً يَطْرُقُ
فَلَبَنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ رَيْبُ الْمُنُونِ فَمَنْ يُصِيبُهُ يَغْلِقُ

(١) دحلل بهر بالا هوار

نَصَبَ بَعْدَ « إِنْ » لِأَنَّ حَرْفَ الْجَزَاءِ لِلْفِعْلِ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ : فَلْتُنْ أَصَابَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا حَذَفَ هَذَا الْفِعْلَ وَأَضْمَرَ ذَكَرَ « أَصَابَهُ » لِيَدُلَّ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّمِرِ
ابْنِ تَوَلَّبٍ :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنِفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَا لَّا بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلَيْكَ جَازِرٌ^(١)
لِأَنَّ « إِذَا » لَا يَلِيهَا إِلَّا الْفِعْلُ ، وَهِيَ بِهِ أَوْلَى .

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

هَذَا بَابُ « فُعَلٍ »

اعلم أن كلَّ اسمٍ على مثال « فُعَلٍ » فهو مصروفٌ في المعرفة والنكرة إذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً، فالأسماءُ نحو، صُرِدَ ونُعِرَ وجُعِلَ، وكذلك إن كان جمعاً، نحو: ظلمَ وغُرِفَ. وإن سَمَّيتَ بشيءٍ من هذا رجلاً انصرفَ في المعرفة والنكرة. وأما النعتُ فنحو رجلٍ حُطِمَ، كما قال :

* قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطْمٍ *

وكذلك مالٌ بُدِدَ، وهو الكثيرُ، من قوله جلَّ جلاله : ﴿ أَهْلَكَتُ مَالًا بُدِدًا ﴾^(١).

فإن كان الاسمُ على « فُعَلٍ » معدولاً عن « فَاعِلٍ » لم ينصرفَ إذا كان اسمَ رجلٍ في المعرفة، وينصرفُ في النكرة، وذلك نحو: عَمَرَ وَقُتِمَ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ، وهو الاسمُ الجارى على الفعلِ، فهذا ممَّا معرفته قبل نكرته، فإذا أُريدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تَبَيَّنَه في النداء من كلِّ فعلٍ، لأنَّ المنادى مُشارٌ إليه، وذلك قولك : يا فُسْقُ، ويا خُبْثُ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : « بِيَدَيْ مِلْحَادَةٍ غُدْرَ » في غير النداء للضرورة، فنقلتهُ معرفةً من النداء، ثم جعلته نكرةً لخروجه عن الإشارة، فنعتتُ به « مِلْحَادَةً » كما قال الحُطَيْيَّةُ :

أَجَوُّ مَا أَجَوُّ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ

وهذا لا يقعُ إلَّا في النداء، ولكنَّ للشاعر نقله نكرةً ونقله معرفةً. على حدِّ ما كان له في النداء. فُلِحِقُ قولُها « غُدْرَ » بقوله : رجلٌ حُطِمَ، ومالٌ بُدِدَ، وما أشبههُ، و « فَعَالٍ » في المؤنَّثِ بمنزلة « فُعَلٍ » في المذكرِ، ولو سميتَ رجلاً « حُطْمًا » لصرفتهُ، من قولك : هذا سَائِقٌ حُطْمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير معدولٍ، فهو في النعوت بمنزلة « صُرِدٍ » في الأسماءِ .

(١) سورة البلد .

هَذَا بَابُ النِّسْبِ إِلَى الْمُضَافِ

[النِّسْبُ إِلَى الْعِلْمِ الْمُضَافِ]

اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا نَسَبْتَ إِلَى عِلْمٍ مُضَافٍ فَالْوَجْهُ أَنْ تَنْسُبَ إِلَى الْأَسْمِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ: عَبْدِي، وَكَذَلِكَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ، فَإِنْ كَانَ الْأَسْمُ الثَّانِي أَشْهَرَ مِنَ الْأَوَّلِ جَازَ النَّسْبُ إِلَيْهِ، لِثَلَاثِ اقْتِصَافٍ فِي النَّسْبِ التَّبَاسُّ مِنْ أَسْمٍ بِأَسْمٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدٍ مَنَافٍ مَنَافِي، وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ بِكْرِي.

وَقَدْ يَجُوزُ، وَهُوَ قَلِيلٌ، أَنْ تَبْنِي لَهُ مِنَ الْأَسْمِينِ اسْمًا عَلَى مِثَالِ الْأَرْبَعَةِ لِيَنْتَظِمَ النَّسْبُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ عَبْدَرِي، وَفِي النَّسْبِ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ عُبْقَيْ.

[النِّسْبُ إِلَى الْمُضَافِ غَيْرِ الْعِلْمِ]

فَإِنْ كَانَ الْمُضَافُ غَيْرَ عِلْمٍ فَالنَّسْبُ إِلَى الثَّانِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي النَّسْبِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ زُبَيْرِي، لِأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ إِنَّمَا صَارَ مَعْرِفَةً بِالزُّبَيْرِ، وَكَذَلِكَ النَّسْبُ إِلَى ابْنِ رَأْلَانَ رَأْلَانِي، فَلِذَلِكَ قَالُوا فِي النَّسْبِ إِلَى ابْنِ الْأَزْرَقِ أَرْزَقِي، وَإِلَى أَبِي يَهُسَّسٍ يَهُسَّسِي.

[النِّسْبُ إِلَى الْجَمَاعَةِ]

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «صُفْرِي» فَإِنَّمَا أَرَادُوا الصُّفْرَ الْأَلْوَانَ، فَانْسَبُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ. وَحَقُّ الْجَمَاعَةِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يَقَعَ النَّسْبُ إِلَى وَاحِدِهَا، كَقَوْلِكَ: مُهَلَّبِي. وَمُسَمَّعِي، وَلَكِنْ جَعَلُوا «صُفْرًا» اسْمًا لِلْجَمَاعَةِ، ثُمَّ نَسَبُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقُولُوا: أَصْفَرِي، فَيُنْسَبُ إِلَى وَاحِدِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّفْرَ اسْمًا لِلْجَمَاعَةِ، كَمَا تُسَمَّى الْقَبِيلَةُ بِالْأَسْمِ الْوَاحِدِ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّسْبَ إِلَى الْأَنْصَارِ، أَنْصَارِي لِأَنَّهُ كَانَ عِلْمًا لِلْقَبِيلَةِ، وَكَذَلِكَ مَدَائِنِي. وَتَقُولُ فِي النَّسْبِ إِلَى الْأَبْنَاءِ مِنْ بَنِي سَعْدِ أَبْنَاوِي، لِأَنَّهُ اسْمٌ لِلْجَمَاعَةِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: «الْأَزَارِقَةُ»، فَهَذَا بَابٌ مِنَ النَّسْبِ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَسْمِ الْأَبِ، إِذَا كَانُوا يُنْسَبُونَ، وَنَظِيرُهُ الْمَهَالِبَةُ، وَالْمَسَامِيعَةُ، وَالْمَنَادِرَةُ.

ويقولون: جاءنى النُمَيْرُونَ والأشْعَرُونَ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نُمَيْرًا وَأَشْعَرَ، فهذا يَتَّصِلُ فِي الْقِبَائِلِ، عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ.

وقد تُنْسَبُ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْوَاحِدِ عَلَى رَأْيِ أَوْ دِينٍ، فَيَكُونُ لَهُ مِثْلُ نَسَبِ الْوَلَادَةِ، كَمَا قَالُوا أَرْزَقِي، لَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِ ابْنِ الْأَرْزَقِ، كَمَا تَقُولُ تَمِيمِي وَقَيْسِي لَمَنْ وَلَدَهُ تَمِيمٌ وَقَيْسٌ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ﴾^(١)، فَإِنَّمَا يَرِيدُ إِلْيَاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ، كَمَا قَالَ:

﴿قَدْنِي مَنْ نَصَرَ الْخَبِيثِينَ قَدْ﴾

يَرِيدُ أَبَا خُبَيْبٍ وَمَنْ مَعَهُ.

وقد يَجْتَمِعُ الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ فِي التَّثْنِيَةِ إِذَا كَانَ مَجَازَهُمَا وَاحِدًا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ عَلَى لَفْظِ أَحَدِهِمَا، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْعُمَرَانُ» لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «الْخُبَيَّانُ» لِعَبْدِ اللَّهِ وَمُصْعَبٍ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ.

(١) سورة الصافات ١٣٠ .

عَادَةُ الْقَوْلِ فِي الْخَوَارِجِ

قال : والأزارقة لا تُكْفَرُ أحداً من أهل مقاتلتها في دار الهجرة إلا القاتل رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلم حجة الله، والقاتل قَصْدٌ لِقَطْعِ الحجة.

[الأزارقة وولاية البصرة]

وَيُرْوَى أَنَّ نَافِعاً مَرَّ بِمَالِكِ بْنِ مَسْمَعٍ فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ وَبَنِي تَمِيمٍ، وَنَافِعٌ مُتَقَلِّدٌ سَيْفًا، فَقَامَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى حِمَالَةِ سَيْفِهِ وَقَالَ: أَلَا تَنْصَرُنَا فِي حَرْبِنَا هَذِهِ! فَقَالَ: لَا يَحِلُّ لِي، قَالَ: فَمَا بَالُ مُؤْمِنِي بَنِي تَمِيمٍ يَنْصَرُونَ كُفَّارَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ! فَأَمْسَكَ عَنْهُ، وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَلَمَّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بَخَارَرَ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْمَاحُورِ كَرِهَ بَيْتُ الْقِتَالِ، وَأَقَامَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ الْعُدْنَانِيُّ بِإِزَاءِ الْخَوَارِجِ، يَسْأَلُهُمْ عَلَى غَيْرِ وِلَايَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا عَذَرْنَا عِنْدَ إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ وَنَحْنُ دُونَهُمْ! فَكَتَبَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ يَخْبِرُونَهُ بِقُعُودِ بَيْتِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يُؤَلِّيَ وَالِيًا، فَكَتَبَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ. فَلَقِيَهِ الْكِتَابُ وَهُوَ يَرِيدُ الْحَجَّ، وَهُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَرَجَعَ فَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ، وَوَلَّى أَخَاهُ عُثْمَانَ مُحَارِبَةَ الْأَزَارِقَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَلَقِيَهِ حَارِثَةُ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْمَاحُورِ فِي الْخَوَارِجِ بِسُوقِ الْأَهْوَازِ، فَلَمَّا عَبَرُوا إِلَيْهِمْ دُجِيلًا نَهَضَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ، وَذَلِكَ قَبِيلَ الظُّهَرِ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِحَارِثَةَ بْنِ بَدْرٍ: أَمَّا الْخَوَارِجُ إِلَّا مَا أَرَى! فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ: حَسْبُكَ بِهِؤُلَاءِ! فَقَالَ: لَا جَرَمَ، وَاللَّهِ لَا أَتَغَدَّى حَتَّى أَنْجِزَهُمْ! فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُقَاتِلُونَ بِالتَّعَسُّفِ، فَأَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَجُنْدِكَ، فَقَالَ: أَبَيْتُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَّا جُبْنَا! وَأَنْتَ يَا حَارِثَةُ، مَا عَلِمَكَ بِالْحَرْبِ؟ أَنْتَ وَاللَّهِ بَغِيرَ هَذَا أَعْلَمُ! يُعَرِّضُ لَهُ بِالشَّرَابِ. فَغَضِبَ حَارِثَةُ، فَاعْتَزَلَ، وَحَارَبَهُمْ عُثْمَانُ يَوْمَهُ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ، فَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْهُ قَتِيلًا، وَانْهَزَمَ النَّاسُ، وَأَخَذَ حَارِثَةُ الرَايَةَ، وَصَاحَ بِالنَّاسِ: أَنَا حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَثَابَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ، فَعَبَّرَ بِهِمْ دُجِيلًا، وَبَلَغَ قَتْلُ عُثْمَانَ الْبَصْرَةَ؛ وَخَافَ النَّاسُ الْخَوَارِجَ خَوْفًا شَدِيدًا.

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعَزَل ابن الزُّبَيْر عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، ووَلَّى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، المعروف بالقُبَاع، أحدَ بنى مَخْزُومٍ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ الشاعر، فقدم البصرة، فكتبَ إليه حارثةُ بن بدر يسأله الولاية والمدد، فأراد توليته^(١)، فقال له رجلٌ من بكر بن وائل: إن حارثةَ لَيْسَ بِذاك، إنما هو رجل شراب^(٢)، وفيه يقول رجلٌ من قومه^(٣):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ يُصَلِّي وهو أَكْفَرُ من حِمَارٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِلْفُتَيَّانِ حِطًّا وَحِطًّا فِي الْبَغَايَا وَالْقِمَارِ

فكتب إليه القُبَاعُ: تكفيني^(٤) حربهم إن شاء الله .

فأقام حارثةُ يدافعهم .

فقال شاعرٌ من بنى تميمٍ يذكر عثمانَ بن عبيد الله بن معمرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ وحارثةَ بن بدرٍ :

مَضَى ابنُ عُبَيْسٍ صَابِرًا غَيْرَ عاجزٍ وَأَعْقَبَنَا هذا الحِجَازِيُّ عُثْمَانُ
فَأَرْعَدَ من قَبْلِ اللِّقَاءِ ابنَ مَعْمَرٍ وَأَبْرَقَ وَالْبَرْقُ الْيَمَانِي خَوَّانُ
فَضَحَّتْ قُرَيْشًا غُثًّا وَسَمِينَهَا وَقِيلَ بنو تَيْمٍ بن مُرَّةٍ عَزْلَانُ^(٥)
فلولا ابنُ بدرٍ للعِرَاقِينِ لَمْ يَقُمْ بَمَا قامَ فِيهِ للعِرَاقِينِ إِنْسَانُ
إِذَا قِيلَ مَنْ حَامِيَ الْحَقِيقَةَ أَوْمَاتَ إِلَيْهِ مَعَدُّ بِالْأَنْوَفِ وَقَحْطَانُ

قوله: «فَأَرْعَدَ»، زعم الأصمعيُّ أنه خطأ، وأن الكُمَيْثَ أخطأ في قوله:

أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ يَا يَزِيدَ فَمَا وَعَيْدُكَ لِي بَضَائِرَ
وزعم أن هذا البيت الذي يُروى لمَهْلَهْلٍ مصنوعٌ مُحدثٌ وهو قوله:

(١) «أر بوليه» .

(٢) ر: «صاحب» .

(٣) سبه المرصفي إلى علقمة بن عبد المازني .

(٤) ر «تكني» .

(٥) عزلان: جمع أعزل؛ وهو من لا سلاح معه .

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ الْقِسِيِّ وَأَبْرَقْنَا كَمَا تُرْعِدُ الْفُحُولُ الْفُحُولَا^(١)
 وأنه لا يُقال إلا «رَعَدَ وَبَرَقَ» إذا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ ، وهو «يَرْعُدُ وَيَبْرُقُ» وكذا
 يُقال: رَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ ، وَأَرْعَدْنَا نَحْنُ وَأَبْرَقْنَا ، إِذَا دَخَلْنَا فِي الرَّعْدِ وَالْبَرَقِ ،
 قال الشاعر :

❖ فقل لأبي قابوس ما شئتَ فارْعُدِ ❖

وَرَوَى غَيْرُ الْأَصْمَعِيِّ «أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ» عَلَى ضَعْفٍ .

قوله : «وَالْبَرَقُ الْيَمَانِيُّ خَوَّانٌ» ، يريد والبرقُ اليمانيُّ يخونُ . وأجودُ النَّسَبِ
 إِلَى الْيَمَنِ «يَمَنِيٌّ» وَيَجُوزُ «يَمَانٌ» بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ ، وَهُوَ حَسَنٌ ، وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ ،
 تَكُونُ الْأَلْفُ عَوَضًا مِنْ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ ، وَيَجُوزُ «يَمَانِيٌّ» فَاعِلَمَ ، تَكُونُ الْأَلْفُ
 زَائِدَةً وَتُشَدُّدُ الْيَاءُ ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

ضَرْبَتَاهُمُ ضَرْبَ الْأَحَامِسِ غُدُوَّةً بِكُلِّ يَمَانِيٍّ إِذَا هَزُ صَمَمَا^(٢)

[تَوَلِيَةُ الْمُهَلَّبِ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَأَخْبَارُهُ مِنْهُمْ]

ثُمَّ إِنَّ حَارِثَةَ لَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ أَقَامَ بِنَهْرِ تِيرَى ، فَعَبَّرَتْ إِلَيْهِ الْخَوَارِجُ ،
 فَهَرَبَ وَأَصْحَابَهُ يَرْكُضُونَ ، حَتَّى أَتَى دُجَيْلًا ، فَجَلَسَ فِي سَفِينَةٍ ، وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
 أَصْحَابِهِ ، فَكَانُوا مَعَهُ ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ ، وَالْخَوَارِجُ وَرَاءَهُ وَقَدْ
 تَوَسَّطَ حَارِثَةُ ، فَصَاحَ بِهِ : يَا حَارِثُ ؛ لَيْسَ مِثْلِي ضَيْعٌ ، فَقَالَ لِلْمَلَأَحِ : قَرِّبْ .
 فَقَرَّبَ إِلَى جُرْفٍ ، وَلَا فُرْصَةَ هُنَاكَ^(٣) .

فَطَفَرَ^(٤) بِسِلَاحِهِ فِي السَّفِينَةِ ، فَسَاخَتْ بِالْقَوْمِ جَمِيعًا ، وَأَقَامَ ابْنُ الْمَاحُورِ
 يَجْبِي كُورَ الْأَهْوَازِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَجَّهَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ نَحْوَ الْبَصْرَةِ . فَضَجَّ النَّاسُ
 إِلَى الْأَحْنَفِ ، فَأَتَى الْقُبَاعَ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنَّ هَذَا الْعَدُوَّ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى
 سَوَادِنَا وَفَيْئِنَا ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَحْضُرُنَا فِي بَلَدِنَا حَتَّى نَمُوتَ هَزْلًا ، قَالَ : فَسَمُّوا
 رَجُلًا ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : الرَّأْيُ لَا يُخِيلُ^(٥) ، مَا أَرَى لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ ،

(١) الْإِنْبَاضُ : جَذَبَ الْوَتَرَ لِيَرْنَ ، وَمَعْجِسَ الْقَوْسِ : مَقْبِضَهَا ، أَوْ مَوْضِعَ السَّهْمِ مِنْهَا .

(٢) الْأَحَامِسُ : جَمْعُ أَحْمَسَ ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الصَّلْبُ فِي الدِّينِ وَالْقِتَالِ .

(٣) الْجُرْفُ : مَا أَكَلَهُ السَّيْلُ مِنْ أَسْفَلِ شَقَى الْوَادِي وَالنَّهْرِ . وَالْفُرْصَةُ : ثَلَمَةٌ فِي النَّهْرِ يَسْقَى مِنْهَا .

(٤) طَفَرَ : وَثَبَ . (٥) لَا يُخِيلُ : لَا يَشْتَبِهُ .

فقال: أو هذا رأى جميع أهل البصرة! اجتمعوا إلى في غد، وجاء الزبير حتى نزل الفرات، وعقد الجسر ليعبر إلى ناحية البصرة، فخرج أكثر أهل البصرة إليه.

وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكورها، رغبة ورهبة، فأتاه البصريون في السفن وعلى الدوابخ ورجالة. فاستودت بهم الأرض، فقال الزبير لما رآهم: أبى قومنا إلا الكفر، فقطع^(١) الجسر، وأقام الخوارج بالفرات بإزائهم، واجتمع الناس عند القباع، وخافوا الخوارج خوفاً شديداً، وكانوا ثلاث فرق، فسَمَّى قوم المهلب، وسَمَّى قوم مالك بن مسمع، وسَمَّى قوم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى، فصرفهم، ثم اختبر ما عند مالك وزياد، فوجدتهما متثاقلين عن ذلك^(٢)، وعاد إليه من أشار بهما وقالوا: قد رجعنا عن رأينا، ما نرى لها إلا المهلب، فوجه الحارث إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد ترى ما رهقنا^(٣) من هذا العدو، وقد اجتمع أهل مصرك عليك، وقال الأحنف: يا أبا سعيد، إننا والله ما آثرناك بها ولكننا لم نر من يقوم مقامك. فقال الحارث - وأومأ إلى الأحنف - إن هذا الشيخ لم يسمك إلا إشاراً للدين، وكل من في مصرك ماد عينه إليك. راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك، فقال المهلب: لا حول ولا قوة إلا بالله، إني عند نفسي لدون ما وصفتهم، ولست آبياً ما دعوتهم^(٤) إليه، على شروطٍ أشرطها. قال الأحنف: قل، قال: على أن أنتخب من أحببت، قال: ذاك لك، قال: وكى امرأة كل بلد أغلب عليه، قال: وذاك لك، قال: وكى في كل بلد أظفر به.

قال الأحنف: ليس ذاك لك ولا لنا، إنما هو فيء المسلمين، فإن صلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم، ولكن لك أن تعطى أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت. وتنفق^(٥) منه ما شئت^(٥) على محاربة عدوك، فما فضل عنكم كان للمسلمين. فقال المهلب: فمن لى بذلك؟ قال الأحنف: نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك، قال: قد قبلت.

(٢) ر: «عن ذاك» .

(٤) س: «مما دعوتهم» .

(١) ر: «فقطعوا» .

(٣) رهقنا . أتعبنا .

(٥-٥) ساقط من ر .

فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدي الصلت بن حريث بن جابر الحنفي، وانتخب المهلب من جميع الأخماس، فبلغت نخبته اثني عشر ألفاً، ونظروا ما في بيت المال، فلم يكن إلا مائتي ألف درهم، فعجزت، فبعث المهلب إلى التجار: إن تجارتكم منذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم، فهلم فبايعوني واخرجوا معي أوفكم إن شاء الله حقوقكم، فتاجروا، فأخذ من المال ما يصلح به عسكره، واتخذ لأصحابه الخفاتين والرئات المحشوة بالصوف.

ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت، فما ارتفع النهار حتى فرغ منها، ثم أمر الناس بالعبور إلى الفرات، وأمر عليهم ابنه المغيرة، فخرج الناس، فلما قاربوا الشاطئ خاضت إليهم الخوارج، فحاربهم المغيرة ونضحهم^(١) بالسهم حتى تنحوا، فصار هو وأصحابه على الشاطئ، فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم، حتى عقد المهلب الجسر، وعبر الخوارج منهزمون، فنهى الناس عن اتباعهم، ففي ذلك يقول شاعر من الأزد:

إنَّ العراقَ وأهلَهُ لم يخبُروا مثلُ المهلبِ في الحروبِ فسَلَمُوا
أَمْضَى وَأَيَمَنُ في اللِّقَاءِ نَقِيَّةً وأَقْلَّ تَهْلِيلًا إذا ما أَحْجَمُوا
التَّهْلِيلُ: التَّكْذِيبُ^(٢) والانهزام.

وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبري، وكان من فرسان بني تميم وشجعانهم، فقال عطية:

يَدْعَى رَجَالٌ لِلْعَطَاءِ وَإِنَّمَا يَدْعَى عَطِيَّةٌ لِلطَّعَانِ الْأَجْرَدِ
وقال الشاعر:

وما فارسٌ إلا عطية فوقه إذا الحربُ أبدتْ عن نواجزها الفَمَا
به هَزَمَ اللهُ الْأَزَارِقَ بَعْدَمَا أَباحُوا مِنَ الْمِصْرَيْنِ حِلًّا وَمَحْرَمًا

فأقام المهلب أربعين يوماً يجبي الخراج بكور دجلة، والخوارج بنهر تيرى والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز، فقضى المهلب التجار

(١) نضحهم بالسهم: رماهم بها.

(٢) قال المرصفي: «التكذيب: مصدر كذب في القتال إذا فر ونكس».

وَأَعْطَى أَصْحَابَهُ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ رَغْبَةً فِي مُجَاهَدَةِ الْخَوَارِجِ، وَلَمَّا فِي الْغَنَائِمِ، وَلِلتَّجَارَاتِ، فَكَانَ فِيْمَنْ أَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ الْأَزْدِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِيَّاحٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ الْمُرِّي - وَكَانَ يَقُولُ - يَعْنِي مُعَاوِيَةَ - : لَوْ جَاءَ الدَّيْلَمُ مِنْ هَاهُنَا وَالْحَرُورِيَّةُ مِنْ هَاهُنَا لَحَارِبْتُ الْحَرُورِيَّةَ - وَأَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِيُّ كَانَ يَقُولُ: وَكَانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتِيلُ الْحَرُورِيَّةِ يَفْضُلُ قَتِيلَ غَيْرِهِمْ بَعَشْرَةَ أَنْوَارٍ.

ثُمَّ نَهَضَ الْمَهْلَبُ إِلَيْهِمْ إِلَى نَهْرِ تِيرَى . فَتَنَحَّوْا عَنْهُ إِلَى الْأَهْوَازِ . وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ يَجْبِي مَا حَوَالِيهِ مِنَ الْكُورِ، وَقَدْ دَسَّ الْجَوَاسِيسَ إِلَى عَسْكَرِ الْخَوَارِجِ، فَأَتَوْهُ بِأَخْبَارِهِمْ وَمَنْ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَإِذَا حُشُوءٌ^(١)؛ مَا بَيْنَ قَصَّارٍ وَصَبَّاحٍ وَدَاعِرٍ وَحَدَّادٍ . فَخَطَبَ الْمَهْلَبُ النَّاسَ فَذَكَرَ مَنْ هُنَاكَ وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَمَثَلُ هَؤُلَاءِ يَغْلِبُونَكُمْ عَلَى فَيْئِكُمْ! فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا حَتَّى فَهِمَهُمْ وَأُحْكَمَ أَمْرُهُ، وَقَوَّى أَصْحَابَهُ، وَكَثُرَتِ الْفُرْسَانُ فِي عَسْكَرِهِ، وَتَنَامَّ إِلَيْهِ زُهَاءُ عَشْرِينَ أَلْفًا.

ثُمَّ مَضَى يَوْمُ سَوْقِ الْأَهْوَازِ، فَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ الْمُعَارِكُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى نَهْرِ تِيرَى، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ، حَتَّى قَارَبَهُمُ الْمَغِيرَةُ، فَتَأَوَّشَوْهُ، فَانْكَشَفَ عَنْهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَثَبَتَ الْمَغِيرَةُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، يُوقِدُ النَّيْرَانَ ثُمَّ غَادَاهُمْ الْقِتَالَ، فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ أَوْقَدُوا النَّيْرَانَ فِي ثِقَلَةِ مَتَاعِهِمْ، وَارْتَحَلُوا عَنْ سَوْقِ الْأَهْوَازِ، فَدَخَلَهَا الْمَغِيرَةُ، وَجَاءَتْ أَوَائِلُ خِيَلِ الْمَهْلَبِ، فَأَقَامَ بِسَوْقِ الْأَهْوَازِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّا مِنْذُ خَرَجْنَا نَوْْمٌ هَذَا الْعَدُوَّ فِي نَعَمٍ مِنْ اللَّهِ مُتَّصِلَةً عَلَيْنَا، وَنِقْمَةٌ مِنَ اللَّهِ مُتَّابِعَةٌ عَلَيْهِمْ، نُقَدِّمُ وَيُحْجِمُونَ، وَنَحُلُّ وَيَرْتَحِلُونَ، إِلَى أَنْ حَلَلْنَا سَوْقَ الْأَهْوَازِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ النَّصْرُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ : هَنِئًا لَكَ أَخَا الْأَزْدِ، الشَّرَفُ فِي الدُّنْيَا، وَالذَّخْرُ فِي الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ !

فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِأَصْحَابِهِ : مَا أَجْفَى أَهْلَ الْحِجَارِ ! أَمَا تَرَوْنَهُ عَرَفَ^(٢) اسْمِي وَاسْمَ أَبِي وَكُنْيَتِي !

(٢) ر : « يعرف » .

(١) حشوة الناس . رذاا لهم .

وكان المهلبُ يَبْثُ الأَحْرَاسَ فِي الأَمْنِ، كما يَبْثُهُمُ^(١) فِي الخُوفِ، وَيُذَكِّي العُيُونَ فِي الأَمْصَارِ، كما يُذَكِّيها فِي الصَّحَارَى، وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالتَّحَرُّزِ، وَيُخَوِّفُهُمُ البَيَّاتَ^(٢)، وَإِنْ بَعُدَ مِنْهُمْ العَدُوُّ، وَيَقُولُ: أَحْذَرُوا أَنْ تُكَادُوا كما تَكِيدُونَ، وَلَا تَقُولُوا: هَزَمْنَا وَغَلَبْنَا، فَإِنَّ القَوْمَ خَائِفُونَ وَجِعُونَ، وَالضَّرُورَةُ تَفْتَحُ بَابَ الحِيلَةِ، ثُمَّ قَامَ فِيهِمْ خَطِيباً فَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ مَذْهَبَ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، وَأَنْتُمْ إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْكُمْ فَتَنَوْكُمْ فِي دِينِكُمْ وَسَفَكُوا دِمَاءَكُمْ، فَقَاتِلُوهُمْ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ أَوْلَاهُمْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ لَقِيَهُمْ قَبْلَكُمْ الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ، وَالْعَجَلُ الْمَفْرُطُ عُثْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالْمَعْصِيُّ الْمُخَالَفُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَتَلُوا جَمِيعاً وَقَتَلُوا. فَالْقَوْهُمْ بِجَدٍّ وَحَدٍّ، فَإِنَّمَا هُمْ مَهْتِكُمْ وَعَبِيدُكُمْ، وَعَارٌ عَلَيْكُمْ، وَنَقْصٌ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَدْيَانِكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى فَيْئِكُمْ، وَيَطْنُوا حَرِيمَكُمْ.

ثُمَّ سَارَ يُرِيدُهُمْ، وَهُمْ بِمَنَازِرِ الصُّغْرَى، فَوَجَّهَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ الْمَاحُورِ رَئِيسَ الْخَوَارِجِ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ وَاقِدٌ، مَوْلَى لَالِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ سَبِي الْجَاهِلِيَّةِ، فِي خَمْسِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ، إِلَى نَهْرِ تِيرَى، وَبِهَا الْمَعَارِكُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، فَنَمَى الْخَبْرُ إِلَى الْمُهَلَّبِ. فَوَجَّهَ ابْنَهُ الْمَغِيرَةَ فَدَخَلَ نَهْرَ تِيرَى وَقَدْ خَرَجَ وَاقِدٌ مِنْهَا، فَاسْتَنْزَلَهُ وَدَفَنَهُ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَاسْتَخْلَفَ بِهَا، وَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ وَقَدْ حُلَّ بِسُؤْلَافٍ^(٣)، وَالْخَوَارِجُ بِهَا، فَوَاقَعَهُمْ، وَجَعَلَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ الْحَرِيشَ بْنَ هَلَالٍ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ، يَقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْإِسْكَافُ، فَجَعَلَ يَحْضُ النَّاسَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ صَفْرَاءُ، فَجَعَلَ يَأْتِي الْمِيْمَةَ وَالْأَيْسَرَةَ وَالْقَلْبَ، فَيَحْضُ النَّاسَ وَيُهَوِّنُ أَمْرَ الْخَوَارِجِ، وَيَخْتَالُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِأَصْحَابِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، هَلْ لَكُمْ فِي فَتْكَةِ فِيهَا أُرْيَحِيَّةٌ؟

فَحَمَلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الْإِسْكَافِ فَقَاتَلَهُمْ وَحَدَّهُ فَارِسًا، ثُمَّ كَبَا بِهِ فَرَسُهُ^(٣) فَقَاتَلَهُمْ رَاجِلًا، قَائِمًا وَبَارِكًا، ثُمَّ كَثُرَتْ بِهِ الْجَرَاحَاتُ، فَذَبَبَ بِسَيْفِهِ، وَجَعَلَ يَحْثُو

(١) البَيَّاتُ : الإيقاع بالقوم وهم غارون .

(٢) سُؤْلَاف : قرية غربي دجيل .

(٣) كَبَا بِهِ الْفَرَسُ : أَيْ عَثَرَ .

الترابَ فى وجوههم، والمهلبُ غيرُ حاضر، ثم قُتلَ رحمه الله، وحَضَرَ المهلبُ فأخبر. فقال للحريش وعَطيَّة العنبري: أأَسَلَمْتُمَا سَيِّدَ أَهْلِ الْعِسْكَرِ، لَمْ تُعَيِّنَاهُ وَلَمْ تَسْتَنْقِذَاهُ حَسْداً لَهُ، لَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي! وَوَبَّخَهُمَا وَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَتَلَهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ فَطَعَنَهُ وَقَتَلَهُ، وَمَالَ الْخَوَارِجُ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى الْعِسْكَرِ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ، وَقَتَلُوا سَبْعِينَ رَجُلًا وَثَبَتَ الْمُهَلَّبُ وَأَبْلَى الْمَغِيرَةَ يَوْمَئِذٍ وَعُرِفَ مَكَانُهُ، وَيُقَالُ: حَاصَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَئِذٍ حَيْصَةً^(١). وتَقُولُ الْأَزْدُ: بَلْ كَانَ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَةَ وَيَحْمِي أَدْبَارَهُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُنْقَرٍ بَنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ:

بسولافٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتَ عَلَى مُوَأَشِكَةٍ دُرُورٍ
قوله: «مُوَأَشِكَةٍ» يريدُ سَريعةً. ويُقالُ: نَحْنُ عَلَى وَشْكِ رَحِيلٍ. ويُقالُ:
ذَمِيلٌ مُوَأَشِكٌ، إِذَا كَانَ سَرِيعًا، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:
إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَّةً فِي مَفَازَةٍ عَرَاقِيهَهَا بِالشَّيْظُمِيِّ الْمُوَأَشِكِ^(٢)
وَدُرُورٌ: «فَعُولٌ» مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ. إِذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بني تميم آخرُ:
تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا يُزَجِّي كُلُّ أَرْبَعَةٍ حَمَارًا^(٣)
فِيَا نَدْمَى عَلَى تَرْكِي عَطَائِي مُعَايِنَةً وَأَطْلُبُهُ ضَمَارًا
إِذَا الرَّحْمَنُ يَسَّرَ لِي قُفُولًا فَحَرَّقَ فِي قَرَى سُولَافٍ نَارًا

قوله: «الأعورَ الكذابَ». يعنى المهلبُ، ويُقالُ: عَارَتْ عَيْنُهُ بِسَهْمٍ كَانَ أَصَابَهَا، وَقَالَ: «الْكَذَّابُ» لِأَنَّ الْمُهَلَّبَ كَانَ فَقِيهًا. وَكَانَ يَعْلَمُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِبًا إِلَّا ثَلَاثَةٌ: الْكَذِبُ فِي الصَّلَاحِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ لِمَرْأَتِهِ يَعِدُهَا، وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ». وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ فَخَذَلْنَا عَنَّْا فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خُدْعَةٌ».

(١) حاص حيصه: أى جال جولة يطلب بها الفرار.

(٢) الشيطمي: الطويل الجسم.

(٣) يزجي: يسوق.

وقال عليه السلام فى حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ. وهما سيدا الحيين. الخزرج والأوس: «إيتيا بنى قريظة. فإن كانوا على العهد فأعلننا بذلك وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فآلحنا لى لحنأ أعرفه. ولا تفتأ فى أعضاد المسلمين. فرجعاً بغدر القوم فقالا: يارسول الله عضل والقارة، قال: فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: «أبشروا فإن الأمر ما تحبون».

[قال الأخفش: سألت المبرد عن قولهما: «عضل والقارة» فقال: هذان حيآن كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ. فأرادا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين].

قال أبو العباس: فكان المهلبُ ربما صنعَ الحديثَ ليشُدَّ به من أمر المسلمين ويضعفَ من أمر الخوارج، فكان حى من الأزد يقال لهم النذب إذا رأوا المهلبَ راحاً إليهم قالوا: قد راح المهلبُ ليكذب! وفيه يقول رجلٌ منهم:

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب فى ألفين، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف، فخطب أصحابه فقال: والله ما بكم من قلة، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع، فإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، فسيروا إلى عدوكم على بركة الله.

فقام إليه الحريش بن هلال فقال: أنشدك الله (١) أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك! فإن بالقوم جراحاً وقد أثختهم هذه الجولة.

فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة. فأشرف على عسكر الخوارج. فلم ير منهم أحداً يتحرك. فقال الحريش: ارتحل عن هذا الموضع، فارتحل. فعبر دجيلاً، وصار إلى عاقول (٢) لا يؤتى إلا من وجه واحد. فأقام به واستراح الناس ثلاثاً، وقال ابن قيس الرقيات:

(١) أنشدك الله: أى أذكرك الله.

(٢) العاقول: الأرض لا يهتدى لها.

ألا طرقتُ من آل بثنة طارقَه^(١) على أنها معشوقةُ الدَّلِّ عاشقَه
تبيت وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينها وسُولا فُ رُسْتَا فُ حَمْتَه الأزارقَه
إذا نحن شئنا صَادَفْتْنَا عَصَابَه حُروريةٌ أَضَحَتْ من الدِّينِ مَارِقَه
أجازَتْ إلينا العسْكَرَيْنِ كُلِيهَما فباتَتْ لنا دُونَ اللَّحَافِ مُعَانِقَه

وقد ذكرنا «الضِّمارَ» ومعناه الغائبُ، وأصله من قولك: «أَضْمَرْتُ الشَّيْءَ»
أى أَخْفَيْتُهُ عَنْكَ، ويقال: مالٌ عَيْنٌ، للحاضر، ومالٌ ضِمارٌ للغائب، قال
الأعشى:

وَمَنْ لَا تَضِيعُ لَهُ ذِمَّةٌ فَيَجْعَلُهَا بَعْدَ عَيْنِ ضِماراً
وقال أيضاً :

أبانا فَلَا رَمَتْ مِنْ عِنْدَنَا فَلِإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ
أَرَأَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبَلَا دُ تَجْفَى وَتَقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمَ

والفعلُ من هذا أَضْمَرَ يُضْمِرُ، والمفعولُ به مُضْمَرٌ، والفاعلُ مُضْمَرٌ،
والضِّمارُ اسمٌ للفعل في معنى الإضمار، وأسماءُ الأفعالِ تَشْرِكُ المصادرَ في
معانيها، تقول: أعطيتَه عَطَاءً، فَيَشْرِكُ العَطَاءُ الإِعْطَاءَ في معناه. وَيُسَمَّى به
المفعولُ، وتقول: كَلِمَتُهُ تَكْلِيماً وكَلَاماً، في معناه، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ في
قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرمٌ، ورجلٌ نَوْمٌ. ويومٌ غَمٌّ وَغَيْمٌ، وينعتُ به المفعولُ
في قولك: رجلٌ رضى. وهذا درهمٌ ضَرَبَ الأمير. وجاءنى الخلقُ، تعنى
المخلوقين.

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليوم :
وكائنٌ تركنَّا يومَ سُولا فٍ منهم أسارى وقتلَى في الجحيمِ مَصِيرُها
وقوله : «وكائنٌ» معناه «كم». وأصله كافُ التشبيهِ دخلتُ على «أى» فصارتا
بمنزلةِ «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهمًا. إنما هى «ذا» دخلت عليها الكافُ،
والمعنى له كهذا العدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهمًا، فهو كناية عن

(١) ر «بيبة» . س . «ميه» . وما أثبتته رواية الأصل .

أَحَدَ عَشَرَ دَرَهْمًا إِلَى تِسْعَةِ عَشَرَ، لِأَنَّهُ ضَمَّ الْعَدَدَيْنِ، فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَهُوَ كَنَائَةٌ عَنْ أَحَدٍ وَعَشْرِينَ إِلَى مَا جَازَ فِيهِ الْعَطْفُ بَعْدَهُ. وَلَكِنْ كَثُرَتْ «كَأَيُّ» فَخَفَّفَتْ وَالتَّخْفِيلُ الْأَصْلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١) ﴿وَكَأَيُّ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾^(٢)، وَقَدْ قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَائِنْ رَدَدْنَا عَنْكُمْ مِنْ مَدَجِّجٍ يَجِيءُ أَمَامَ الْأَلْفِ يَرْدِي مُقَنَّعًا^(٣)

وَقَالَ آخَرُ:

وَكَائِنْ تَرَى يَوْمَ الْغَمِيصَاءِ مِنْ فَتَى أَصِيبَ وَلَمْ يَجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا^(٤)
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَهَذَا أَكْثَرُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، لَطَلَبُ التَّخْفِيفِ. وَذَلِكَ الْأَصْلُ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقْلِبُ فَيَقُولُ: «كَيْي» يَافَتَى، فَيُؤَخِّرُ الْهَمْزَةَ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكَيِّي فِي بَنِي دُودَانَ مِنْهُمْ غَدَاةَ الرَّوْعِ مَعْرُوفًا كَمِيُّ
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: فَأَقَامَ الْمَهْلَبُ فِي ذَلِكَ الْعَاقُولِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ.
وَالْخَوَارِجُ بَسَلَى وَسَلَّبَرَى.

[قَالَ الْأَخْفَشُ: « سَلَّى » وَ « سَلَّبَرَى » بَفَتْحِ السِّينِ فِيهِمَا: مَوْضِعَانِ بِالْأَهْوَا، وَ « سَلَّى » بِكَسْرِ السِّينِ مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ، وَكَذَا يُنْشَدُ هَذَا الْبَيْتُ:
كَأَنَّ غَدِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سَلَّى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارِ

فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُمْ، فَقَالَ ابْنُ الْمَاحُوزِ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَنْتَظِرُونَ بَعْدُوكُمْ وَقَدْ هَزَمْتُمُوهُمْ بِالْأَمْسِ وَكَسَرْتُمْ حَدَّهُمْ؟ فَقَالَ لَهُ وَافِدٌ مَوْلَى أَبِي صُفْرَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا تَفَرَّقَ عَنْهُمْ أَهْلُ الضَّعْفِ وَالْجُبْنِ، وَبَقِيَ أَهْلُ النُّجْدَةِ وَالْقُوَّةِ، فَإِنْ

(١) سورة الحج ٤٨ . (٢) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٣) يردى : يعدو . والمقنع : المغطى بالسلاح .

(٤) الغميصاء : موضع بالبادية قرب مكة .

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئاً، لأنني أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غلبوا ذهب الدين، فقال أصحابه: نافق وافد، فقال ابن الماحوز: لا تعجلوا على أخيك، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم، ثم توجه الزبير بن على إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم، فأتاهم في مائتين، فحزّهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتّحارس، حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعيية صحيحة، فالتقوا يسلي وسليرى فتصافوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركّزوا رماحهم بين الصّفيين واتكئوا عليها، وأخرج إليهم المهلب عداّهم، ففعلوا مثل ما فعلوا، لا يرمون إلا لصلاة حتى أمسوا، فرجع كل قوم إلى معسكرهم، ففعلوا هذا ثلاثة أيام.

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة. ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل فطعنه، فحمل عليه المهلب فطعنه، فحمل الخوارج بأجمعهم، كما صنعوا يوم سولاف، فضعضوا الناس، وفقد المهلب. وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان، ثم نجم المهلب^(١) في مائة فارس. وقد انغمست كفاؤه في الدّم، وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر^(٢) محشوة قزاً. وقد تمزقت، وإن حشوها ليتطأ، وهو يلهث، وذلك في وقت الظّهر، فلم يزل يحاربهم إلى الليل، حتى كثر القتل في الفريقين.

فلما كان الغد غاداهم، وقد كان وجهه بالأمس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الأزدي يرد المنهزمين، فمر به عامر بن مسمع فرده، فقال: إن الأمير أذن لي، فبعث إلى المهلب فأعلمه، فقال: دعه فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبن والضّعف، وقد تفرق أكثر الناس، فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكم من قلة، أيعجز أحدكم أن يرمى رمحه ثم يتقدّم فيأخذه، ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عيّاش، وقال المهلب لأصحابه: أعدوا مخالي فيها حجارة وارموا بها في وقت الغفلة. فإنها تصدّ الفارس وتصرع الراجل، ففعلوا، ثم أمر منادياً ينادى في أصحابه، يأمرهم بالجدّ والصبر، ويطمعهم في العدو، ففعل، حتى مرّ ببني العدوية، من بني مالك بن حنظلة فضربوه، فدعا

(١) نجم : ظهر .

(٢) المغفر : ما يقى الرأس : وهو حلق يتقنع بها المسلح .

المهلبُ بسيدهم، وهو معاوية بن عمرو فَجَعَلَ يَرْكُلُهُ (١) برجله، وهذا معروفٌ في الأزد، فقال: أصلح الله الأمير! أعفني من أم كيسان - والركبة تسميها الأزد «أم كيسان». ثم حمل المهلبُ وحملوا. فاقتتلوا قتالاً شديداً. فجهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: ألا إن المهلبَ قد قُتل! فركب المهلبُ برذوناً قصيراً أشهبَ. وأقبلَ يركضُ بين الصفين، وإنَّ إحدى يديه لفي القباء وما يشعرُ بها. وهو يصيحُ أنا المهلبُ! فسكنَ الناسُ بعد أن كانوا قد ارتابوا، وظنوا أن أميرهم قد قُتل، وكلَّ الناسُ مع العصر، فصاح المهلبُ بابنه المغيرة: تقدّم. ففعل. وصاح بذكوان مولاه. قدّم رأيته. فقال له رجلٌ من ولده: إنك تُغررُ بنفسك، فذمّره (٢) ثم صاح: يا بني تميم، أأمرُكم فتعصوني! فتقدّم وتقدم الناسُ، واجتلدوا أشدَّ جلاذ، حتى إذا كان مع المساء قتل ابنُ المأحوز. وانصرف الخوارجُ ولم يشعر المهلبُ بقتله، فقال لأصحابه: ابغوني رجلاً جلدًا يطوفُ في القتلَى، فأشاروا عليه برجلٍ من جرّم، وقالوا: إنّا لم نر رجلاً قط أشدَّ منه، فطوفَ ومعه النيرانُ، فجعلَ إذا مرَّ بجريحٍ من الخوارج قال: كافر وربّ الكعبة! فأجهزَ عليه. وإذا مرَّ بجريحٍ من المسلمين أمرَ بسقيه وحمله.

وأقام المهلبُ في عسكره يأمرهم بالاحتراس، حتى إذا كان نصفُ الليل وجهَ رجلاً من اليحمّد. في عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج، فإذا القوم قد تحمّلوا إلى أرجان، فرجع إلى المهلب فأعلمه، فقال: أنا لهم الساعة أشدُّ خوفاً. فاحذروا البيّات.

[قال الأخفش: اليحمّد من الأزد. والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد. والفُرهود في الأصل الحمل، فإن نسبْتَ إلى الحى قلت: «فراهدى»، وإن نسبْتَ إلى الحملان قلت: «فُرهودى» لا غيره].

قال أبو العباس: ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيّات. فإن كان ذلك

(٢) ذمّره - حضه .

(١) الركل : الرفس بالرجل .

فاجعلوا شعاركم «حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ» فإن رسول الله ﷺ كان يأمرُ بها ، ويروى أنه كان شعارَ أصحابِ علي بن أبي طالبِ صلوات الله عليه .

فلما أصبح المهلب غداً على القتلى ، فأصاب ابن الماحوز فيهم :

ففى ذلك يقول رجل من الخوارج :

بِسِلِّي وَسَلْبِرَى مَصَارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَجَرَحَى لَمْ تُوسِّدْ خُدُودَهَا
وقال آخرُ :

بِسِلِّي وَسَلْبِرَى مَصَارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَعَقْرَى مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ^(١)

وقال رجلٌ من موالى المهلب : لقد صرعتُ يومئذٍ بحجرٍ واحدٍ ثلاثة . رميتُ به رجلاً فأصبتُ أصلَ أذنه فصرعته ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخرَ على هامته فصرعته ، ثم صرعتُ به ثالثاً .

وقال رجل من الخوارج :

أَتَانَا بِأَحْجَارٍ لِيَقْتُلَنَا بِهَا وَهَلْ تُقْتَلُ الْأَبْطَالُ وَيَحْكُ بِالْحَجَرِ!

وقال رجلٌ من أصحابِ المهلبِ فى يومِ سِلِّي وَسَلْبِرَى وَقَتْلِ ابْنِ الْمَاحُوزِ :

وَيَوْمَ سَلَى وَسَلْبِرَى أَحَاطَ بِهِمْ مَنَا صَوَاعِقُ مَا تُبْقَى وَلَا تَذُرُ
حَتَّى تَرَكْنَا عَبِيدَ اللَّهِ مُنْجِدِلًا كَمَا تَجَدَّلَ جَذْعُ مَالٍ مُنْقَعَرُ

قال أبو العباس : تقولُ العربُ : «صَاعِقَةٌ وَصَوَاعِقُ» ، وهو مذهبُ أهلِ الحِجَارِ ، وبه نزلَ القرآنُ ، وبنو تميم يقولون : «صَاقِعَةٌ وَصَوَاقِعُ» .

وَالْمُنْقَعَرُ : الْمُنْقَطَعُ مِنْ أَصْلِهِ ، قال الله أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ﴾^(٢) .

(١) سبه ابن برى إلى أبى المقدام بيهس بن صهيب بن عامر الجرمى ، وهو فارس شاعر كان مع المهلب فى هذه الحرب ، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن . وعقرى : جمع عقير ؛ بمعنى معقور ، من عقر الفرس ، إذا قطع قوائمه . (رغبة الأمل) .

(٢) سورة القمر ٢٠ .

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ يَوْمَ سَلَّى حَمَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ
فَطَعَنَهُ، فَلَمَّا خَالَطَهُ الرَّمْحُ صَاحَ: يَا أُمَّتَاهُ! فَصَاحَ بِهِ الْمُهَلَّبُ: لَا أَكْثَرَ اللَّهُ بِمِثْلِكَ
الْمُسْلِمِينَ! فَضَحِكَ الْخَارِجِيُّ وَقَالَ:

أَمُّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَاحِبَا
تَسْقِيكَ مَحْضًا وَتَعْلُ رَائِبَا

وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِذَا نَظَرَ إِلَى الرَّمَاكِ قَدْ تَشَاوَرَتْ فِي وَجْهِهِ نَكَسَ
عَلَى قَرْبُوسِ سَرَجِهِ، وَحَمَلَ مِنْ تَحْتِهَا فَبَرَاهَا بِسَيْفِهِ، وَأَثَرَ فِي أَصْحَابِهَا، حَتَّى
تَخَرَّمَتِ الْيَمْنَةُ مِنْ أَجْلِهِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا تَكُونُ الْحَرْبُ أَشَدَّ مَا يَكُونُ تَبَسُّمًا، فَكَانَ
الْمُهَلَّبُ يَقُولُ: مَا شَهِدَ مَعِيَ حَرْبًا قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ:

فَإِنْ تَكُ قَتَلْتَنِي يَوْمَ سَلَّى تَتَابَعْتُ فَكَمْ غَادَرَتْ أَسْيَافُنَا مِنْ قُمَاقِمٍ! (١)
غَدَاةَ نَكَرُ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ بِسُؤْلَافٍ يَوْمَ الْمَازِقِ الْمَتْلَاحِمِ
الْمَازِقُ: هُوَ يَوْمُ تَضَائِقِ الْحَرْبِ. وَالْمَتْلَاحِمُ: نَعْتُ لَهُ. وَالْمَشْرِفِيَّةُ: السُّيُوفُ.
نُسِبَتْ إِلَى الْمَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْمَلْقَبُ «مُوتَةَ» الَّذِي قَتَلَ بِهِ
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ.

[قَالَ الْأَخْفَشُ: كَانَ الْمَبْرَدُ لَا يَهْمَزُ «مُوتَةَ». وَلَمْ أَسْمَعْهَا مِنْ عِلْمَائِنَا إِلَّا
بِالْهَمْزِ] .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: فَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ
الْقُبَاعِ.

(١) القماقم: السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإننا لقينا الأزارقة المارقة بحدٍّ و جدٍّ ، فكانت في الناس جولةً ، ثم تاب أهل الحفاظ والصبر ، بنيات صادقة ، وأبدان شداد ، وسيوف حداد ، فأعقب الله خير عاقبة ، وجاوز بالنعمة مقدار الأمل ، فصاروا درةً رماحنا ، وضرائب سيوفنا^(١) ، وقتل الله أميرهم ابن الماحوز . وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ، والسلام .

فكتب إليه القباع :

قد قرأت كتابك يا أخا الأزد . فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها . وذخر لك ثواب الآخرة - إن شاء الله - وأجرها ، ورأيتك أوثق حصون المسلمين . وهادئ أركان المشركين ، وأخا السياسة وذا الرياسة ، فاستدِم الله بشكره يتمم عليك نعمة ، والسلام .

وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه ، ولم يكتب إليه الأحنف ، ولكن قال : اقرءوا عليه السلام ، وقولوا له : أنا لك على ما فارقتك عليه ، فلم يزل يقرأ الكتب ويَلْتَمِسُ في أضعافها كتاب الأحنف ، فلما لم يره قال لأصحابه : أمّا كتب إلينا؟ فقال له الرسول : حملني إليك رسالة . وأبلغه . فقال : هذه أحبُّ إليَّ من هذه الكتب .

واجتمعت الخوارج بأرجان ، فبايعوا الزبير بن علي ، وهو من بني سليط بن يربوع ، من رهط ابن الماحوز ، فرأى فيهم انكساراً شديداً وضعفاً بيناً ، فقال لهم : اجتمعوا ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ، ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخزي ، وإن يُصب منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خير مما خلف ، وقد أصبتم فيهم^(٢) مسلم بن عبيس وربيعاً الأجدم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر . وأشجيتهم المهلب . وقتلتم

(١) الدرّة . الحلقة يتعلم فيها الرمي والطعن ، والضرائب جمع ضريبة . وهي كل ما ضربت بسيفك .

(٢) ر . « منهم » .

أَخَاهُ الْمُعَارِكُ ، وَاللَّهُ يَقُولُ لِإِخْوَانِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١) ، فَيَوْمٌ سَلَىٰ لَكُمْ بَلَاءٌ وَتَمَحِيصًا ، وَيَوْمٌ سُولَافٌ كَانَ لَهُمْ عَقُوبَةٌ وَنِكَالًا ، فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى الشُّكْرِ فِي حِينِهِ ، وَالصَّبْرُ فِي وَقْتِهِ ، وَثِقُوا بِأَنْكُمْ الْمُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

ثُمَّ تَحَمَّلَ لِمُحَارَبَةِ الْمُهَلَّبِ . فَنَفَحَهُمْ^(٢) الْمُهَلَّبُ نَفْحَةً . فَرَجَعُوا فَأَكْمَنَ لِلْمُهَلَّبِ فِي غُمُضٍ مِنْ غُمُوضِ الْأَرْضِ^(٣) ، يَقْرُبُ مِنْ عَسْكَرِهِ ، مَائَةٌ فَارِسٍ لِيَغْتَالُوهُ ، فَسَارَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا يَطُوفُ بِعَسْكَرِهِ وَيَتَفَقَّدُ سَوَادَهُ ، فَوَقَّفَ عَلَى جَبَلٍ فَقَالَ : إِنْ مِنَ التَّدْبِيرِ لِهَذِهِ الْمَارِفَةِ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَكْمَنْتَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كَمِينًا ، فَبَعَثَ عَشْرَةَ فُؤَارِسٍ ، فَاطَّلَعُوا عَلَى الْمَائَةِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِهِمْ قَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ وَنَجَّوْا ، وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ ، فَصَاحُوا بِهِمْ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ! لَوْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ لَجَدَدْنَا فِي جِهَادِكُمْ . ثُمَّ يَتَسَّ الزُّبَيْرُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَضَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى أَرْجَانَ ، وَقَدْ جَمَعَ جَمُوعًا ، وَكَانَ الْمُهَلَّبُ يَقُولُ : كَأَنِّي بِالزُّبَيْرِ وَقَدْ جَمَعَ جَمُوعًا ، فَلَا تَرَهَّبُوهُمْ فَتَخُبْتَ قُلُوبُكُمْ ، وَلَا تُغْفَلُوا الْإِحْتِرَاسَ فَيَطْمَعُوا فِيكُمْ ، فَجَاءَ وَهُ مِنْ أَرْجَانَ فَأَلْفَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخِذًا بِأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ . فَحَارِبُوهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ظُهُورًا بَيِّنًا . فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . أَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ بَنِي يَرْبُوعَ :

سَقَى اللَّهُ الْمُهَلَّبَ كُلَّ غَيْثٍ مِنْ الْوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ أَنْتَحَارًا^(٤)
فَمَا وَهَنَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَ جَاءَتْ عَوَابِسُ خَيْلِهِمْ تَبْغِي الْغَوَارَا

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَئِذٍ : مَا وَقَعْتُ فِي أَمْرٍ ضَيِّقٍ مِنَ الْحَرْبِ إِلَّا رَأَيْتُ أُمَامِي رِجَالًا مِنْ بَنِي الْهَجِيمِ بَنِي عَمْرٍو بَنِي تَمِيمٍ يُجَالِدُونَ ، وَكَأَنَّ لِحَاهِمُ أَذْنَابُ الْعَقَاقِ^(٥) . وَكَانُوا صَبَرُوا مَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ .

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٢) فنفضهم : دفعهم .

(٣) الغموض : جمع غمض ؛ وهو المطمئن من الأرض .

(٤) ينتحر انتحارا ؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبثق بماء كثير ؛ قال الراعي :

فَمَرَّ عَلَى مَنَازِلِهَا وَأَلْقَى بِهَا الْأَثْقَالَ وَأَنْتَحَرَ أَنْتَحَارًا

(٥) العقاقق . جمع عقق ؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب .

وقال رجلٌ من بنى تميم . من بنى عَبْشَمَسٍ بن سَعْدٍ :

أَلَا يَأْمَنُ لَصَبٍ مُسْتَحَنٍّ (١)
قَرِيحَ الْقَلْبِ قَدْ صَحَبَ الْمَزُونَا
لَهَانَ عَلَى الْمَهْلَبِ مَالَقِينَا
إِذَا مَا رَاحَ مَسْرُوراً بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرَى وَنَحْنُ شُعْتُ
كَأَنَّ جُلُودَنَا كُسِيَتْ طَحِينَا (٢)

المزون : عُمَان . وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ :

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ
فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا
وقال جريرٌ :

وَأَطْفَاءُ نِيرَانِ الْمَزُونِ وَأَهْلُهَا
وَقَدْ حَاوَلُوهَا فَتَنَةً أَنْ تُسَعَّرَا

وَحَمَلُ يَوْمِئِذٍ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ عَلَى قَيْسِ الْإِكَافِ، وَكَانَ قَيْسٌ مِنْ أَنْجَدِ
فُرْسَانَ الْخَوَارِجِ، فَطَعَنَهُ فَدَقَّ صُلْبَهُ، وَقَالَ :
قَيْسُ الْإِكَافِ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِي ثَبَّتَ الْمَقَامَ إِذَا لَاقَيْتُ أَقْرَابِي

وقد كان قُلُّ المَهْلَبِ يَوْمَ سَلَى وَسَلَبَرَى صَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَذَكَرُوا أَنَّ
الْمَهْلَبَ أَصِيبَ، فَهَمَّ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالنَّقْلَةِ إِلَى الْبَادِيَةِ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُهُ بِظَفَرِهِ، فَأَقَامَ
النَّاسُ، وَتَرَاجَعَ مَنْ كَانَ ذَهَبَ مِنْهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : الْبَصْرَةُ
بَصْرَةُ الْمَهْلَبِ . وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ كُنْدَةٍ يَقَالُ لَهُ فُلَانٌ بْنُ أَرْقَمَ، فَتَنَعَ ابْنَ عَمٍّ لَهُ .
وَقَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ وَقَدْ مَكَّنَ رُمَحَهُ مِنْ صُلْبِهِ، فَقَدِمَ الْمُنْعَى، فَقِيلَ لَهُ
ذَلِكَ . فَقَالَ : صَدَقَ ابْنُ أَرْقَمَ لَمَّا أَحْسَسْتُ بِرُمَحِهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ صَحْتُ : الْبَقِيَّةُ ! فَرَفَعَهُ
عَنِّي، وَتَلَا : ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) .

(٢) الثوب السابري : الرقيق .

(١) مستحَن : من الحنين .

(٣) سورة هود ٨٦ .

وَوَجَّهَ الْمَهْلَبُ بِعَقِبِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ، بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرِ ابْنِ الْمَاحُوزِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ الْقُبَاعِ. فَلَمَّا صَارَ بِكُرْبَيْجٍ ^(١) دِينَارٍ لَقِيَهُ حَبِيبٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَعَلِيٌّ، بَنُو بَشِيرِ بْنِ الْمَاحُوزِ، فَقَالُوا لَهُ: مَا الْخَبْرُ؟ وَلَا يَعْرِفُهُمْ، فَقَالَ: قَتَلَ اللَّهُ الْمَارِقَ ابْنَ الْمَاحُوزِ، وَهَذَا رَأْسُهُ مَعِيَ. فَوُثِّبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ وَدَفَنُوا الرَّأْسَ، فَلَمَّا وَلَّى الْحِجَّاجُ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ بَشِيرٍ، وَكَانَ وَسِيمًا جَسِيمًا، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَخُبِّرَ، فَقَتَلَهُ، وَوَهَبَ ابْنَهُ الْأَزْهَرَ وَابْنَتَهُ لِأَهْلِ الْأَزْدِ الْمَقْتُولِ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ بَشِيرٍ لَهُمْ مُوَاصِلَةً، فَوَهَبُوهُمَا لَهَا.

[تَوَلِيَّةُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتِقْدَامُهُ الْمَهْلَبَ]

فَلَمْ يَزَلِ الْمَهْلَبُ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ فِي وَلَايَةِ الْحَارِثِ الْقُبَاعِ، حَتَّى عُزِلَ الْحَارِثُ وَوُلِّيَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيَّ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَكَ الْمَغِيرَةَ، فَفَعَلَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ الْمَغِيرَةَ. وَهُوَ أَبُو صَغِيرِكُمْ رَقَّةً وَرُحْمَةً، وَابْنُ كَبِيرِكُمْ طَاعَةً وَبِرًّا وَتَبْجِيلًا، وَأَخُو مِثْلِهِ مُوَاسَاةً وَمَنَاصِحَةً، فَلْتَحَسِّنْ لَهُ طَاعَتَكُمْ، وَلْيَلِنْ لَهُ جَانِبَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ صَوَابًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ. ثُمَّ مَضَى إِلَى مُصْعَبٍ، وَكَتَبَ مُصْعَبٌ إِلَى الْمَغِيرَةِ بِوَلَايَتِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ كَأَبِيكَ، فَإِنَّكَ كَافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ، فَشَمَّرَ وَاتَّرَرَ وَجَدًّا وَاجْتَهَدَ.

ثُمَّ شَخَّصَ الْمَصْعَبُ إِلَى الْمَذَارِ ^(٢) فَقَتَلَ أَحْمَرَ بْنَ شَمِيطٍ، ثُمَّ أَتَى الْكُوفَةَ فَقَتَلَ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ. وَقَالَ لِلْمَهْلَبِ: أَشِرُّ عَلَى بَرَجِلٍ أَجْعَلُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: أَذْكَرُ لَكَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ عَطَارِدِ الدَّارِمِيِّ، أَوْ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَشْرَفِ الْعَتَكِيِّ أَوْ دَاوُدُ بْنُ قَحْذَمٍ. فَقَالَ: أَوْ تَكْفِينِي؟ قَالَ: أَكْفِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَوَلَاهُ الْمَوْصِلَ. فَشَخَّصَ الْمَهْلَبُ إِلَيْهَا.

(١) موضع قريب من الأهواز .

(٢) المذار . بلد في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام .

[مشاورۃ مصعب الناس فیمن یکفیه امر الخوارج]

وصار مصعب إلى البصرة، فسأل: مَنْ یستکفی أمر الخوارج ویفد إلى أخیه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: ولَّ عُبَیدَ الله بن أبی بکرَةَ. وقال قومٌ: ولَّ عمر ابن عُبَیدَ الله بن معمر، وقال قومٌ: لیس لهم إلاَّ المهلبُ فارذدُهُ إلیهم.

وبلَّغت المشورة الخوارجَ، فأداروا الأمرَ بینهم، فقال قطریُّ بن الفُجاءة المازنی: إن جاءکم عُبَیدَ الله بن أبی بکرَةَ أتاکم سَیدٌ سَمَحٌ جَوَادٌ کَرِیمٌ مُضِیعٌ لعسکره. وإن جاءکم عُمَرُ بن عُبَیدَ الله بن معمرٍ أتاکم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جَادٌ، یقاتلُ لدینهِ ومُلُکهِ، وبطبیعةٍ لم أرَ مثلاً لأحد، فقد شهدته فی وقائعٍ فما نودی فی القومِ لحربٍ إلاَّ کان أولَ فارسٍ یطلُعُ حتَّى یشدَّ علی قِرنِهِ فیضربُهُ، وإن رُدَّ المهلبُ فهو مَنْ قد عرفتموه، إن أخذتم بطرفِ ثوبٍ أخذَ بطرفهِ الآخرِ، یمدُّه إذا أرسلتموه، ویُرسله إذا مددتموه، لا یبدؤکم إلاَّ أن تَبْدَؤهُ، إلا أن یرى فَرَصَةً فیتنهزها. فهو اللیث المبرُّ (١)، والثعلبُ الرواغُ. والبلاءُ المقیمُ.

فولَّى علیهم عمرَ بن عُبَیدَ الله، وولاه فارسَ، والخوارجَ بأرجان، وعلیهم الزبیر بن علی السَّلَیطی. فشحَصَ إلیهم فقاتلهم، وألَحَّ علیهم حتَّى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان، فلما بلغ المهلبُ أن مصعباً ولَّى عمرَ بن عُبَیدَ الله قال: رماهم بفارس العربِ وفتاها.

فَجَمَعُوا لَهُ وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا. ثم أتوا سَابُورَ. فسارَ إلیهم حتَّى نزلَ منهم على أربعة فراسخ. فقال له مالکُ بن حَسَّانِ الأزدیُّ: إن المهلبُ کان یذکی العیونَ. ویخلفُ البیاتَ. ویرتقبُ الغفلةَ. وهو علی أبعدَ من هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسکتُ خَلَعَ اللهُ قلبک! أتُراک تموتُ قبلَ أَجَلِک! فأقام هناك. فلما کان ذاتَ لیلَةٍ بَیتُهُ الخوارجُ. فخرجَ إلیهم فحاربهم حتَّى أصبحَ. فلم یطفروا منه بشیءٍ. فأقبل علی مالکِ بن حَسَّانٍ فقال: کیف رأیت؟ قال: قد سلَّم اللهُ عزَّ وجل. ولم

(١) المبر - العالِب .

يكونوا يَطمعون مِنَ المهْلَبِ بِمثلها. فقال: أَمَا إِنَّكُمْ لَو ناصحتُمونِي مُناصحتكم المهْلَبَ لَرَجَوْتُ أَنْ أَنْفِي هَذَا العدوَّ. ولكنكم تقولون: قُرْشِيُّ حِجَازِيُّ بَعِيدُ الدَّارِ. خَيْرُهُ لغيرنا. فتقاتلون معي تَعْدِيرًا.

ثُمَّ زَحَفَ إِلَى الْخَوَارِجِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا. حَتَّى أَجَاءَهُمْ إِلَى قَنْطَرَةٍ. فَتَكَاثَفَ النَّاسُ عَلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ، فَأَقَامَ حَتَّى أَصْلَحَهَا، ثُمَّ عَبَّرُوا، وَتَقَدَّمَ ابْنُهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو - وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ بْنِ كَعْبٍ - فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ قَطَرِيٌّ: لَا تَقَاتِلُوا عَمَرَ الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَوْتُورٌ. وَلَمْ يَعْلَمْ عَمْرٌ بِقِتْلِ ابْنِهِ؛ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْقَوْمِ، وَكَانَ مَعَ ابْنِهِ النُّعْمَانُ بْنُ عَبَّادٍ. فَصَاحَ بِهِ: يَا نَعْمَانُ، أَبْنِ ابْنِي؟ فَقَالَ: أَحْسَبُهُ ^(١) (أَيُّهَا الْأَمِيرُ). فَقَدْ اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَابِرًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! ثُمَّ حَمَلَ عَلَى النَّاسِ حِمْلَةً لَمْ يَرِ مِثْلَهَا. وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ بِحِمْلَتِهِ. فَقَتَلُوا فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ تَسْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ، وَحَمَلَ عَلَى قَطَرِيٍّ فَضْرِبَهُ عَلَى جَبِينِهِ فَفَلَقَهُ. وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ. وَانْتَهَبَهَا، فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا قَالَ لَهُمْ قَطَرِيٌّ: أَمَا أَشْرَتَ عَلَيْكُمْ بِالْأَنْصَرَفِ! فَجَعَلُوهُ وَجُوهَهُمْ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ فَارَسٍ.

وَتَلَقَّاهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْفِزْرُ بْنُ مِهْزَمِ الْعَبْدِيُّ فَسَأَلُوهُ عَنْ خَبْرِهِ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ. فَأَقْبَلَ عَلَى قَطَرِيٍّ فَقَالَ: إِنِّي مُؤْمِنٌ مُهَاجِرٌ. فَسَأَلَهُ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، فَأَجَابَ إِلَيْهَا فَخَلَّوْا عَنْهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ:

وَشَدُّوا وَثَاقِي ثُمَّ أَلْجَوْا خَصُومَتِي ^(٢) إِلَى قَطَرِيٍّ ذِي الْجَبِينِ الْمُفْلَقِ
وَحَاجَجْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَحَجَجْتُهُمْ ^(٣) وَمَا دِينُهُمْ غَيْرَ الْهُوَى وَالتَّخَلُّقِ
ثُمَّ إِنَّهُمْ تَرَاوَعُوا وَتَكَانَفُوا.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) الجوا: أصله الجنوا.

(٣) حاججتهم: نازعتهم.

٢٤٢
[قال الأَخْفَشُ: تَكَانَفُوا أَعْلَى بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَاجْتَمَعُوا

وَنَاحَ بِبَعْضِهِمْ فِي كَنَفِهِ بَعْضٌ]

وعادُوا إلى ناحية أَرْجَانٍ. فسار إليهم عمر. وكتب إلى مُصَنَّبٍ: أما بعدُ
فإني قد لقيتُ الأزارقةَ. فَرَزَقَ اللهُ عُبَيْدَ اللهِ بن عمر الشهادةَ، وَوَهَبَ له السعادةَ.
ورزقنا عليهم الظفرَ. فتفرَّقُوا شَذَرَ مَذَرٍ، وبلغتني عنهم عودةٌ، فِيمَمَّتْهُمْ، وبالله
أستعينُ وعليه أتوكلُ.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالتقوا. فآلح عليهم
حتى أخرجهم. وانفرد عمر^(١) من أصحابه. فَعَمَدَ له أربعة عشر رجلاً منهم، من
مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمودٌ. فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا
صرعه. فَرَكَّضَ إليه قَطْرِيٌّ على فرس طمرة^(٢). وعمر على مَهْرٍ فاستثاره قَطْرِيٌّ
بقوة فرسه حتى كاد يصرعه. فَبَصُرَ به مَجَاعَةٌ فأسرع إليه. فصاحت الخوارجُ
بقطريٍّ: يا أبا نعام! إنَّ عدوَّ الله قد رَهَقَكَ. فانحطَّ قطري عن قَرْبُوسه. فطعنه
مَجَاعَةٌ. وعلى قطري درعان فهتكهما، وأسرع السَّنان في رأس قطريٍّ، فَكَشَطَ
عنه جلده ونَجَا.

وارتحل القومُ إلى أَصْبَهَانَ فأقاموا بها^(٣) بُرْهَةً، ثم رجَعُوا إلى الأهواز. وقد
ارتحل عمر بن عُبَيْدِ اللهِ إلى إِصْطَخَرَ. فأمر مَجَاعَةٌ فَجَبَى الخراج أسبوعاً. فقال
له^(٤): كم جَبَيْتَ؟ قال: تِسْعِمِائَةِ أَلْفٍ. فقال: هي لك. فقال يزيد بن الحكم
الثقفى لمجاعة:

وَدَعَاكَ دَعْوَةً مُرْهَقٍ فَأَجَبْتَهُ^(٥) عُمَرُ وَقَدْ نَسِيَ الْحَيَاةَ وَضَاعَا
فَرَدَدْتَ عَادِيَةَ الْكُتَيْبَةِ عَنْ فَتَى^(٦) قَدْ كَادَ يُتْرَكُ لِحِمِّهِ أَوْزَاعَا^(٧)

(١) ساقط من ر.

(٢) ر «طمرة» والطمرة. الطويلة الخفيفة القوائم.

(٣) ساقطه من ر.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) المرهق. الذي أدرك ليقتل.

(٦) العادة الخيل تعدو.

(٧) أوزاعا: قطعاً.

وعُزِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُبَيْرِ وَوُلِيَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُبَيْرِ، فَوَجَّهَ الْمُهَلَّبَ إِلَيْهِمْ، فَحَارِبَهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ عَنِ الْأَهْوَازِ، ثُمَّ رَدَّ مُصْعَبُ وَالْمُهَلَّبُ بِالْبَصْرَةِ، وَالْخَوَارِجُ بِأَطْرَافِ أَصْبَهَانَ وَالْوَالِي عَلَيْهَا عَتَّابُ بْنُ رِقَاءَ الرِّيَّاحِيُّ، فَأَقَامَ الْخَوَارِجُ هُنَاكَ شَيْئاً يَجْبُونَ الْقُرَى. ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَى الْأَهْوَازِ مِنْ نَاحِيَةِ فَارَسَ، فَكَتَبَ مُصْعَبُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: مَا أَنْصَفْتَنِي. أَقَمْتَ بِفَارَسَ تَجْبِي الْخَرَجَ وَمِثْلَ هَذَا الْعَدُوَّ يَحَارِبُكَ! وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَ ثُمَّ هَرَبْتَ لَكَانَ أَعْذَرُ لَكَ، وَخَرَجَ مُصْعَبُ مِنَ الْبَصْرَةِ يَرِيدُهُمْ. وَأَقْبَلَ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَرِيدُهُمْ، فَتَنَحَّى الْخَوَارِجُ إِلَى السُّوسِ، ثُمَّ أَتَوْا الْمَدَائِنَ، فَقَتَلُوا أَحْمَرَ طَيْئٍ. وَكَانَ شَجَاعاً، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

تَرَكْتُمْ فِتَى الْفَتِيَانِ أَحْمَرَ طَيْئٍ بِسَابَاطٍ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ خَلِيلُ
ثُمَّ خَرَجُوا عَامِدِينَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا خَالَطُوا سَوَادَهَا، وَوَالِيهَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُبَاعُ. فَتَنَاقَلَ عَنِ الْخُرُوجِ وَكَانَ جَبَاناً، فَذَمَّرَهُ^(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ، وَلَامَهُ النَّاسُ. فَخَرَجَ مُتَحَامِلاً حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا نُكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا
وَجَعَلَ يَعِدُ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُ. وَالْخَوَارِجُ يَفْشُونَ^(٢)، حَتَّى أَخَذُوا امْرَأَةً فَقَتَلُوا أَبَاهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهَا، فَقَالَتْ: أَنْتَقَتُلُونِ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحُلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُسَيَّنٍ! فَقَالَ قَالَ مِنْهُمْ: دَعُوهَا، فَقَالُوا: قَدْ فَتَنَتْكَ، ثُمَّ قَدَّمُوهَا فَقَتَلُوهَا، ثُمَّ قَرَّبُوا أُخْرَى. وَهُمْ بِحِذَاءِ الْقُبَاعِ، وَالْجِسْرُ مَعْقُودٌ بَيْنَهُمَا، فَقَطَعَهُ الْقُبَاعُ، وَهُوَ فِي سِتَةِ آلَافٍ، وَالْمَرْأَةُ تَسْتَغِيثُ بِهِ وَهِيَ تَقُولُ^(٣): عَلَامَ تَقْتُلُونَنِي؟ فَوَاللَّهِ مَا فَسَقْتُ وَلَا كَفَرْتُ وَلَا ارْتَدَدْتُ! وَالنَّاسُ يَتَفَلَّتُونَ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَالْقُبَاعُ يَمْنَعُهُمْ، فَلَمَّا خَافَ أَنْ يَعْصُوهُ أَمْرٌ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَطْعِ الْجِسْرِ. فَأَقَامَ بَيْنَ دَبَاهَا وَدَبِيرِ^(٤) خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَالْخَوَارِجُ بِقُرْبِهِ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ: إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ غَدًا فَأَثْبِتُوا أَقْدَامَكُمْ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ التَّرَامِي. ثُمَّ إِشْرَاعَ الرِّمَاحِ،

(١) الذمير: الحضر. (٢) ر: «يعيثون». س: يعيثون.
(٣) ر: «وتقول». (٤) دباها ودبيري: قربتان من قرى بغداد.

ثم السَّلَّةُ^(١)، فَثَكَلَتْ رَجُلًا أُمَّهُ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ! فقال بعضهم لما أكثر عليهم: أما الصَّفَّةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟ وقال الراجزُ:

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَسَا بين دباها وديريَ خمسًا^(٢)

فأخذ الخوارجُ حاجتهم، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهَانَ، فبعثَ عَتَّابُ بْنُ رِقَاءَ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ عَلِيٍّ: أَنَا ابْنُ عَمِكَ، وَلَسْتُ أُرَاكَ تَقْصِدُ فِي انْصِرَافِكَ مِنْ كُلِّ حَرْبٍ غَيْرِي. فبعث إليه الزُّبَيْرُ: إِنَّ أَدْنَى الْفَاسِقِينَ وَأَبْعَدَهُمْ فِي الْحَقِّ^(٣) سَوَاءٌ.

وإنما سُمِّيَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ الْقُبَاعِ، لِأَنَّهُ وَلِيَ الْبَصْرَةَ فَعَرَّ عَلَى النَّاسِ مَكَايِلُهُمْ، فَنَظَرَ إِلَى مَكِيَالٍ صَغِيرٍ فِي مَرَاةِ الْعَيْنِ وَقَدْ أَحَاطَ بِدَقِيقِ اسْتَكْثَرِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مَكِيَالَكُمْ هَذَا لَقُبَاعٌ. وَالْقُبَاعُ الَّذِي يُخْفَى أَوْ يَخْفَى مَا فِيهِ، يُقَالُ: انْقَبَعَ الرَّجُلُ، إِذَا اسْتَتَرَ، وَيُقَالُ لِلْقَنْفُذِ الْقُبْعِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَخْنَسُ رَأْسَهُ.

قال أبو العباس: وأقام الخوارجُ يَغَادُونَ عَتَّابَ بْنَ رِقَاءَ الْقِتَالَ وَيُرَاوِحُونَهُ، حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْمَقَامُ، وَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِكَبِيرٍ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ انْصَرَفُوا، وَلَا يَمُرُّونَ بِقَرْيَةٍ بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَالْأَهْوَازِ إِلَّا اسْتَبَاحُوهَا وَقَتَلُوا مِنْ فِيهَا.

وَشَاوَرَ الْمُصْعَبُ النَّاسَ فِيهِمْ^(٤)، فَاجْتَمَعَ^(٥) رَأْيُهُمْ عَلَى الْمَهْلَبِ، فَبَلَغَ الْخَوَارِجُ مَشَاوَرَتَهُ^(٦)، فَقَالَ لَهُمْ قَطْرِيٌّ: إِنْ جَاءَكُمْ عَتَّابُ بْنُ رِقَاءَ فَهُوَ فَاتِكٌ يَطْلُعُ فِي أَوَّلِ الْمَقْنَبِ^(٧) وَلَا يَظْفَرُ بِكَبِيرٍ، وَإِنْ جَاءَكُمْ عُمَرُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ ففَارِسٌ يُقَدِّمُ، فَإِمَّا لَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ، وَإِنْ جَاءَكُمْ الْمَهْلَبُ فَرَجُلٌ لَا يُنَاجِزُكُمْ حَتَّى تَنَاجِزُوهُ، وَيَأْخُذُ مِنْكُمْ وَلَا يَعْطِيكُمْ، فَهُوَ الْبَلَاءُ الْإِلَازِمُ، وَالْمَكْرُوهُ الدَّائِمُ.

وَعَزَمَ الْمُصْعَبُ عَلَى تَوْجِيهِ الْمَهْلَبِ، وَأَنْ يَشْخَصَ هُوَ لِحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ خَرَجَ إِلَى الرَّيِّ، وَبَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ. فَحَارَبَهُ

(١) السَّلَّةُ. استلال السيوف.

(٢) الملس. السر الشد.

(٣) ر: «من الحق».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «فأجمع».

(٦) ر «مُسَوَّرَتُهُ»

(٧) المقنب. جماعة الخيل.

ثم حَصَرَهُ . فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه ، فكان الظَّفَرُ للخوارج ، فقتلَ يزيدُ ابنَ رُوَيْمٍ . ونادى يؤمئذُ ابنَهُ حَوْشَبًا ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطِيفَةً . وكان على بن أبي طالب عليه السلام دخلَ على الحارث بن رُوَيْمٍ يعود ابنَهُ يزيدَ . فقال له : عندي جاريةٌ لطيفةٌ أخدمُ أبعثُ بها إليك ، فسامها يزيدُ لطيفةً ، فقتلتُ معه يومئذٍ . وفي ذلك يقول الشاعرُ :

مَوَاقِفُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ أَسْرُ وَأَشْفَى مِنْ مَوَاقِفِ حَوْشَبٍ
دَعَاهُ يَزِيدُ وَالرَّمَّاحُ شَوَارِعُ فلم يَسْتَجِبْ بَلْ رَاغَ تَرَوَاغَ ثَعْلَبٍ
ولو كان سَهْمَ النَّفْسِ أو ذا حَفِيزَةٍ رأى ما رأى في الموتِ عيسى بن مُصْعَبٍ

وقد مرَّ خبر عيسى بن مُصْعَبٍ مُسْتَقْصًى ، وقال آخرُ :

نَجَّى حَلِيلَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ نَصَبَ الْأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدَ

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يُعَيِّرُهُ بأُمِّه . وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر : يا بنَ حَوْرَاءَ . فقال بلال - وكان جلدًا : إن الأُمَّةَ تُسَمَّى حَوْرَاءَ وَجِيْدَاءَ وَلَطِيفَةً .

وزَعَمَ الْكَلْبِيُّ أَنَّ بِلَالًا كَانَ جَلْدًا حِينَ ابْتُلِيَ (١) . قال الكلبي : وَيُعْجِبُنِي أَنَّ أَرَى الْأَسِيرَ جَلْدًا - قال : وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف بن عمر : الحمد لله الذي أزال سُلْطَانَكَ وَهَدَّ رُكْنَكَ ، وَغَيَّرَ حَالَكَ . فوالله لقد كنت شديدَ الحجاب . مُسْتَخْفًا بِالشَّرِيفِ . مُظْهِرًا لِلْعَصْبِيَّةِ . فقال له بلالٌ : إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ يَا خَالِدُ لثَلَاثَ مَعَكَ هُنَّ عَلَيَّ : الْأَمْرُ عَلَيْكَ مَقْبَلٌ وَهُوَ عَنِّي مُدْبِرٌ . وَأَنْتَ مُطْلَقٌ وَأَنَا مَأْسُورٌ . وَأَنْتَ فِي طَيْبَتِكَ وَأَنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ غَرِيبٌ . وَإِنَّمَا جَرَى إِلَى هَذَا ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ أَصْلَ آلِ الْأَهْتَمِ مِنَ الْحِيرَةِ ، وَإِنَّهُمْ أَشَابَةُ (٢) دَخَلَتْ فِي بَنِي مُنْقَرٍ مِنَ الرُّومِ . ثم انحطَّ الزُّبَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْبَهَانَ ، فَحَصَرَ بِهَا عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ الرِّيَّاحِيَّ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَعَتَابٌ يُحَارِبُهُ فِي بَعْضِهِنَّ ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْحَصَارُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ وَاللَّهِ مَا تُؤْتُونَ مِنْ قِلَّةٍ . وَإِنَّكُمْ لِفَرَسَانُ عَشَائِرِكُمْ . وَلَقَدْ حَارَبْتُمُوهُمْ

(١) ر : «حيث ابتلى» .

(٢) الأشابة : الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا . كالأوباش والأوشاب قاله المصنفى .

مراراً فانْتَصَفْتُمْ مِنْهُمْ، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلا أن تَفْنَى ذخائِرُكُمْ. فَيَمُوتُ أَحَدُكُمْ فَيُدفَنُهُ أَخُوهُ. ثم يَمُوتُ أَخُوهُ فلا يَجِدُ مَنْ يَدْفَنُهُ، فَيَقَاتِلُوا الْقَوْمَ وَبِكُمْ قُوَّةٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضْعُفَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى قَرْنِهِ. فلما أَصْبَحَ الْغَدُ صَلَّى بِهِمُ الصَّبْحَ. ثم خَرَجَ بِهِمْ^(١) إِلَى الْخَوَارِجِ وَهُمْ غَارُونَ، وَقَدْ نَصَبَ لَوَاءً لَجَارِيَةٍ لَهُ يَقَالُ لَهَا يَا سَمِينُ، فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ فَلْيَلْحَقْ بِلَوَاءِ يَا سَمِينُ، وَمَنْ أَرَادَ الْجِهَادَ فَلْيَخْرُجْ مَعِيَ. فَخَرَجَ فِي أَلْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمُ الْخَوَارِجُ حَتَّى غَشَوْهُمْ. فَقَاتَلُوا بِجَدٍّ لَمْ يَرَ الْخَوَارِجُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ. فَعَقَرُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَقَتَلُوا الزُّبَيْرَ بْنَ عَلِيٍّ. وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ، فَلَمْ يَتَبِعَهُمْ عَتَّابٌ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

وَيَوْمَ بَحَى تُلَاقَيْنَتَهُ وَلَوْلَاكَ لَأَصْطَلِمَ الْعَسْكَرُ^(٢)

- قال أبو العباس: نُفَسِرُ قَوْلَهُ: «وَلَوْلَاكَ» فِي آخِرِ هَذَا الْخَبَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ فِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ:

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَمِيئًا وَلَمْ أَكُ فِي كَتِيبَةِ يَا سَمِينَا
أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنْ قَوْمِي عَدَوْا مَسْتَلْئِمِينَ مُجَاهِدِينَ

وَتَزَعُمُ الرِّوَاةُ أَنَّهُمْ فِي أَيَّامِ حَصَارِهِمْ كَانُوا يَتَوَاقَفُونَ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبِمَا كَانَتْ مُوَاقِفَةُ لَغَيْرِ حَرْبٍ^(٣)، وَبِمَا اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَتَّابٍ يَقَالُ لَهُ شَرِيحٌ، وَيُكْنَى أَبَا هُرَيْرَةَ. إِذَا تَحَاجَزَ الْقَوْمُ مَعَ الْمَسَاءِ نَادَى بِالْخَوَارِجِ وَبِالزُّبَيْرِ بْنِ عَلِيٍّ:

يَا بْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ!
شَدَّ أَبَى هُرَيْرَةَ الْهَرَارَ يَهْرُكُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٤)
أَلَمْ تَرَوْا جَيًّا عَلَى الْمِضْمَارِ تَمْسِي مِنَ الرَّحْمَنِ فِي جَوَارِ^(٥)

(١) ساقط من ر.

(٢) الصلح في الأصل. قطع الأذن.

(٣) ر. «غير حرب».

(٤) أصل الهيرير في الكلب والدث، إذا كثر كل منهما عن نابه، واستعمل في الرجل تجاوزاً.

(٥) المصار الغانة.

فغاضِبَهُمْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَكَمَنَ لَهُ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ فَضْرِبَهُ، وَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ، فَظَنَّتِ الْخَوَارِجُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ، فَكَانُوا إِذَا تَوَاقَفُوا نَادَوْهُمْ: مَا فَعَلَ الْهَرَارُ؟ فَيَقُولُونَ: مَا بِهِ مِنْ بَأْسٍ، حَتَّى أَبْلَّ مِنْ عِلَّتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَصَاحَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ. أَتَرَوْنَ بِي بَأْسًا! فَصَاحُوا بِهِ: قَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّكَ لَحِقْتَ بِأَمِّكَ الْهَآوِيَّةَ، فِي النَّارِ الْحَامِيَةِ.

قال أبو العباس: نُقَسِّرُ أَشْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّرْحِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَلَوْلَاكَ»، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «أَلَمْ تَرَوْا جَيًّا» وَمِنْهُ قَوْلُهُ: «يَهْرُكُمُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». أَمَّا قَوْلُهُ: «لَوْلَاكَ» فَإِنْ سَيَّبُوهُ يَزْعُمُ أَنَّ «لَوْلَا» تَخْفُضُ الْمُضْمَرَ وَيَرْتَفِعُ بَعْدَهَا الظَّاهِرُ بِالْإِبْتِدَاءِ، فَيَقَالُ: إِذَا قُلْتَ: لَوْلَاكَ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْكَافَ مَخْفُوضَةٌ دُونَ أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً، وَضَمِيرُ النَّصْبِ كَضَمِيرِ الْخَفْضِ؟ فَتَقُولُ: إِنَّكَ تَقُولُ لِنَفْسِكَ: لَوْلَايَ، وَلَوْ كَانَتْ مَنْصُوبَةً لَكَانَتِ النَّوْنُ قَبْلَ الْيَاءِ، كَقَوْلِكَ: رَمَانِي وَأَعْطَانِي. قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَّتْ كَمَا هَوَى
بِأَجْرَامِهِ مِنْ قَلَّةِ النَّيْقِ مِنْهُوَى^(١)

النَّيْقُ: أَعْلَى الْجَبَلِ، وَجَرَّمَ الْإِنْسَانُ خَلْقَهُ.

فَيَقَالُ لَهُ: الضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ ظَاهِرِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُخْتَلَفًا؟ وَإِنْ كَانَ هَذَا جَائِزًا فَلَمْ لَا يَكُونُ فِي الْفِعْلِ وَمَا أَشْبَهَهُ، نَحْوَ «إِنَّ» وَمَا كَانَ مَعَهَا فِي الْبَابِ؟ وَزَعَمَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ أَنَّ الضَّمِيرَ مَرْفُوعٌ، وَلَكِنْ وَافَقَ ضَمِيرَ الْخَفْضِ، كَمَا يَسْتَوِي الْخَفْضُ وَالنَّصْبُ، فَيَقَالُ: فَهَلْ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؟

قال أبو العباس: وَالَّذِي أَقُولُهُ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ لَا يَصْلَحُ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ: «لَوْلَا أَنْتَ»، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ»^(٢). وَمَنْ خَالَفَنَا^(٣) فَهُوَ لَا بَدَّ^(٤) يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي قُلْنَاهُ أَجُودٌ. وَيَدَّعِي الْوَجْهَ الْآخَرَ فَيَجِيزُهُ عَلَى بَعْدِهِ.

وَأَمَّا «جَيٌّ»، فَالْأَجُودُ فِيهَا أَنْ تَقُولَ:

«أَلَمْ تَرَوْا جَيًّا عَلَى الْمُضْمَارِ»

فَلَا تُنَوِّنُ، لِأَنَّهَا مَدِينَةٌ، وَالْأَسْمُ أَعْجَمِيٌّ، وَالْمَوْثُ إِذَا سُمِيَ بِاسْمٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ يَنْصَرَفُ إِذَا كَانَ مَوْثَنًا، وَإِنْ كَانَ أَوْسَطَهُ سَاكِنًا. نَحْوُ جُورٍ وَحِمَصٍ وَمَاهٍ^(٤). وَمَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ اسْمًا لِمَذْكَرٍ لَانْصَرَفَ، فَإِنْ صَرَفْتَهُ

(١) منهوى: ساقط

(٢) سورة سبأ ٣١.

(٤) ساقطة من ر.

(١-١) ساقط من ر

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلته اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا ترى أنك تصرف نوحاً ولوطاً، وهما أعجميان؟ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك، لأنك تصرف «قَدَمًا» لو سَمِيتَ بها^(١). رجلا فالأعجمي بمنزلة المؤنث، لأن امتناعها واحداً.

وأما قوله: «يَهْرُكُم» فإن كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعدياً، فإن المضارع منه على «يَفْعَلُ» نحو شَدَّه يَشُدُّه، وزَرَه يَزِرُّه، ورَدَّه يَرُدُّه، وحَلَّه يحلُّه. وجاء منه حرفان على «يَفْعَلُ» و «يَفْعُلُ»، فيهما جيد: هَرَه يَهْرُه، إذا كرهه، ويَهْرُه أَجْوَدُ، وعَلَّه بِالْحَنَاءِ يعلُّه، وَيَعْلُهُ أَجْوَدُ. ومن قال: حَبَبْتُه قال: يَحِبُّه لا غَيْرَ. وقرأ أبو رَجَاءٍ الْعَطَارْدِيُّ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢). وذلك أن بنى تميم تدغم في موضع الجزم، وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين.

[ولاية قطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم، فأرادوا تولية عبدة بن هلال، فقال: أدلكم على من هو خير مني! من يطاعن في قبل، ويحمي في دبر، عليكم قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوه. فوقف بهم فقالوا: يا أمير المؤمنين. امض بنا إلى فارس. فقال: إن بفارس عمر بن عبدة الله بن معمر. ولكن نصير إلى الأهواز. فإن خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها. فأتوا الأهواز ثم ترفعوا عنها إلى إندج^(٣). وكان المصعب^(٤) قد عزم على الخروج إلى باجميرا^(٥) فقال لأصحابه: إن قطرياً قد أطل علينا، وإن خرجنا عن البصرة دخلها، فبعث إلى المهلب فقال: اكفنا هذا العدو، فخرج إليهم المهلب، فلما أحس به قطري، يَمَّ^(٦) كرمان، فأقام المهلب بالأهواز، ثم كر قطري عليه وقد استعد. فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجن، فحاربهم المهلب، فنفاهم إلى رام هرمز.

وكان الحارث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مُرَاغِمًا لعتاب بن ورقاء، يقال إنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي، وكان الحارث بن عميرة هو الذي تولى قتله وحاص إليه أصحابه، ففي ذلك يقول أعشى همدان:

(١) «ه» (٢) سورة آل عمران ٣١ وهي قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام.

(٣) إندج - الملد بن حورسان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».

(٥) باجميرا - بلد دون كرب. (٦) ر: «تبسم».

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَكْمَلَتْ أَسْبَابُهَا لابن الليوث الغرُّ من قَحْطَانِ
للفارس الحامى الحقيقة مُعْلِماً زاد الرفاق إلى قُرَى نَجْرَانِ^(١)
الحارث بن عَمِيرَةَ اللَّيْثِ الَّذِي يَحْمِي الْعِرَاقَ إِلَى قُرَى كَرْمَانَ
وَدَّ الْأَزَارِقُ لَوْ يُصَابُ بِطَعْنَةٍ وَيَمُوتُ مِنْ فُرْسَانِهِمْ مِائَتَانِ

وتأويله: أن الرفقة إذا صحبها أغناها عن التزود، كما قال جرير- وأراد ابن له سقراً، وفي ذلك السقَر يحيى بن أبي حفصة، فقال لأبيه: زودنى فقال جرير:

أَزَادَا سَوَى يَحْيَى تَرِيدُ وَصَاحِبَا أَلَا إِنْ يَحْيَى نَعِمَ زَادَ الْمَسَافِرُ
فَمَا تُنْكِرُ الْكُومَاءُ ضَرْبَةَ سَيْفِهِ إِذَا أَرْمَلُوا أَوْ خَفَّ مَا فِي الْغَرَائِرِ^(٢)

وقوله: «ويُؤْتُ مِنْ فُرْسَانِهِمْ» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على العطف، ويدخل فى التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفي مصحف ابن مسعود: «وَدُّوا لَوْ تَذْهَنُ فَيَذْهَبُوا» والقراءة «فَيَذْهَبُونَ»^(٣) على العطف. وفي الكلام: ودَّ لو تأتته فتحدثه، وإن شئت نصبت الثانى.

قال أبو العباس: وخرج مصعب بن الزبير إلى باجميرا، ثم أتى الخوارج خبراً مقتله بمسكن، ولم يأت المهلب وأصحابه، فتواقفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج: ما تقولون فى المصعب؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: ضال مضل، فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب، وأن أهل الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون فى مصعب؟ قالوا: لانخيركم، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: إمام هدى، قالوا: يا أعداء الله! بالأمس ضال مضل، واليوم إمام هدى! يا عبيد الدنيا، عليكم لعنة الله!

وولى خالد بن عبد الله بن أسيد، فقدم فدخل البصرة، فأراد عزل المهلب، فأشير عليه بالألا يفعل، وقيل له: إنما آمن أهل هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

(١) زيادات ر: ويروى

زَادَ الرَّفَاقَ وَفَارَسَ الْفُرْسَانَ

(٣) سورة القلم ٩.

(٢) أرمَلُوا: نفد زادهم.

وعُمَر بن عُبيد الله بفارس، فقد تَنَحَّى عمرُ، وإن نَحَيْتَ المهلبَ لم تأمنَ على البصرة الأزارقة^(١). فأبى إلا عزله، فقدم المهلبُ البصرة، وخرج خالدٌ إلى الأهواز، فأشخصه، فلما صار بِكُرْبِجَ دينارٍ لقيه قَطْرِيٌّ فَمَنَعَهُ حَطًّا أَثْقَالَهِ، وحاربه ثلاثين يوماً. ثم أقام قَطْرِيٌّ بإزائه، وخَنَدَقَ على نفسه فقال المهلبُ: إنَّ قَطْرِيًّا ليس بأحقَّ بالخندق منك. فَعَبَّرَ دُجَيْلًا إلى شِقِّ نَهْرٍ تِيرَى، واتبعه قَطْرِيٌّ، فصار إلى مدينة نَهْرٍ تِيرَى فبنى سورَهَا وخندقَ عليها، فقال المهلبُ لخالد: خندقٌ على نفسك، فإنى لا آمنُ عليك البيات، فقال: يا أبا سعيد، الأمرُ أعجلُ من ذلك، فقال المهلبُ لبعض ولده: إني أرى أمراً ضائعاً، ثم قال لزياد بن عمرو: خندق علينا، فخندق المهلبُ وأمرَ بِسُفْنِهِ ففُرِّغَتْ، وأبى خالدٌ أن يُقَرِّغَ سُفْنَهُ، فقال المهلبُ لفيروز حُصَيْنٍ: صرْ معنا، فقال: يا أبا سعيد، الحزمُ ما تقول، غيرَ أنى أكرهُ أن أفارقَ أصحابى. قال: فكنْ بِقُرْبِنَا، قال: أما هذه فنعم.

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالداً بجيش كثيف، أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ففعل، فقدمَ عليه عبدُ الرحمن، فأقام قَطْرِيٌّ يَغَادِيهِم القتالَ ويَراوِهُم أربعين يوماً، فقال المهلبُ لمَوْلَى لَأَبَى عِيْنَةَ: انتَبِذْ إلى ذلك النّاووسِ^(٢) فَبِتْ عليه فى كل ليلة، فمتى أَحْسَسَتْ خَبْرًا من الخوارج أو حركةً أو صَهِيلَ خَيْلٍ فاعجَلْ إلينا. فجاء ليلةٌ فقال: قد تحرَّك القوم. فجلس المهلبُ بباب الخندق، وأعدَّ قَطْرِيٌّ سُفْنًا فيها حطبٌ فأشعلها ناراً، وأرسلها على سُفْنِ خالد، وخرج فى أدبارها حتى خالطَهُمْ. فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلا قتلَه، ولا بدابةً إلا عَقَرَهَا، ولا بفسطاطٍ إلا هَتَكَهُ. فأمر المهلبُ يزيدَ ابنَه^(٣) فخرج فى مائه فارس، فقاتلَ وأبلى يومئذ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأبلى بلاءً حسناً، وخرج فيروزُ حُصَيْنٍ فى مَوالِيه، فلم يَزَلْ يرميهم بالنشاب هو ومن معه، فأثرَ أثراً جميلاً، فصُرِعَ يزيد بن المهلب يومئذ، وصُرِعَ عبدُ الرحمن، فحامى عنهما أصحابُهما حتى ركبهُ، وسقطَ فيروزُ حُصَيْنٍ فى

(١) ساقطة من ر.

(٢) النّاووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطه من ر.

الخنديق، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهبَ له فيروزُ حصينَ عشرة آلاف درهم، وأصبحَ عسكرُ خالدٍ كأنه حرَّةٌ سوداء، فجعلَ لا يرى إلا قتيلاً أو صريعاً، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كدنا نقتضحُ، فقال: خندق على نفسك، فلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكفني أمرَ الخندق، فجمعَ له الأحماس^(١)، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاحَ بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المزوني لكان الله قد دمرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تسمي المهلبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعشى همدانَ لابن الأشعث في كلمة طويلة:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذكرنا في قصر الممدود أن، من مدَّ المقصور لا يجوز، ما يغني عن إعادته.
يَوْمَ أَهْوَاكَ لَا تَنْسَهُ لَيْسَ الثَّنَا وَالذِّكْرُ بِالدَّائِرِ^(٢)

ونذكر فيروز حصين لما مرَّ من ذكره:

وكان فيروزُ حصينَ رجلاً جيِّدَ البيت في العجم، كريمَ المحتد، مشهورَ الآباء، فلما أسلم والي حصيناً، وهو حصين بن عبد الله العنبري، من بني العنبر ابن تميم بن مُرٍّ، ثم من وَلَدِ طَريف بن تميم، وكان فيروزُ حصينَ شجاعاً جواداً، نبيلَ الصورة، جهيرَ الصوت، وتروى الرواة أن رجلاً من العرب كانت أمه فتاة، فقاوَلَ بني عمِّ له، فسبوه بالعجمية، ومرَّ فيروزُ حصين، فقال: هذا خالي، فمَن منكم له خالٌ مثله؟ وظنَّ الفتى^(٣) أن فيروزَ لم يسمعها، وسمَّعها فيروز، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشتري له منزلاً وجاريةً، ووهبَ له عشرة آلاف درهم.

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج بن يوسف لما وقف ابن الأشعث برُستَقَابَاذَ نادى منادى الحجاج: مَنْ أَتَى بِرَأْسِ فيروزَ فله عشرة آلاف درهم. ففَصَلَ فيروزُ من الصفِّ، فصاحَ بالناس: مَنْ عرَفَنِي فَقَدْ اكْتَفَى، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا فيروزُ

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المتشددون في القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد. (٣) ساقطة من ر.

حُصَيْن، وقد عرفتُم مالى ووفائى، مَنِ أتى برأس الحجاجِ فله مائة ألف، فقال الحجاجُ: فوالله^(١) لقد تركنى أكثرُ التَّلَفِ وإِنِّى لَبِينٌ خاصتى. فأتى به الحجاج فقال له: أأنت الجاعلُ فى رأسِ أميرِك مائة ألف درهم^(٢)؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمهدنكَ^(٣). ثم لأَحْمِلنَّكَ، أينَ المالُ؟ قال: عندى، فهل إلى الحياة من سبيلٍ؟ قال: لا، قال: فأخرجنى إلى الناسِ حتى أجمع لك المالَ فلعلَّ قلبك يرقَّ على! ففعل الحجاجُ، فخرج فيروزُ فأحلَّ الناسَ من ودائعِهِ، وأعتقَ رقيقَهُ، وتصدَّقَ بماله، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال: شأنك الآنَ فاصنع ما شئتَ، فشدَّ فى القَصَبِ الفارسىَّ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ، ثم نُضِجَ بالخلِّ والمِلحِ، فما تأوَّه حتى مات.

قال أبو العباس: ومضى قطرىُّ إلى كَرْمانَ، فانصرف خالدٌ إلى البصرة، فأقام قطرى بِكَرْمانَ أشهراً، ثم عمَدَ لفارسٍ، وخرج خالدٌ إلى الأهواز، وندَّب للناسِ رجلاً، فجعلوا يطلبون المهلبَ، فقال خالد: ذهب المهلبُ بحظ هذا المصر، إنى قد وليتُ أخى قتال الأزارقة، فولَّى أخاه عبدَ العزيز، واستخلف المهلبَ على الأهواز فى ثلاثمائة، ومضى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفاً، والخوارجُ بدَرابَ جَرْدَ، فجعل عبدُ العزيز يقولُ فى طريقه: يزعمُ أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلبِ، فسيعلمون!

قال صَعْبُ بن ريد: فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهواز جاءنى كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال: أجب الأمير، فجئتُ إلى المهلب وهو فى سطحٍ وعليه ثياب هَرَوِيَّةٌ، فقال: يا صَعْبُ، أنا ضائع، كأبى أنظرُ إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافينى الأزارقة ولا جندَ معى، فابعث رجلاً من قبلك يأتينى بخبرهم سابقاً به إلى، فوجهتُ رجلاً يقال له عمران بن فلان، فقلتُ: اصحب عسكر عبد العزيز واكتب إلى بخبر يوم يوم، فجعلتُ أوردُهُ على المهلب.

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقَفَ وقَفَةً، فقال له الناسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغى أن تنزل^(٤) - أيها الأمير - حتى نطمئنَّ ثم نأخذُ أهبتنا، فقال: كلا، الأمر قريبٌ،

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لا مهديك. من مهدت الفراش مهدياً. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريقاً كالفرش المهدود. قاله المصنفى.

(٤) ر: «ترك».

فَنَزَلَ النَّاسُ عَلَى غَيْرِ أَمْرِهِ، فَلَمْ يُسْتَتَمِ النَّزُولُ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ الطَّلَائِعِ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارَسٍ، كَأَنَّهُمْ خِيَطٌ مَمْدُودٌ. فَنَاهَضَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ، فَوَقَفُوهُ سَاعَةً، ثُمَّ انْهَزَمُوا عَنْهُ مَكِيدَةً، فَاتَّبَعَهُمْ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: لَا تَتَّبِعْهُمْ فَإِنَّا عَلَى غَيْرِ تَعْبِيَةٍ، فَأَبَى، فَلَمْ يَزَلْ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى اقْتَحَمُوا عَقَبَةَ، فَاقْتَحَمَهَا وَرَاءَهُمْ، وَالنَّاسُ يَنْهَوْنَهُ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ عَبْسَ بْنِ الشَّرِيمِيِّ، الْمَلَقَّبَ عَبْسَ الطَّعَانِ، وَعَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ مُقَاتِلَ بْنَ مَسْمَعٍ الْقَيْسِيِّ، وَعَلَى شُرْطَتِهِ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ نَزَارٍ، فَنَزَلُوا عَنْ الْعَقَبَةِ وَنَزَلَ خَلْفَهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ فِي بَطْنِ الْعَقَبَةِ كَمِينَ، فَلَمَّا صَارُوا وَرَاءَهَا خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَمِينَ. وَعَطَفَ سَعْدُ الطَّلَائِعِ. فَتَرَحَّلَ عَبْسُ بْنُ طَلْقٍ فَقُتِلَ، وَقُتِلَ مُقَاتِلُ بْنُ مَسْمَعٍ، وَقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ^(١) صَاحِبُ الشَّرْطَةِ، وَانْحَازَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَاتَّبَعَهُمُ الْخَوَارِجُ عَلَى فَرَسَيْنِ يَقْتُلُونَهُمْ كَيْفَ شَاءُوا. وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ بِأَمِّ حَفْصِ ابْنَةِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ امْرَأَتَهُ، فَسَبَّوْا النِّسَاءَ يَوْمَئِذٍ، وَأَخَذُوا أُسْرَى لَا تُحْصَى، فَقَذَفُوهُمْ فِي غَارٍ بَعْدَ أَنْ شَدُّوهُمْ وَثَاقًا، ثُمَّ سَدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَهُ حَتَّى مَاتُوا فِيهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ حَضَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ: رَأَيْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَإِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا لِيَضْرِبُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَمَا تَحِيكَ فِي جُنَّتِهِ^(٢).

- يَقَالُ مَا أَحَاكَ فِيهِ السِّيفُ، وَمَا يُحِيكَ فِيهِ، وَمَا حَاكَ الْأَمْرُ فِي صَدْرِي، وَمَا حَكَ فِي صَدْرِي، وَمَا احْتَكَى فِي صَدْرِي. وَيَقَالُ: حَاكَ الرَّجُلُ فِي مِشْيَتِهِ يَحِيكَ، إِذَا تَبَخَّرَ.

وَنُودِيَ عَلَى السَّبْيِ يَوْمَئِذٍ، فَعُودِيَ بِأَمِّ حَفْصِ، فَبَلَغَ بِهَا رَجُلٌ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ مَجُوسَ كَانُوا أَسْلَمُوا وَلَحَقُوا بِالْخَوَارِجِ، فَفَرَضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَمْسِمِائَةَ، فَكَادَ يَأْخُذُهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قُطْرِيِّ وَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا، إِنَّ هَذِهِ لَفِتْنَةٌ^(٣)، فَوَثَّبَ إِلَيْهَا الْحَدِيدَ الْعَبْدِي فَقَتَلَهَا، فَأَتَى بِهِ قُطْرِي فَقَالَ لَهُ^(٤): يَا أَبَا الْحَدِيدِ، مَهِيمٌ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. رَأَيْتُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَزَايَدُوا فِي هَذِهِ الْمَشْرُكَةِ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ. فَقَالَ قُطْرِي: قَدْ أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ! فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ:

(١) ر «الضبيعي». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كفاناً فتنة عَظُمَتْ وَجَلَّتْ بحمد الله سيفُ أبي الحديدِ
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا على فَرَطِ الهَوَى: هل من مَزِيدِ
فزادَ أبو الحديدِ بَنَصْلَ سيفِ رقيقِ الحدِّ فَعَلَ فتى رَشِيحاً

قوله: «أهابَ» يريدُ إعلانَ، يقال: أهابتُ به، إذا دَعَوْتُهُ، مِثْلُ صَوْتِ، قا
الشاعرُ:

أهابَ بأحزانِ الفؤادِ مُهَيِّبُ وَمَاتَتْ نفوسُ للهوى وقلوبُ
وقوله: «مَهَيِّمٌ» حرفُ استفهامٍ^(١)، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على
ذلك محذوفُ الخبرِ، وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عَوْذٍ
ردَّعَ خُلُوقٍ^(٢) فقال: مَهَيِّمٌ! فقال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أولم ولو بشاةٍ
وكان تزوُّجٌ على نِوَاةٍ، وأصحابُ الحديثِ يروونه «على نِوَاةٍ من ذهبٍ قيمتُ
خسمةٍ دراهمٍ». وهذا خطأٌ وغلطٌ. العربُ تقول «نِوَاةٌ» فتعني بها خمسةَ دراهمٍ
كما تقول: النَّشُّ لعشرين درهماً. والأوقيةُ لأربعين درهماً، فإنما هو اسمُ له
المعني.

وكان العلاءُ بنُ مطرَفٍ السعديُّ ابنَ عَمِّ عمرو القنَّا، وكان يحب أن يلا
في تلك الحروبِ مبارزةً، فلَحِقَهُ عمروُ القنَّا وهو منهزمٌ، فضحك عمروُ و
تمثلاً:

تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي لَقِيْطُ أَعَامَ لَكَ ابْنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعْدِ

ثم صاح به: انجُ أبا المصدِّي! وكان عمروُ القنَّا يُكْنَى أيضاً أبا المصدِّي.
وهذا البيتُ الذي تمثَّلَ به عمروُ ليزيدَ بن عمرو بن الصَّعْقِ الكلابيِّ، يقول
يعني لَقِيْطُ بن زُرَّارَةَ، وكان يَطْلُبُهُ، وقوله: «أَعَامَ لَكَ» يريدُ يا عامِرُ، فَرَحَّمْ، و
يريدُ الحَيَّ تعجباً، أي لكم أعجَبُ من تَمَنِّيهِ للقائِي!

فَدَعَا بنِي عامر بن صَعْصَعَةَ، وهم بنو صَعْصَعَةَ بن معاوية بن بكر
هَوَازِنَ، ويقال إن عامر بن صَعْصَعَةَ هو ابن سعد بن زيد مناةَ بن تميم، لا

(١) قال المِرْصَفِيُّ يريدُ كلمة «استفهام» هي مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخُلُوقُ: الطَّبْ.

معاوية، وإنهم ناقلة^(١) في قيس. ولذلك امتنعت^(٢) بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة، ولذلك أُنذِرهم كَرِبُ بن صفوان.

وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب، وشيئ به قول الصلتان العبدى:

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جَرِيرٌ ولكن في كليب تواضع

على معنى قوله: فلله دره شاعراً!

وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل. والأخرى بنت عمه، وهى فلانة بنت عقيل. فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ، وحمل الضبية أولاً، ففي ذلك يقول:

ألست كريباً إذ أقولُ لفتيتي قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضاراً لأصبحت تجر على المتنين أم جميل^(٣)

قال الصَّعْبُ بن يزيد: بعثنى المهلبُ لآتيه بالخبر، فضربت^(٤) إلى قنطرة أربك^(٥) على فرش اشتريته بثلاثة آلاف درهم. فلم أحس خبراً، فسرتُ مهجراً إلى أن أمسيْتُ، فلما أظلمنا سمعتُ كلامَ رجلٍ عرفته من الجهاضم^(٦) فقلت: ما وراءك؟ فقال: الشر، فقلت: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أمامك، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواء. فقلت: لواء^(٧) من هذا؟ فقالوا: هذا لواء عبد العزيز؛ فتقدمتُ إليه، فسلمتُ وقلت: أصلحَ الله الأمير! لا يكبرنَّ عليك ما كان، فإنك كنتَ فى شرٍّ جند وأخبثه. قال لى: أو كنتَ معنا؟ قلت: لا، ولكن كَأَنى شاهدُ أمرك، قال: كأنك كنتَ معنا، قلت: أرسلنى المهلبُ لآتيه بخبرك. ثم تركته وأقبلتُ إلى المهلب، فقال لى: ما وراءك؟ قلت: ما يسرك. قد

(١) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(٢) ر: «تمنعت».

(٣) ر: «تخر».

(٤) ر: «قصرت».

(٥) أربك إحدى قرى خوزستان.

(٦) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك - (٧) ساقطة من ر.

هَزَمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ^(١). وَقَلَ جِيشَهُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَمَا يَسْرُنِي مِنْ هَزِيمَةِ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ وَقَلَ جِيشُ الْمُسْلِمِينَ! قُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ، فَوَجَّهَ رَجُلًا إِلَى خَالِدٍ بِخُبْرَةٍ. قَالَ الرَّجُلُ: فَلَمَّا أَخْبَرْتُ خَالِدًا قَالَ: كَذَبْتَ وَلَوْمْتُ. وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ فَكَذَّبَنِي، وَقَالَ لِي خَالِدٌ: وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَنْقَكَ. قُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَاقْتُلْنِي. وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَعْطِنِي مُطْرَفَ هَذَا الْمُتَكَلِّفِ. فَقَالَ خَالِدٌ: لَبِئْسَ مَا أَخْطَرْتَ بِهِ دَمَكَ! فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى دَخَلَ بَعْضُ الْفُلِّ.

وَقَدِمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ سَوْقَ الْأَهْوَارِ، فَأَكْرَمَهُ الْمَهْلَبُ وَكَسَاهُ، وَقَدِمَ مَعَهُ عَلَى خَالِدٍ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ حَبِيبًا، وَقَالَ لَهُ: تَحَسَّسْ عَنِ الْأَخْبَارِ، فَإِنْ أَحْسَسْتَ بِخَبْرِ الْأَزَارِقَةِ قَرِيبًا مِنْكَ فَانصَرِفْ إِلَى الْبَصْرَةِ. فَلَمْ يَزَلْ حَبِيبٌ مُقِيمًا وَالْأَزَارِقَةُ تَدْنُو مِنْهُ، حَتَّى بَلَغُوا قَنْطَرَةَ أَرْبُكَ، فَانصَرَفَ إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى نَهْرِ تِيرَى، فَلَمَّا دَخَلَهَا أَعْلَمَ خَالِدٌ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَاسْتَتَرَ حَبِيبٌ فِي بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَتَزَوَّجَ هُنَاكَ فِي اسْتِتَارِهِ الْهَلَالِيَّةَ أُمَّ عَبَّادِ بْنِ حَبِيبٍ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ لَخَالِدٍ يُفِيلُ رَأْيَهُ، أَى يُخْطِئُهُ:

بَعَثْتَ غَلَامًا مِنْ قَرِيشٍ فَرَوْقَةً^(٢) وَتَرَكْتُ ذَا الرِّأْيِ الْأَصِيلَ الْمَهْلِيَا
أَبَى الدِّمِّ وَاخْتَارَ الْوَفَاءَ وَأَحْكَمْتَ قُوَاهُ وَقَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَبَا

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ الْمَخْزُومِيُّ:

فَرَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَمَّا رَأَى الْأَبْطَالَ بِالسَّفْحِ وَنَارَلُوا قَطْرِيَا

وَيُرْوَى:

فَرَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ إِذْ رَأَى عَيْسَى وَابْنَ دَاوُدَ نَازِلَا قَطْرِيَا
عَاهَدَ اللَّهُ إِنْ نَجَا مَلْمَنَانِيَا لِيَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيَا
يَسْكُنُ الْخَلَّ وَالصِّفَّاحَ فَمِرَانَ وَسَلْعَا وَتَارَةً نَجْدِيَا
حَيْثُ لَا يَشْهَدُ الْقِتَالُ وَلَا يَسْمَعُ يَوْمًا لِكَرِّ خَيْلِ دَوِيَا

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قوله: «إِذْ رَأَىٰ عِيسَىٰ»، الأصل «رَأَىٰ» ولكنه قلبَ فقدمَ الألفَ وأخَّرَ الهمزة، كما قال كثير:

وكلُّ خليلٍ رَأَىٰ نَىٰ فهو قائلٌ من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غدٍ
والقلب كثير في كلام العرب، وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن شاء الله.
وقوله: «مَلَمَنَايَا» يريد من المنيا، ولكنه حَذَفَ النونَ لقرب مخرجها من اللام، فكانتَا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون في بنى الحارث وبنى العنبر وما أشبه ذلك: «بَلْحَارِث» و«بَلْعَنِير» و«بَلْهُجِيم» كما يقولون: «عَلَمَاءُ بَنُو فُلَانٍ» فيحذفون إحدى اللامين.

وقوله: «لِيَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِيًّا» العرب تنسب إلى الحرم فيقولون «حُرْمِيٌّ» و«حُرْمِيٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيت، وحُرْمَةُ البيت، وقال النابغة الذبياني:
من قول حرمية قالت وقد رحلوا هل في مخفيكم من يشتري أدمًا (١)
والحل: هاهنا موضع، وأصله الطريق في الرمل.

وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز، وقال للمهلب: ما ترى عبد الملك صانعاً بي؟ قال: يعزلك، قال: أترأه قاطعاً رحمي؟ قال: نعم، قد (٢) أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين. وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس! قال أبو العباس: فكتب عبد الملك إلى خالد (٣):

أما بعد، فإنني كنت حذت لك حداً في أمر المهلب، فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك، فوليت المهلب الجباية، ووليت أخاك حرب الأزارقة، فقبح الله هذا رأياً! أتبعث غلاماً غراً لم يجرب الحروب للحرب (٤). وتترك سيداً شجاعاً مدبراً حازماً قد مارس الحروب تشغله بالجباية!

(١) المخف: الخفيف المتاع. (٢) ساقطة من ر.

(٣) في س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر في الأصل. ر.

(٤) ساقطة من ر.

أَمَا لَوْ كَافَأْتُكَ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِكَ لَأَتَاكَ مِنْ نَكِيرِي مَا لَا بَقِيَّةَ لَكَ مَعَهُ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ رَحِمَكَ فَلَفَّتَنِي عَنْكَ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَقُوبَتَكَ عَزْلَكَ.

وَوَلَّى بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَأَنْ خَالِدًا لَا مُجْتَمَعَ لَهُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ أُمَيَّةَ. فَانْظُرِ الْمَهْلَبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ، فَوَلَّهِ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ بَطَلٍ مُجَرَّبٍ، فَأَمِدَّهُ^(١). مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِشْمَانِيَّةَ آلَافٍ رَجُلٍ.

فَشَقَّ عَلَيْهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ^(٢) فِي الْمَهْلَبِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ^(٣): أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)، إِنَّ لِلْمَهْلَبِ حِفَاطًا وَبِلَاءً وَوَفَاءً.

وَخَرَجَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ يَرِيدَ الْبَصْرَةَ، فَكَتَبَ مُوسَى وَعِزْرَةُ إِلَى الْمَهْلَبِ أَنْ يَتَلَقَّاهُ لِقَاءً لَا يَعْرِفُهُ بِهِ، فَتَلَقَّاهُ الْمَهْلَبُ عَلَى بَغْلٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي غِمَارِ النَّاسِ، فَلَمَّا جَلَسَ بِشْرُ مَجْلِسَهُ قَالَ: مَا فَعَلَ أَمِيرُكُمْ الْمَهْلَبُ؟ قَالُوا: قَدْ تَلَقَّاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَهُوَ شَاكٌ.

فَهَمَّ بِشْرُ أَنْ يُوَكِّيَ حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ: إِنَّمَا وَلَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَنَرَى رَأْيَكَ، فَقَالَ لَهُ عِزْرَةُ بْنُ رَبِيعٍ: اكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلِمْهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ عِلَّةَ الْمَهْلَبِ، وَأَنَّ بِالْبَصْرَةِ مَنْ يُغْنِي غَنَاءَهُ، وَوَجَّهَ بِالْكِتَابِ مَعَ وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إِلَيْهِ، رَئِيسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ الْمُجَاشَعِيُّ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ خَلَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمٍ فَقَالَ: إِنَّ لَكَ دِينًا وَرَأْيًا وَحَزْمًا، فَمَنْ لِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْأَزَارِقَةِ؟ قَالَ: الْمَهْلَبُ. قَالَ: إِنَّهُ عَلِيلٌ. قَالَ: لَيْسَتْ عِلَّتُهُ بِمَانِعَةٍ^(٥). فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَرَادَ بِشْرُ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ خَالِدٌ.

فَكَتَبَ^(٥) إِلَى بِشْرٍ^(٥) يَعَزِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَكِّيَ الْمَهْلَبَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ. قَالَ الْمَهْلَبُ: أَنَا عَلِيلٌ وَلَا يُمَكِّنُنِي الْاِخْتِلَافُ، فَأَمَرَ بِشْرُ بِحَمْلِ الدَّوَاوِينَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَسْتَخْبِئُ، فَاعْتَرَضَ بِشْرُ عَلَيْهِ، فَاقْتَطَعَ أَكْثَرَ نُجْبَتِهِ، ثُمَّ عَزَمَ^(٦) أَلَّا يُقِيمَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ

(١) أَمِدَّهُ: أَعْنَهُ. (٢) سَاقِطَةٌ مِنْ ر.

(٣-٣) سَاقِطٌ مِنْ ر. (٤) ر: «بِمَانِعَتِهِ».

(٥-٥) سَاقِطٌ مِنْ ر. (٦) سَاقِطٌ مِنْ ر.

أَخَذَتِ الْخَوَارِجُ الْأَهْوَاذَ وَخَلَّفُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَصَارُوا بِالْفُرَاتِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُهَلَّبُ حَتَّى صَارَ إِلَى شَهَارٍ طَاقٍ. فَأَتَاهُ شَيْخٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنْ سِنِيَ مَا تَرَى فَهَبْنِي لِعِيَالِي قَالَ: عَلَى أَنْ تَقُولَ لِلْأَمِيرِ إِذَا خَطَبَ فَحَثِّكُمُ عَلَى الْجِهَادِ، كَيْفَ تَحُثُّنَا عَلَى الْجِهَادِ وَأَنْتَ تَحْبِسُ أَشْرَافَنَا وَأَهْلَ النَّجْدَةِ مِنَّا؟ فَفَعَلَ الشَّيْخُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: وَمَا^(١) أَنْتَ وَذَلِكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، وَأَعْطَى الْمُهَلَّبُ رَجُلًا أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِبَشْرٍ فَيَقُولَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَعِنِ الْمُهَلَّبَ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: مَا أَنْتَ وَذَلِكَ؟ قَالَ: نَصِيحَةٌ حَضَرْتَنِي^(٢) لِلْأَمِيرِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا، فَأَمَدَّهُ بِالشَّرْطَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ.

وَكُتِبَ بِبَشْرٍ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ يَعْقِدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ عَلَى ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، مِنْ كُلِّ رُبْعٍ أَلْفَيْنِ، وَيُوجِّهَ بِهِ مَدَدًا إِلَى الْمُهَلَّبِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ الْأَزْدِيَّ فَعَقَّدَ لَهُ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ كُلِّ رُبْعٍ أَلْفَيْنِ، فَكَانَ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِبَشْرٍ بَنُ جَرِيرِ الْبَجَلِيِّ، وَعَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ، وَعَلَى رُبْعِ كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ، وَعَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدَ زَحْرَ بْنِ قَيْسِ الْمَذْحِجِيِّ، فَقَدِمُوا عَلَى بَشْرٍ، فَخَلَا بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ رَأْيِي فِيكَ وَثَقْتِي بِكَ، فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي، انْظُرْ هَذَا الْمَزُونِيَّ فَخَالَفَهُ فِي أَمْرِهِ، وَأَفْسَدَ عَلَيْهِ رَأْيَهُ، فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مَخْنَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: مَا أَعْجَبَ مَا طَمَعَ مِنِّي فِيهِ هَذَا الْغُلَامُ! يَا مَرْنَى أَنْ أَصْغَرَ شَيْخًا مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِي وَسَيِّدًا مِنْ سَادَاتِهِمْ! فَلَحِقَ بِالْمُهَلَّبِ.

* * *

فَلَمَّا أَحَسَّ الْأَزَارِقَةُ بِدُنُوهِ مِنْهُمْ انْكَشَفُوا عَنِ الْفُرَاتِ، فَاتَّبَعَهُمُ الْمُهَلَّبُ إِلَى سَوْقِ الْأَهْوَاذِ، فَنفَاهُمُ عَنْهَا، ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ^(٣). إِلَى رَامِ هَرْمَزٍ فَهَزَمَهُمْ مِنْهَا، فَدَخَلُوا فَارِسَ وَأَبْلَى يَزِيدُ ابْنَهُ فِي وَقَائِعِهِ هَذِهِ بَلَاءً شَدِيدًا^(٤)، تَقَدَّمَ فِيهِ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَلَمَّا صَارَ الْقَوْمُ بِفَارِسَ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ الْمُغِيرَةَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ صُبْحٍ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ! إِنَّهُ^(٥) لَيْسَ بِرَأْيٍ قَتَلَ هَذِهِ الْأَكْلُبَ، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ قَتَلْتَهُمْ لَتَقْعُدَنَّ فِي بَيْتِكَ، وَلَكِنْ طَاوَلْتَهُمْ وَكَلَّ بِهُمْ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنَ الْوِفَاءِ.

(٢) ساقطة من ر.

(٤) ر: «حسنًا».

(١) ر: «ما أنت».

(٣) ر: «نتبعهم».

(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلْبَثْ بِرَامَ هَرَمَزٍ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى أَتَاهُمُ ^(١) مَوْتُ بَشَرٍ، فَاضْطَرَبَ الْجَنْدُ عَلَى ابْنِ مَخْنَفٍ، فَوَجَّهَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ وَابْنِ زَحْرٍ وَاسْتَحْلَفَهُمَا أَلَّا يَبْرَحَا، فَحَلَفَا لَهُ وَلَهُمْ يَفِيًا، فَجَعَلَ الْجَنْدُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِسُوقِ الْأَهْوَازِ، وَأَرَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الْإِنْسِلَالَ مِنَ الْمَهْلَبِ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كَأَهْلِ الْكُوفَةِ، إِنَّمَا تَذُبُّونَ عَنْ مَصْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَحُرْمِكُمْ، فَأَقَامَ مِنْهُمْ قَوْمًا وَتَسَلَّلَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان، فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز، يحلف فيه بالله مجتهداً، لئن لم يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم إلا قتله، فجاء مولاه، فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله، فقال: إني لأرى وجوهاً ما القبول من شأنها. فقال له ابن زحر: أيها العبد، اقرأ ما في الكتاب وانصرف إلى صاحبك، فإنك لا تدري ما في أنفسنا، وجعلوا ^(٢) يستحثونه بقراءته. ثم قصدوا قصداً الكوفة، فنزلوا النخيلة، وكتبوا إلى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول فأبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في عدد قليل، فلم ينشؤا أن وكى الحجاج العراق، فدخل الكوفة قبل البصرة، وذلك في سنة خمس وسبعين، فخطبهم وتهددهم، وقد ذكرنا الخطبة متقدماً. ثم نزل فقال لوجوه أهلها: ما كانت الولاية تفعل بالعصاة؟ فقالوا: كانت تضرب وتحبس، فقال الحجاج: ولكن ليس لهم عندي إلا السيف. إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، ولو ساغت المعصية لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء. ولا عز دين.

ثم جلس لتوجيه الناس، فقال: قد أجلكم ثلاثاً، وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلت. ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذوا سيوفكم عصيًا، فجاءه عمير بن ضبابي البرجمي بابنه، فقال: أصلح الله الأمير! إن هذا أنفع لكم مني، وهو أشد بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جاشاً. وأنا شيخ كبير عليل،

(١) ر: «أناه».

(٢) ر: «يستحثونه في قراءته».

(٣) ساقطة من ر.

وَاسْتَشْهَدَ جُلَسَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ (٢) الْحَجَّاجُ: إِنَّ عُدْرَكَ لَوَاضِحٌ. وَإِنْ ضَعْفَكَ لَبَيِّنٌ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَجْتَرِي بِكَ النَّاسُ عَلَيَّ. وَبَعْدُ فَأَنْتَ ابْنُ ضَايٍ صَاحِبُ عَثْمَانَ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ. فَاحْتَمَلَ النَّاسُ. وَإِنْ أَحَدَهُمْ لَيَتَّبِعُ بَزَادِهِ وَسِلَاحِهِ. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الزَّيْبِرِ الْأَسَدِيُّ:

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ لَقَيْتَهُ	أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِباً مُتَشَعِّباً
تَخِيرُ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَايٍ	عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
هُمَا خَطُتَا خَسْفَ نَجَاؤِكَ مِنْهُمَا	رُكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا
فَمَا إِنْ أَرَى الْحَجَّاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ	يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرِكَ الطُّفْلَ أَشْيَبَا
فَأُضْحِي وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ	رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْهَى أَقْرَبَا

وَهَرَبَ سَوَّارُ بْنُ الْمَضَرِّبِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْحَجَّاجِ وَقَالَ:

أَقَاتِلِي الْحَجَّاجُ إِنْ لَمْ أَرُ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرُكُ عِنْدَ هِنْدٍ فَوَادِيَا
وَقَدْ مَرَّتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ.

وَخَرَجَ النَّاسُ عَنِ الْكُوفَةِ. وَأَتَى الْحَجَّاجُ الْبَصْرَةَ. فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ إِلْحَاحًا (٢). وَقَدْ كَانَ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ بِالْكُوفَةِ، فَتَحَمَّلَ النَّاسُ قَبْلَ قُدُومِهِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا أَعُورَ، وَكَانَ يَجْعَلُ عَلَى عَيْنِهِ الْعُورَاءَ صُوفَةً، فَكَانَ يُلقَبُ ذَا الْكُرْسُفَةِ. فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنَّ بِي فَتْقًا، وَقَدْ عَدَرَنِي بَشْرٌ، وَقَدْ رَدَدْتُ الْعَطَاءَ، فَقَالَ: إِنَّكَ عِنْدِي لَصَادِقٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ كَعْبُ الْأَشْقَرِيُّ أَوْ الْفَرَزْدَقُ:

لَقَدْ ضَرَبَ الْحَجَّاجُ بِالمَصْرِ ضَرْبَةً تُقَرِّقُ مِنْهَا بَطْنَ كُلِّ عَرِيفٍ

وَيُرَى عَنْ ابْنِ مَيْرَةَ قَالَ: إِنَّا لَنَتَغَدَّى مَعَهُ يَوْمًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِرَجُلٍ يَقُودُهُ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! إِنَّ هَذَا عَاصٍ، فَقَالَ: لَهُ الرَّجُلُ: أَنْشِدْكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَمِي، فَوَاللَّهِ مَا قَبِضْتُ دِيوانًا قَطُّ، وَلَا شَهِدْتُ عَسْكَرًا، وَإِنِّي لَحَائِكُ أَخَذْتُ مِنْ تَحْتِ الْحِفِّ (٣) فَقَالَ: اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَلَمَّا أَحْسَنَ بِالسَّيْفِ سَجَدَ،

(٢) ر: «حاء».

(١) ساقطة من ر.

(٣) الحف: المنسج.

فَلَحَقَهُ السَّيْفُ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَمْسَكْنَا عَنِ الْأَكْلِ^(١)، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا الْحَسْبَاجُ فَقَالَ مَالِي أَرَاكُمْ صَفَرْتُ أَيْدِيَكُمْ وَاصْفَرَّتْ وَجُوهُكُمْ وَحَدَّ نَظْرُكُمْ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ إِنَّ الْعَاصِيَ يَجْمَعُ خِلَالَ: يُخْلُ بِمَرْكَزِهِ، وَيَعْصِي أَمِيرَهُ، وَيَغْرُ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَجْلُهُمْ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْأَجْرَةَ لِمَا يَعْمَلُ، وَالْوَالِي مُخِيرٌ فِيهِ، إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا. ثُمَّ كَتَبَ الْحَسْبَاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ بَشَرًا رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَكْرَهَ نَفْعًا عَلَيْكَ، وَأَرَاكَ غَنَاءَهُ عَنْكَ، وَأَنَا أُرِيكَ حَاجَتِي إِلَيْكَ، فَأَرْبِي الْجَدَّ فِي قِتَالِ عَدُوِّكَ وَمِنْ خَفَتِهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِمَّنْ قَبْلَكَ فَاقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَاتِلٌ مَنْ قَبْلِي، وَمَنْ كَانَ عِنْدَ مَنْ وَكَلِي مِنْ هَرَبٍ عَنْكَ فَأَعْلَمْنِي مَكَانَهُ، فَإِنِّي أَرَى أَنْ آخُذَ الْوَكِيلَ بِالْوَكِيلِ، وَالسَّدَّ بِالسَّمِيِّ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ: لَيْسَ قَبْلِي إِلَّا مُطِيعٌ، وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا خَافُوا الْعُقُوبَةَ كَبُرَ الذَّنْبَ، وَإِذَا أَمِنُوا الْعُقُوبَةَ صَغُرَ الذَّنْبُ، وَإِذَا يَتَسَوَّاهُ مِنَ الْعَفْوِ أَكْفَرَهُمْ ذَلِكَ فَهَبْ لِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ عَصَاةً، فَإِنَّمَا هُمْ فَرِيقَانِ^(٢): أَبْطَالٌ، أَرْجُو أَنْ يُقَاتِلَ اللَّهُ بِهِمُ الْعَدُوَّ. وَنَادَمَ عَلَى ذَنْبِهِ.

فَلَمَّا رَأَى الْمَهْلَبُ كَثْرَةَ النَّاسِ عَلَيْهِ قَالَ: الْيَوْمَ قُوتِلَ هَذَا الْعَدُوُّ. وَلَمَّا رَ ذَلِكَ قَطَرِي قَالَ: انْهَضُوا بَنَاءَ نَرِيدُ السَّرْدَانَ^(٣) فَتَتَحَصَّنَ فِيهَا، فَقَالَ عُبَيْدَةُ هَلَالٌ: أَوْ نَأْتِي سَابُورَ، وَخَرَجَ الْمَهْلَبُ فِي آثَارِهِمْ، فَأَتَى أَرْجَانَ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَحَصَّنُوا بِالسَّرْدَانَ، وَلَيْسَتْ بِمَدِينَةٍ، وَلَكِنْ جِبَالٌ مُحَدَّقَةٌ مَنِيعَةٌ، فَلَمْ يُصِيبْ أَحَدًا، فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فَعَسَكَرَ بِكَازَرُونَ، وَاسْتَعَدُّوا لِقِتَالِهِ، وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَهَّ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ: خَنَدَقَ عَلَى نَفْسِكَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ: خَنَدَا سَيُوفُنَا. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَهْلَبُ: إِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْبَيَاتِ، فَقَالَ ابْنُهُ جَعْفَرٌ: ذَاكَ أَهْلُ عَلَيْنَا مِنْ ضَرْطَةِ جَمَلٍ، إِفْأَقْبِلِ الْمَهْلَبُ عَلَى ابْنِهِ الْمَغِيرَةِ، فَقَالَ: لَمْ يُصِيبُوا الرِّحْلَ وَلَمْ يَأْخُذُوا بِالْوَثِيقَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَادَوْهُ الْحَرْبَ، فَبَعَثَ إِلَى ابْنِ مَخْنَفٍ يَسْتَمِدُّهُ، فَأَمَدَّهُ بِجَمَاعَةٍ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ ابْنَهُ جَعْفَرًا، فَجَاءُوا وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَةٌ بِيَدِ جَدِّدٍ، فَقَاتَلُوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى عُرِفَ مَكَانُهُمْ، وَحَارَبَهُمُ الْمَهْلَبُ، وَأَبْلَى بَنُوهُ يَوْمَئِذٍ كَبُرَ الْكُوفِيِّينَ أَوْ أَشَدَّ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى رَئِيسٍ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ، وَهُوَ يَنْتَه

(٢) ر: «فريسان».

(١) ر: «الطعام».

(٣) السردان: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفي ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربعمائة، فقال لابنه المغيرة: ما يُعدُّ هؤلاء إلاَّ للبيات. وانكشف الخوارجُ والأمرُ للمهلب عليهم، وقد كثر فيهم القتل والجراح.

وقد كان الحجاجُ في كل يوم يتفقَدَ العصاةَ ويُوَجِّهُ الرجالَ، فكان يحبسهم نهاراً، ويفتَحُ الحبسَ ليلاً، فينسلُّ الناسُ إلى ناحية المهلب، وكان الحجاج لا يعلم، فإذا رأى إسراعهم تمثَّلَ:

إنَّ لها لسائقاً عَشَنَزَراً إذا ونينَ ونيةَ تغشَمَراً
العَشَنَزَرُ: الصُّلب، والغشمة^(١): رُكوب الرأس. والمتغشمرُ: الجادُّ على ما خيَّلت.

وكتب إلى المهلب من قبل الوقعة: أما بعد، فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتالَ العدو، وإنى وليتُك وأنا أرى مكانَ عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي. واخترتك وأنت من أهل عُمان، ثم رجلٌ من الأزد، فآلَقَهُم يومَ كذا في مكانٍ كذا، وإلاَّ أشرعتُ إليك صدرَ الرمح. فشاوَرَ بنيهِ فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تغلُظْ عليه في الجواب.

فكتب إليه المهلب: وردَّ على كتابك تزعمُ أني أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدو. ومن عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجزُ، وزعمتُ أنك وليتني وأنت ترى مكانَ عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي، ولو وليتَهُما لكانا مُستَحَقِّينَ لذلك في فضلَهُما وغنائهُما وبطشهُما، واخترتني وأنا رجلٌ من الأزد، ولعمري إنَّ شراً من الأزد لقبيلةً تنازعها ثلاثُ قبائل، لم تستقرَّ في واحدةٍ منهن. وزعمتُ أني إن لم ألقَهُم في يومٍ كذا، في مكانٍ كذا، أشرعتُ إلى صدرِ الرمح، فلو فعلتُ لقلبتُ إليك ظهرَ المَجَنِّ، والسلام.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلب لابنه المغيرة: إني أخافُ البياتَ على بني تميم فانهضُ إليهم فكن فيهم.

(١) ر. التغشمر.

فأتاهم المغيرة. فقال له الحريش بن هلال: يا أبا حاتم، أيخاف الأمير أ،
يؤتى من ناحيتنا؟ قل له فليبت آمناً، فإننا كأفوه ما قبلنا إن شاء الله.

فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة إلى أبيه، سرى صالح بن مخراق في
القوم الذين أعدهم إلى ناحية بنى تميم، ومعه عبيدة بن هلال، وهو يقول:
إنى لمُذْكَ للشُّرَاةِ نارها وممانعُ مَن أتاها دارها

وغاسِلُ بالطعنِ عنها عارها

فوجد بنى تميم أيقاظاً متحارسين، فخرج إليهم الحريش بن هلال وه
يقول:

لقد وجدتم وقرأ أنجاداً لا كَشُفا ميلاً ولا أوغاداً
هيهات لا تُلْفُونَا رُقَاداً لا بَلْ إذا صِيحَ بنا أساداً

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه، فاتبعهم وصاح بهم: إلى أين كلاً،
النار! فقالوا: إنما أُعدت النار لك ولأصحابك، فقال الحريش: كلُّ مملوك لي -
إن لم تدخلوا النار إن دخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان.

قوله: «وجدتم وقرأ» جمع وقور. والنجد: ضد البليد، وهو المتيقظ الذ
لا كسل عنده ولا فتور، والأميل فيه قولان: قالوا: الذى لا يستقر على الدأبا
وقالوا: هو الذى لا سيفَ معه. والأكشف: الذى لا ترسَ معه. والأجم: الذ
لا رمحَ معه. والحاسر الذى لا درعَ عليه. والأعزل: الذى لا يتقوم على ظهر الدأبا
والوغد: الضعيف.

ثم قال بعضهم لبعض: نأتى عسكر ابن مخنف فإنه لا خندقَ عليهم، و
تعب فرسانهم اليوم مع المهلب، وقد زعموا أننا أهونَ عليهم من ضرطة جمل
فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه لهم إلا وقد خالطوهم فى عسكرهم.

وكان ابن مخنف شريفاً، يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب با
مخنف المثل:

تروح وتغدو كل يوم معظماً كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فَتَرَجَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُخَنَّفٍ فَجَالَدَهُمْ فَقُتِلَ. وَقُتِلَ مَعَهُ سَبْعُونَ مِنَ الْقُرَاءِ، فِيهِمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْمُهَلَّبَ، وَجَعَفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُخَنَّفٍ عِنْدَ الْمُهَلَّبِ، فِجَاءَهُمْ مُغِيثًا، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى ارْتَثَ (١) وَصَرَغَ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ حَبِيبًا فَكَشَفَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ الْمُهَلَّبَ حَتَّى صَلَّى عَلَى ابْنِ مُخَنَّفٍ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَصَارَ جُنْدُهُ فِي جُنْدِ الْمُهَلَّبِ، فَضَمَّهُمْ إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ، فَغِيرَهُمُ الْبَصَرِيُّونَ، فَقَالَ رَجُلٌ لَجَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:

تَرَكْتَ أَصْحَابَنَا تَدُمِي نُحُورَهُمْ وَجِئْتَ تَسْعَى إِلَيْنَا خَضْفَةَ الْجَمَلِ (٢)
 قوله: «خَضْفَةَ الْجَمَلِ» يريدُ ضَرْطَةَ الْجَمَلِ، يُقَالُ: خَضَفَ الْبَعِيرُ. وَأَنْشَدَنِي الرِّيَّاشِيُّ لِأَعْرَابِيٍّ يَذُمُّ رَجُلًا اتَّخَذَ وَلِيمًا:
 إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بِئْسَ الْخَلْفُ أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ حَلَفَ
 لَا يُدْخِلُ الْبَوَابُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عَبْدًا (٣) إِذَا مَانَاءَ بِالْحِمْلِ خَضَفَ (٤)

يُقَالُ: نَاءَ بِحِمْلِهِ. إِذَا حَمَلَهُ فِي ثِقَلٍ وَتَكَلَّفَ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحِهِ لَتُنَوَّى بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ (٥). وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَصْبَةَ تَنَوَّى بِالْمَفَاتِيحِ. وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا.

فَلَا مَهْمَ الْمُهَلَّبُ. وَقَالَ: بِئْسَمَا قُلْتُمْ! وَاللَّهُ مَا فَرُّوا وَلَا جَبْنُوا، وَلَكِنْهُمْ خَالَفُوا أَمِيرَهُمْ. أَفَلَا تَذْكُرُونَ فِرَارَكُمْ يَوْمَ دُولَابَ، وَفِرَارَكُمْ بِدَارِسَ (٦) عَنْ عَثْمَانَ، وَفِرَارَكُمْ عَنِّي!

وَوَجَّهَ الْحِجَاجُ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَسْتَحِثُّهُ فِي مُنَاجَزَةِ الْقَوْمِ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَتُحِبُّ بَقَاءَهُمْ لِتَأْكُلَ بِهِمْ. فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ: حَرِّكُوهُمْ، فَخَرَجَ فَرَسَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَوَارِجِ جَمْعٌ، فَاقْتَتَلُوا إِلَى اللَّيْلِ، فَقَالَ لَهُمُ الْخَوَارِجُ: وَيْلَكُمْ أَمَا تَمْلِكُونَ! فَقَالُوا: لَا، حَتَّى تَمْلِكُوا، قَالُوا: فَمَنْ أَنْتُمْ؟

(١) ارتث: حمل من المعركة وبه بقية من الحياة.

(٢) أى يا أبا خضفة.

(٣) ر: «عبد».

(٤) زيادات ر: «تقول العرب: حبيج الرجل وخبيق وخضف وردد. كل ذلك إذا ضرط».

(٥) سورة القصص ٧٦.

(٦) دار س: موضع قريب من البصرة.

قالوا: تميم، قالت الخوارج: ونحن بنو تميم، فلما أُمسوا افترقوا، فلما كان الغدُ خرج عشرةٌ من أصحاب المهلب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتفر كل واحد منهم حفيرةً وأثبت قدمه فيها، فكلما قُتل رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجتره وقام^(١) مكانه. حتى أعتَمُوا^(٢)، فقال لهم الخوارج: ارجعوا، فقالوا: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم! مَنْ أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم، فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج، فقال له: مه! قال: رأيتُ قوماً لا يُعينُ عليهم إلا الله.

وكتب إليه المهلب: إني منتظرٌ بهم إحدَى ثلاث: موتٌ ذريعٌ، أو جوعٌ مُضرٌ، أو اختلافٌ من أهوائهم.

وكان المهلب لا يتكلُّ في الحراسة على أحد. كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يحلُّ محلَّهم في الثقة عنده. وقال أبو حرملة العبديُّ يهجو المهلب:

عَدَمْتُكَ يَا مُهَلَّبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْدَى يَمِينُكَ لِلْفَقِيرِ!
بِدُولَابٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتَ عَلَى مُوَاشِكَةِ دُرُورِ^(٣)
فقال المهلب: ويحك! وا الله إني لأقيكم بنفسى وولدى. قال: جعلنى الله فداءً الأمير! فذاك الذى نكره منك، ماكلنا يحبُّ الموتَ، قال: ويحك! وهل عنه مَحِيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نكره التَّعْجِيلَ، وأنتَ تُقَدِّمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلب: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ هُبَيْرَةَ^(٤) الْكَلْحَبَةِ الِيرْبُوعِي:

فَقُلْتُ لِكَأْسِ الْجَمِيهَا فَإِنَّمَا نَزَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زُرُودٍ لِنَنْفَزَعَا
قال: بلى والله قد سمعته. ولكن قولى أحبُّ إلىَّ منه. وهو^(٥):

فَلَمَّا وَقَفْتُمْ غَدُوَّةً وَعَدُوَّتُكُمْ إِلَى مُهْجَتِي وَلَيْتُ أَعْدَاءَكُمْ ظَهَرُوا
وَطَرْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ مَقَالَةَ عَاجِزٍ يُسَاقُ الْمَنَايَا بِالرُّدَيْنِيَةِ السُّمْرِ

(١) ر «وقوف».

(٢) أعتَمُوا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له^(١) المهلب: بئس حشؤ الكتيبة والله أنت! فإن شئت أذنت لك فانصرفت إلى أهلك، فقال: بل أقيم معك أيها الأمير. فوهب له المهلب وأعطاه، فقال يمدحه:

يَرَى حَتْمًا عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدٍ جَلَادَ الْقَوْمِ فِي أُولَى النَّفِيرِ
إِذَا نَادَى الشُّرَاةُ أَبَا سَعِيدٍ مَشَى فِي رِفْلِ مُحْكِمَةِ الْقَتِيرِ^(٢)
الرِّفْلُ: الذِّلِيلُ.

وكان المهلب يقول: مَايَسُرُّنِي أَنْ فِي عَسْكَرِي أَلْفُ شَجَاعٍ بَدَلَ بِيَهْسِ بْنِ صَهْبٍ، فيقال له: أيها الأمير. يهس ليس بشجاع، فيقول: أجل، ولكنه سديد الرأي مُحْكِمُ الْعَقْلِ، وذو الرأي حَذَرٌ سَوُولٌ، فأنا آمِنُ أَنْ يُعْتَقَلَ، فلو كان مكانه أَلْفُ شَجَاعٍ قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَنْشَامُونَ^(٣) حِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ^(٤)

وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا شَدِيدًا وَهُمْ بِسَابُورَ. وبين المهلب وبين الشُّرَاةِ عَقَبَةٌ. فقال المهلب: مَنْ يَكْفِينَا هَذِهِ الْعَقَبَةَ اللَّيْلَةَ؟ فلم يَقُمْ أَحَدٌ. فلبس المهلب سلاحه وقام إلى العقبة وَاتَّبَعَهُ ابْنُهُ الْمَغِيرَةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عَبْدُ اللَّهِ: دَعَانَا الْأَمِيرُ إِلَى ضَبْطِ الْعَقَبَةِ. والحظُّ في ذلك لَنَا فلم نُطْعِمْهُ، فلبس سلاحه، وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ فَصَارُوا إِلَيْهِ. فإذا المهلب والمغيرة لاثِلَتَ لهما. فقالوا: انصرف أيها الأمير، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشُّرَاةِ عَلَى الْعَقَبَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ عَلَى فَرَسٍ. فجعل يَحْمِلُ وَفَرَسُهُ يَزَلُّ، وَتَلَقَّاهُ مُدْرِكُ ابْنِ الْمَهْلَبِ فِي جَمَاعَةٍ مَعَهُ حَتَّى رَدَّاهُمْ.

فلما كان يوم النَّحْرِ والمهلبُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ. إذا الشُّرَاةُ قَدْ تَأَلَّبَوْا، فقال المهلب: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَفَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَأْمُغِيرَةُ! اكْفِنِيهِمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمِ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ وَأَمَامَهُ سَعْدُ بْنُ نَجْدٍ الْقُرْدُوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً في

(١) ر: «وقال المهلب».

(٢) القتيير: رءوس مسامير حلق الدروع.

(٣) ينشامون. من انشام الشيء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن ينتفلوا.

(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم»..

شجاعته . وكان الحجاج^(١) . إذا ظنَّ برجل أن نفسه قد أعجبتَه قال له : لو كنتَ سعدَ بنَ نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ماعداً - وقُرْدُوسٌ من الأزد .

فَخَرَجَ أَمَامَ المَغِيرَةِ . وتبع المغيرة جماعةً من فرسان المهلب ، فَالْتَقَوْا ، وأمام الخوارج غلامٌ جامعُ السلاح ، مديدُ القامة ، كرية الوجه ، شديدُ الحملة ، صحيحُ الفروسيَّة ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهو يقولُ :

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ - بالخيل أمثالِ الوشيجِ تَجْرِي^(٢)
فخرج إليه سعدُ بنُ نجدٍ القُرْدُوسِيُّ من الأزد ، ثم تَجَاوَلَا ساعة ، فطعنه سعدٌ فقتله ، والتقى الناسُ ، فَصُرِعَ يومئذُ المغيرةُ ، فحَامَى عليه سعدُ بنُ بجدٍ وذُيَّانُ السَّخْتِيَانِيَّ وجماعةٌ من الفُرْسَانِ حتَّى ركب ، وانكشف الناسُ عند سَقَطَةِ المغيرة ، حتَّى صاروا إلى أبيه المهلب ، فقالوا : قُتِلَ المغيرةُ ، ثم أتاه ذُيَّانُ السَّخْتِيَانِيَّ . فأخبره بسلامته . فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته .

ووجهُ الحجاجُ الجَرَّاحُ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبِطُهُ في مناجزة القوم ، وكتب إليه : أما بعدُ ، فإنك جَبَّيْتَ الخراجَ بالعللِ ، وتحصَّنتَ بالخنادق ، وطاوتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً ، وأكثرُ عدداً ، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبناً ، ولكنك اتخذتَ أَكْلًا^(٣) . وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالهم ، فناجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام .

فقال المهلبُ للجَرَّاحِ : يا أبا عُبَيْة . والله ما تركتُ حيلةً إلا احتلُّتها ، ولا مكيدةً إلا أَعْمَلْتُهَا . وما العَجَبُ من إبطاء النصر وتراخي الظَّفَرِ . ولكنَّ العجب أن يكونَ الرَّأْيُ لمن يملكه دونَ من يُبْصِرُهُ ! ثم ناهضهم ثلاثة أيام ، يُغَادِيهِم القتالَ ، ولا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف^(٤) أصحابُه وبهم قَرْحٌ ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ ، فقال له [الجَرَّاحُ]^(٥) : قد أعذرتُ .

(١) ر - «وكان المهلب» . وما أثبتته عن الأصل . س .

(٢) الوشيج - ماننت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه في بعض . (٣) الاكل : الرزق .

(٤) من هنا حرم في نسخة الأصل ينتهى في ص ٣٨٤ من هذا الجزء .

(٥) نكلمة من س

فكتب المهلب إلى الحجاج: أتاني كتابك تستبطنني في لقاء القوم، على أنك لا تظنُّ بي معصية ولا جُبْنًا، وقد عاتبني معاتبة الجبان، وأوعدتني وعيد العاصي، فاسأل^(١) الجراح. والسلام.

فقال الحجاج للجراح: كيف رأيت أخاك؟ قال: والله مارأيتُ أيها الأمير مثله قط، ولا ظننتُ أن أحداً يَبْقَى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابه أياماً ثلاثة يَغْدُونَ إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح. ويتجالدون بالسيوف، ويتخابطون بالعمد. ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئاً. رَوَّاحَ قوم تلك عاداتهم وتجارثهم. فقال الحجاج: لشدَّ مامدحتَه أبا عُبَبة! قال: الحق أولي.

وكانت رُكْب^(٢). الناس قديماً من الخشب. فكان الرجل يُضْرَبُ رُكْبَهُ فيقطعُ فإذا أراد الضربَ أو الطعنَ لم يكن له مُعْتَمَدٌ. فأمر المهلبُ فُضِرَتِ الرُّكْبُ من الحديد. وهو أولُ من أمرَ بطبعها. ففي ذلك يقول عِمْرَانُ بنُ عِصَامٍ العنزي:

ضَرَبُوا الدِراهِمَ في إِمَارَتِهِمْ وَضَرِبَتِ لِلْحَدِثَانِ وَالْحَرْبِ
حَلْقاً تَرى مِنْهَا مَرَأْفُقُهُمْ كَمَنَّاكِبِ الْجَمَالَةِ الْحَرْبِ^(٣)

وكتب الحجاجُ إلى عَتَّابِ بنِ وَرْقَاءِ الرِّياحِيِّ من بنى رِياحِ بنِ يَرْبُوعِ بنِ حَنْظَلَةَ وهو والي إصْبَهَانَ. يأمرُه بالمسير إلى المهلب. وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مخنف: فكلُّ بلدٍ تَدْخُلَانِهِ من فتوح أهل البصرة فالمهلبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة. فإذا دخلتم بلداً فتحه لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه]^(٤)، والمهلب على أهل البصرة.

فقدِمَ عَتَّابٌ في إحدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب، وهو بسابور، وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلبُ أميرَ الناس، وعَتَّابٌ على أصحاب ابن مخنف، والخوارج في أيديهم كِرمَانُ، وهم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي.

(١) س: «فسل»

(٢) الركب: جم ركاب. وهو ما يعتمد عليه راكب السرج بقدميه.

(٣) أي ضربت حلفاء. ومرافقهم. أي معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.

(٤) من س.

فَوَجَّهَ الْحِجَاجُ إِلَى الْمَهْلَبِ رَجُلَيْنِ يَسْتَحِثَّانِهِ مُنَاجَزَةَ الْقَوْمِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ، وَالْآخَرُ مِنْ آلِ أَبِي عَقِيلٍ جَدُّ الْحِجَاجِ، فَضَمَّ زِيَادًا إِلَى ابْنِهِ حَبِيبٍ، وَضَمَّ الثَّقَفِيَّ إِلَى يَزِيدِ ابْنِهِ، وَقَالَ لَهُمَا: خُذَا يَزِيدَ وَحَبِيبًا بِالْمُنَاجَزَةِ، فَعَادُوا الْخَوَارِجَ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، فَقَتَلَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَفُقِدَ الثَّقَفِيُّ، ثُمَّ بَاكَرُوهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَقَدْ وَجَدَ الثَّقَفِيُّ، فَدَعَا بِهِ الْمَهْلَبُ وَدَعَا بِالْغَدَاءِ، فَجَعَلَ النَّبْلُ يَقَعُ قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَالثَّقَفِيُّ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ الْمَهْلَبِ، فَقَالَ الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ:

وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ	أَلَا يَا صَبْحَانِي قَبْلَ عَوُقِ الْعَوَائِقِ
نَخُوضُ الْمَنِيَا فِي ظِلَالِ الْخَوَافِقِ	غَدَاةَ حَبِيبٍ فِي الْحَدِيدِ يَفُودُنَا
وَهَاجَ عِجَاجُ الْحَرْبِ فَوْقَ الْبَوَارِقِ ^(١)	حَرُونُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ شَرَارَهَا
زِيَادًا أَطَاحَتْهُ رِمَاحُ الْأَزَارِقِ	فَمَنْ مُبْلَغُ الْحِجَاجِ أَنْ أَمِينَهُ

قوله :

«وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ»

يَعْنِي السُّيُوفَ، وَالْعَقَائِقُ: جَمْعُ عَقِيْقَةٍ، يُقَالُ: سَيْفٌ كَأَنَّهُ عَقِيْقَةُ بَرْقٍ، أَيْ كَأَنَّهُ لَمْعَةُ بَرْقٍ، وَيُقَالُ انْعَقَّ الْبَرْقُ إِذَا تَبَسَّمَ. وَلِلْعَقِيْقَةِ مَوَاضِعُ: يُقَالُ فَلَانٌ بَعَقِيْقَةُ الصَّبِيِّ^(٢)، أَيْ بِالشَّعْرِ الَّذِي وَلَدَ بِهِ لَمْ يَحْلُقْهُ، وَيُقَالُ: عَقَقْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتُهُ، وَمِنْ ذَا فَلَانٍ يَعْقُ أَبُوَيْهِ، وَكَذَا عَقَقْتُ عَنِ الصَّبِيِّ، إِذَا ذَبَحْتَ عَنْهُ، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَادَارَ بَلَجَاءَ أَنَّنِي	إِذَا أَجْدَبْتُ أَوْ كَانَ خَصْبًا جَنَابُهَا
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُشْرِفِ	إِلَى وَسَلَمِي أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا ^(٣)
بِلَادُ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمِيْمَتِي	وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسٍّ جَلْدِي تُرَابُهَا

فَلَمْ يَزَلْ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ مَعَ الْمَهْلَبِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى ظَهَرَ شَبِيبٌ، فَكَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى عَتَّابٍ يَأْمُرُهُ بِالْمَصِيرِ^(٤) إِلَيْهِ لِيُوجِهَهُ إِلَى شَبِيبٍ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَهْلَبِ

(١) قَالَ الْمَرْصُفِيُّ: «الْحَرُونَ: لَقَبُ حَبِيبٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْرُنُ فِي الْأَرْضِ فَلَا يَرَحُ». وَالْبَوَارِقُ السُّيُوفُ.

(٢) ر: «الصَّبِيُّ» بِكسْرِ الصَّادِ وَأَلْفٍ مَقْصُورَةٍ.

(٣) مُشْرِفٌ رَمْلٌ بِالْذَّهْنِ.

(٤) س. «بِالْمَصِيرِ».

[يأمره] ^(١) بأن يرزقَ الجندَ، فرزقَ المهلبَ أهلَ البصرة، وأبى أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزقَ أهلَ الكوفة. فأبى. فجرتُ بينهما غلظةٌ. فقال عتابٌ: قد كان يبلغني أنك شجاع فرأيتك جباناً. وكان يبلغني أنك جوادٌ فرأيتك بخيلاً. فقال له المهلبُ: يابن اللّخناء! فقال له عتابٌ: لكنك مُعمٌ مُحولٌ ^(٢). فغضبتُ بكر بن وائلٍ للمهلبِ للحلف. ووثب ابنُ تميمٍ بن هبيرة بن أبي ^(٣) مصقلة علي عتاب فشتمه، وقد كان المهلبُ كارهاً للحلف، فلما رأى نصرة بكر بن وائل سره الحلف واغتبط به، ولم يزل يؤكدُه، فغضبت تميم البصرة لعتاب. وغضبت أزد الكوفة للمهلب.

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب، فقال لعتاب: يا أبا ورقاء، إن الأمير يصيرُ لك إلى كلِّ ما تُحب، وسأل أباَه أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فأجابَه، فصَلَحَ الأمرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتابُ بن ورقاء يحمدون المغيرة ابنَ المهلب، وقال عتابٌ: إنى لأعرفُ فضله على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إياد بن سود:

ألا أبلغُ أبا ورقاء عناً ^(٤) فلولاً أننا كُنا غضاباً
على الشيخ المهلب إذ جفانا للاقَّتْ خيلُكم منا ضراباً
وكان المهلب يقولُ لبنيه: لا تبدءوهم بقتالٍ حتى يبدءوكم فيبغوا عليكم.
فإنهم إذا بغوا نُصرتهم عليهم.

فشَخَصَ عتابُ بن ورقاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين، فوجهه إلى شبيب، فقتله شبيب، وأقام المهلب على حربهم، فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهراً اختلفوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يعملُ نصالاً مسمومة فيرمي بها أصحابَ المهلب، فرُفِعَ ذلك إلى المهلب فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكرِ قَطْرِي فقال: ألق هذا الكتابَ في عسكرِ قَطْرِي واحذرْ على نفسك - وكان الحدّادُ يقالُ له أبزى - فمضى الرسولُ، وكان في الكتاب: أما بعدُ، فإن نصالك قد وصلتُ إلي. وقد وجهتُ إليك بألف درهم، فاقبضها وزدنا من هذه النصال، فوقع الكتابُ والدراهم إلى

(١) تكلمة ر. س. (٢) معم محول. أى كريم الأعمام والأخوال.

(٣) ر: «أخى». (٤) كذا في س، وفي ر: «بنى ورقاء».

قطريُّ. فدَعَا بِأَبْزَى، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري، قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلمُ علمها، فأمر به فقتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغيرُ مَوْلَى بنى قيس بن ثعلبة فقال له: أَقْتَلْتَ رجلاً على غير ثقة ولا تبين! فقال له: ما حال هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرها كذباً ويجوز أن يكون حقاً. فقال له قطريُّ: قتل رجل في صلاح الناس غير مُنْكَرٍ، وللإمام أن يحكم كذباً بما رآه صلاحاً. وليس للرية أن تعترض عليه. فتَنَكَّرَ له عبدُ ربِّه في جماعة [معه] (١). ولم يفارقوه. فبلغ ذلك المهلبَ فدَسَّ إليه رجلاً نصرانياً. فقال له: إذا رأيتَ قَطْرِيَّ فاسجد له، فإذا نهأك فقل: إنما سجدت لك، ففعل النصراني، فقال له قطريُّ:

إنما السجودُ لله، فقال: ما سجدتُ إلا لك، فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله، وتَلَا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٢) فقال قطريُّ: هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريمَ فما ضر ذلك عيسى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر ذلك عليه وقال: أَقْتَلْتَ ذمياً! فاختلفت الكلمة، فبلغ ذلك المهلبَ، فوجه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدّم به إليه، فاتاهم الرجلُ فقال: رأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم، فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة، ماتقولون فيهما؟ فقال بعضهم: أمّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجنة، وأمّا الآخر الذي لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يجيزها. وقال قومٌ آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة. فكثر الاختلافُ.

فخرج قطريُّ إلى حدودِ إصطخرَ. فأقام شهراً والقومُ في اختلافهم، ثم أقبل، فقال لهم صالح بن مخرق: يا قوم، إنكم قد قررتم أعينَ عدوكم، وأطمعتموهم فيكم. لِمَا ظهَرَ من اختلافكم، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة.

وخرج عمرو القنّا فنَادَى: أيها المُحِلُّونَ (٣). هل لكم في الطراد، فقد طال عهد به! ثم قال
ألم تر أننا مُذْ ثلاثون ليلةً قَرِيبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

(١) تكملة من س.

(٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(٣) المحلون الذين لا عهد لهم ولا حرمة.

فَتَهَاجِجُ الْقَوْمُ، وَأُسْرِعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَأَبْلَى يَوْمئِذٍ الْمَغِيرَةُ بْنُ الْمَهْلَبِ،
وَصَارَ فِي وَسْطِ الْأَزَارِقَةِ، فَجَعَلَتِ الرَّمَاحُ تُحِطُّهُ^(١) وَتَرْفَعُهُ، وَاعْتَوَرَتْ رَأْسَهُ
السُّيُوفُ، وَعَلَيْهِ سَاعِدُ حَدِيدٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَجَعَلَتِ السُّيُوفُ لَا تَعْمَلُ
فِيهِ شَيْئًا، وَاسْتَنْقَذَهُ فُرْسَانٌ مِنَ الْأَزْدِ بَعْدَ أَنْ صُرِعَ، وَكَانَ الَّذِي صَرَعَهُ عَبِيدَةُ بْنُ
هِلَالٍ، وَهُوَ، يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ خَيْرٍ قَوْمِهِ هِلَالٍ شَيْخٌ عَلَى دِينَ أَبِي بِلَالٍ
وَذَاكَ دِينِي آخِرَ اللَّيَالِي

فَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَغِيرَةِ: كُنَّا نَعَجَبُ كَيْفَ تَصْرَعُ، وَالْآنَ نَعَجَبُ كَيْفَ تَنْجُو!
وَقَالَ الْمَهْلَبُ لَبْنِيهِ: إِنَّ سَرَّحَكُمْ لَغَارٌ، وَلَسْتُ آمَنَهُمْ عَلَيْهِ، أَفَوَكَلْتُمْ بِهِ أَحَدًا؟
قَالُوا: لَا، فَلَمْ يَسْتَتِمِ الْكَلَامَ حَتَّى آتَاهُ آتٌ فَقَالَ: إِنَّ صَالِحَ بْنَ مَخْرَاقٍ قَدْ أَغَارَ
عَلَى السَّرْحِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَهْلَبِ، وَقَالَ: كُلُّ أَمْرٍ لَا إِلَيْهِ بِنَفْسِي فَهُوَ ضَائِعٌ،
وَتَذَمَّرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ بَشْرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ: أَرِحْ نَفْسَكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَرِيدُ مِثْلَكَ
فَوَاللَّهِ لَا يَعْدِلُ أَحَدُنَا شَيْعَ نَعْلِكَ، فَقَالَ: خَذُوا عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، فَثَارَ بَشْرُ بْنُ
الْمَغِيرَةِ، وَمُدْرِكُ وَالْمُفْضِلُ ابْنَا الْمَهْلَبِ، فَسَبَقَ بَشْرٌ إِلَى الطَّرِيقِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ
الْأَزَارِقَةِ يَشُلُّ السَّرْحَ^(٢). أَيْ يَطْرُدُهُ. وَهُوَ يَقُولُ:

نَحْنُ قَمَعْنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وَقَدْ نَكَأْنَا الْقَرْحَ بَعْدَ الْقَرْحِ^(٣)
الشَّلُّ: الطَّرْدُ، وَيُقَالُ: نَكَأْتُ الْقَرْحَةَ، مَهْمُوزٌ، وَنَكَيْتُ الْعَدُوَّ. غَيْرُ مَهْمُوزٍ،
مِنْ النَّكَايَةِ، وَنَكَأْتُ الْقَرْحَةَ نَكَأً، قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ:

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً^(٤) تُحَدِّثُ لِي قَرْحَةً وَتَنْكَوْهَا
وَلَحِقَهُ الْمُفْضِلُ وَمُدْرِكُ، فَصَاحَا بِرَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ: اكْفِنَا الْأَسْوَدَ، فَاعْتَوَرَهُ
الطَّائِيُّ وَبَشْرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فَقَتَلَاهُ، وَأَسْرَا رَجُلًا مِنَ الْأَزَارِقَةِ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ: مِمَّنْ
الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَ: إِنَّكَ لَشَيْنٌ هَمْدَانُ، وَخَلَى سَبِيلَهُ.

(١) هُنَا آخِرُ الْحَرَمِ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ، وَأَوَّلُهُ فِي ص ٣٧٧ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٢) السَّرْحُ: الْمَالُ الَّذِي يَسَامُ فِي الْمَرْعَى مِنَ الْأَنْعَامِ.

(٣) أَقْمَنَاكُمْ. قَهَرْنَاكُمْ.

(٤) أَيْ لَا تَزَالُ.

وكان عيَّاشُ الكِنْدِيُّ شَجَاعاً بَيْساً^(١) فأبلى يومئذٍ، ثم مات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلب: لا وَّأَلْتُ نَفْسَ الْجَبَانِ بَعْدَ عِيَّاشٍ!
وقال المهلب: مارأيتُ كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يزيدُ فيهم!

وَوَجَّهَ الْحِجَااجَ إِلَى الْمَهْلَبِ رَجُلَيْنِ: أَحَدُهُمَا مِنْ كَلْبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ سُلَيْمٍ،
يَسْتَحِثَّانِهِ بِالْقِتَالِ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ مَتَمَثِّلًا:

وَمُسْتَعْجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أُنَاتِنَا وَلَوْ زَيْنَتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرَمْ
الشُّعْرُ لَأَوْسَ بْنَ حَجَرَ، وَقَوْلُهُ: «زَيْنَتُهُ» يَقُولُ: دَفَعَتْهُ. وَلَمْ يَتَرَمَّرَمْ، أَيْ لَمْ
يَتَحَرَّكْ، يَقَالُ: قِيلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا فَمَا تَرَمَّرَمْ.

وقال ليزيد: حَرَّكْهُمْ، فَحَرَّكْهُمْ فَتَهَاجَرُوا، وَذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ
إِصْطَخَرٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْلَبِ فَطَعَنَهُ، فَشَكَ
فَخَذَهُ بِالسَّرِجِ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِلْسُّلَمِيِّ وَالْكَلْبِيِّ: كَيْفَ نَقَاتِلُ قَوْمًا هَذَا طَعْنُهُمْ!

وَحَمَلَ يَزِيدٌ عَلَيْهِمْ وَقَدْ جَاءَ الرُّقَادُ، وَهُوَ مِنْ فَرَسَانِ الْمَهْلَبِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي
مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَذْهَمٌ، وَبِهِ نَيْفٌ وَعَشْرُونَ جَرَّاحَةً، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا
الْقُطْنَ، فَلَمَّا حَمَلَ يَزِيدٌ وَلَّى الْجَمْعُ وَحَمَاهُمْ فَارِسَانِ، فَقَالَ يَزِيدُ لَقَيْسِ الْخُسْنِيِّ
مَوْلَى الْعَتِكَ: مَنْ لِهَذَيْنِ؟ قَالَ: أَنَا. فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا، فَعَطَفَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا، فَطَعَنَهُ
قَيْسُ الْخُسْنِيُّ فَصَرَعَهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْآخَرُ فَعَانَقَهُ، فَسَقَطَا جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ،
فَصَاحَ قَيْسُ الْخُسْنِيُّ: اقْتُلُونَا جَمِيعًا، فَحَمَلَتْ خَيْلُ هَؤُلَاءِ وَخَيْلُ هَؤُلَاءِ، فَحَجَزُوا
بَيْنَهُمَا، فَإِذَا مُعَانِقُهُ امْرَأَةٌ. فَقَامَ قَيْسٌ مُسْتَحْيَاً، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: أَمَّا أَنْتَ فَبَارَزْتَهَا
عَلَى أَنَّهَا رَجُلٌ. فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ لَوْ قَتَلْتُ أَمَّا كَانَ يَقَالُ: قُتِلَتْهُ امْرَأَةٌ!

وأبلى يومئذٍ ابنُ المنجبِ السَّدُوسِيُّ، فَقَالَ لَهُ غَلَامٌ يَقَالُ لَهُ خِلَاجٌ: وَاللَّهِ
لَوَدِدْنَا أَنَا فَضَضْنَا عَسْكَرَهُمْ حَتَّى أَصِيرَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِمْ فَأَسْتَلْبَ مَا هُنَاكَ جَارِيَتَيْنِ.
فَقَالَ مَوْلَاهُ: وَكَيْفَ تَمْنَيْتَ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: لِأَعْطِيكَ إِحْدَاهُمَا وَأَخَذَ الْآخَرَى، فَقَالَ
ابْنُ الْمُنْجَبِ:

(١) النيسر الشديد البأس..

أَخْلَاجُ إِنَّكَ لَنْ تُعَانِقَ طِفْلَةً
حَتَّى تُلَاقِيَ فِي الْكُتَيْبَةِ مُعَلِّمًا
وَتَرَى الْمُقْعَطِرَ فِي الْكُتَيْبَةِ مُقَدِّمًا
أَوْ أَنْ يُعَلِّمَكَ الْمَهْلَبُ غَزْوَةً
شَرْقًا بِهَا الْجَادِيُّ كَالْتَّمَثَالِ
عَمَرُوا الْقُنَا وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ
فِي عُصْبَةٍ قَسَطُوا مَعَ الضُّلَالِ
وَتَرَى جَبَالًا قَدْ دَنَّتْ لَجِبَالِ

قوله: «طِفْلَةٌ» يقول: ناعمة، وإذا كسرت الطاء فقلت: «طفلة» فهي الصغيرة. والجادى: الزعفران، والكُتَيْبَةُ: الجيش، وإنما سُمِّيَ الجيش كُتَيْبَةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعض. وبهذا سُمِّيَ الكتاب. ومنه قولهم: كَتَبْتُ الْبَغْلَةَ وَالنَّاقَةَ إِذَا خَرَزْتَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْهَا، وَكَتَبْتُ الْقَرْيَةَ، وَالْمُعَلِّمُ: الذى قد شَهَرَ نَفْسَهُ بِعَلَامَةٍ، إِمَّا بِعِمَامَةٍ صَبِيغٍ، وَإِمَّا بِمُشْهَرَةٍ. وَإِمَّا بِغَيْرِ لِكَ. وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه مُعَلِّمًا يَوْمَ بَدْرٍ بِرِيشَةٍ نَاعِمَةٍ فِي صَدْرِهِ. وكان أَبُو دُجَانَةَ - وَهُوَ سِمَاكُ بْنُ خُرَيْشَةَ الْأَنْصَارِيُّ - يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ سَيْفِي هَذَا بِحَقِّهِ؟» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ يُضْرَبَ بِهِ فِي الْعَدُوِّ حَتَّى يَنْحَنِي»، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَلَبَسَ مُشْهَرَةً فَأَعْلَمَ بِهَا، وَكَانَ قَوْمُهُ يَعْلَمُونَ مَا بَلَّوْا مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا لَبَسَ تِلْكَ الْمُشْهَرَةَ لَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ غَايَةٌ، ففعل. وَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ الصَّفِّينِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا مَشِيَّةٌ بِيَعُضُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ» وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ - وَرَمَى إِلَيْهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: هَاكَ حَمِيدًا فَاغْسِلِي عَنْهُ الدَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتُ الْقِتَالَ الْيَوْمَ لَقَدْ صَدَّقَهُ مَعَكَ سِمَاكُ بْنُ خُرَيْشَةَ وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ». وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ «وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ» وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وَعَمَرُوا الْقُنَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَيْمٍ، وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَالَّذِي طَعَنَ صَاحِبَ الْمَهْلَبِ فِي فَخْذِهِ فَشَكَّاهَا مَعَ السَّرِجِ مِنْ بَنِي تَيْمٍ، قَالَ: «لَا أُدْرِي أَعَمَّرُوهُ أَمْ غَيَّرُوهُ». وَالْمُقْعَطِرُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ.

وقوله: «قَسَطُوا» أى جَارُوا، يقال قَسَطَ فهو قَاسِطٌ، إذا جَارَ، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١). ويقال: أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ، إذا عَدَلَ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وكان بَدْرُ بن الهذيل شجاعاً، وكان لَحَانَةً، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادى يا خَيْلُ^(٣) الله اركبى، وله يقولُ القائلُ:

وَإِذَا طَلَبْتُ إِلَى الْمَهْلَبِ حَاجَةً عَرَضْتُ تَوَابِعَ دُونِهِ وَعَبِيدُ
الْعَبْدُ كَرْدُوسٌ وَعَبْدٌ مِثْلُهُ وَعِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرِينَ شَدِيدُ

كُردوسٌ: رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، وكان حاجِبَ المَهْلَبِ، وقوله: «عِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرِينَ شَدِيدٌ»، العربُ تُسَمِّي الْعَجَمَ الْحَمْرَاءَ، وقد مرَّ تفسيرُ ذا.

وقوله: «تَوَابِعُ» أَرَادَ بِهِ الرِّجَالَ، فجازَ فى الشَّعْرِ، وإنما رَدَهُ إِلَى أَصْلِهِ لِلضَّرُورَةِ، وما كان من النِّعَوتِ عَلَى «فَاعِلٍ» فَجَمَعَهُ «فَاعِلُونَ» لئلا يَلْتَبَسَ بِجَمْعِ «فَاعِلَةٍ» الَّتِى هِى نَعْتُ. وقد قلنا فى هذا وَلَمْ قَالُوا: فَوَارِسُ وَهَالِكُ فى الْهَوَالِكِ.

وكان بشرُ بن المغيرة أبلَى يومئذٍ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينَهُ وبين بَنَى المَهْلَبِ جَفْوَةٌ، فقال لَهُم: يَا بَنَى عَمِّ، إِنِّى قد قَصَّرْتُ عَنْ شِكَاةِ الْعَاتِبِ، وَجَاوَزْتُ شِكَاةَ الْمُسْتَعْتَبِ^(٤)، حَتَّى كَأَنِّى لَا مَوْصُولٌ وَلَا مَحْرُومٌ، فَاجْعَلُوا لى فَرَجَةً أَعِشْ بِهَا وَهَبُونى أَمْرًا رَجَوْتُمْ نَصْرَهُ، أَوْ خِفْتُمْ لِسَانَهُ. فَارْجِعُوا لَهُ وَوَصِّلُوا. وَكَلَّمُوا فِيهِ الْمَهْلَبَ فَوَصَّلَهُ.

وولى الْحِجَاجُ كَرْدَمًا فَارِسًا، فَوَجَّهَهُ الْحِجَاجُ إِلَيْهَا وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْلَبِ:

وَلَوْ رَأَى كَرْدَمٌ لَكَرْدَمًا كَرْدَمَةَ الْعَيْرِ أَحْسَنَ الضِّيغَمَا
الضِّيغَمُ: الْأَسَدُ، وَالْكَرْدَمَةُ: النَّفُورُ.

(٢) سورة الحجرات ٩

(١) سورة الجى.

(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساحط. والمستعتب: طالب الرضا.

فَكَتَبَ الْمَهْلَبُ إِلَى الْحِجَاكِيسَ أَنْ يَتَجَافَى لَهُ عَنْ إِصْطِخْرٍ وَدَرَابٍ جَرْدٍ
لَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ فَفَعَلَ، وَقَدْ^(١) كَانَ قَطْرِيٌّ هَدَمَ مَدِينَةَ إِصْطِخْرٍ، لِأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
يَكَاتِبُونَ الْمَهْلَبَ بِأَخْبَارِهِ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ قَسَا، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ آزَادُ مُرْدُ بَنٍ
الْهَرَبِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَهْدَمْهَا، فَوَاقَعَهُ الْمَهْلَبُ فَهَزَمَهُ، وَنَفَاهُ إِلَى كَرْمَانَ،
وَاتَّبَعَهُ ابْنُهُ الْمَغِيرَةُ وَقَدْ كَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ سَيْفًا وَجَهَّ بِهِ الْحِجَاكِيسَ إِلَى الْمَهْلَبِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ
أَنْ يَتَقَلَّدَهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى الْمَغِيرَةِ بَعْدَ مَا تَقَلَّدَ بِهِ، فَرَجَعَ بِهِ الْمَغِيرَةُ إِلَيْهِ وَقَدْ دَمَّاهُ، فَسَرَّ
الْمَهْلَبُ بِذَلِكَ وَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَكُونَ كُنْتُ قَدْ^(١) دَفَعْتُهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ
وَكَلْدٍ، أَكْفَنِي جَبَايَةَ خَرَاكِ هَاتَيْنِ الْكُورَتَيْنِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الرُّقَادَ، فَجَعَلَ يَجْبِيَانِ وَلَا
يُعْطِيَانِ الْجُنْدَ شَيْئًا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَأَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فِي كَلِمَةٍ
لَهُ:

وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ يَوْسُفَ مَا نُلَاقِي	مِنْ الْآفَاتِ وَالْكُرْبِ الشَّدَادِ
لِفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْنَا	وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جَزِيَتَ خَيْرًا	أَرْحَنًا مِنْ مُغِيرَةٍ وَالرُّقَادِ
فَمَا رَزَقَا الْجُنُودَ بِهَا قَفِيْرًا	وَقَدْ سَاسَتْ مَطَامِيرُ الْحِصَادِ ^(٢)

يَقَالُ: سَاسَ الطَّعَامُ وَأَسَاسَ، إِذَا وَقَعَ فِيهِ السُّوسُ، وَدَادَ وَآدَادَ، مِنَ الدُّودِ،
وَرَوَى أَبُو زَيْدٍ: «دِيدَ فَهُوَ مَدُودٌ» فِي هَذَا الْمَعْنَى.

فَحَارَبَهُمُ الْمَهْلَبُ بِالسَّيْرِجَانِ حَتَّى نَفَاهُمْ عَنْهَا إِلَى جَيْرُفَتَ، وَاتَّبَعَهُمْ فَنَزَلَ
قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ.

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَبِيدَةَ بْنَ هَلَالٍ الْيَشْكُرِيَّ اتَّهَمَ بِامْرَأَةٍ رَجُلٍ حَدَادٍ رَأَوْهُ
مَرَارًا يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ عَبِيدَةَ مِنْ
الَّذِينَ بَحِيثٌ عِلْمُهُمْ وَمِنْ الْجَهَادِ بَحِيثٌ رَأْيُهُمْ فَقَالُوا: إِنَّا لَأَنْقَارُهُ^(٣) عَلَى الْفَاحِشَةِ،
فَقَالَ: انْصَرَفُوا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَبِيدَةَ فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ: إِنَّا لَأَنْقَارُهُ عَلَى الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ:
بَهْتُونِي^(٤) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا تَرَى؟ قَالَ: إِنِّي جَامِعٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَلَا تَخْضَعُ
خُضُوعَ الْمَذْنِبِ، وَلَا تَتَطَاوَلُ تَطَاوُلَ الْبَرِيِّ. فَجَمَعَ بَيْنَهُمْ فَتَكَلَّمُوا، فَقَامَ عَبِيدَةُ

(١) سَاقِطَةٌ مِنْ ر.

(٢) الْمَطَامِيرُ: جَمْعُ مَطْمُورَةٍ، وَهِيَ حَفْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ تَخْبَأُ فِيهَا الْحُبُوبُ.

(٣) مِنَ الْمَقَارَةِ وَهِيَ السُّكُونُ وَالطَّمَانِينَةُ. (٤) بَهْتُونِي: قَالُوا عَلَى مَا لَمْ أَفْعَلْ.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١) الْآيَاتِ فَبَكَوْا وَقَامُوا إِلَيْهِ فَاعْتَنَقُوهُ. قَالَ: اسْتَغْفِرْلَنَا. فَفَعَلَ. فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ رَبِّهِ الصَّغِيرُ مَوْلَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَعَكُمْ، فَبَايَعَ عَبْدَ رَبِّهِ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ لَمْ يَظْهَرُوا وَلَمْ يَجِدُوا عَلَى عَبِيدَةٍ فِي إِقَامِهِ الْحَدَّ ثَبَتًا.

وكان قَطْرِيٌّ قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة. فَأَتَوْا قَطْرِيًّا فَقَالُوا: إِنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمْ يَكُنْ يُقَارُّ عَمَّالَهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا، فَقَالَ قَطْرِيٌّ: إِنِّي اسْتَعْمَلْتَهُ وَلَهُ ضِيَاعٌ وَتِجَارَاتٌ، فَأَوْغَرَ ذَلِكَ صَدُورَهُمْ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُهْلَبَ، فَقَالَ: إِنَّ اخْتِلَافَهُمْ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنِّي.

وَقَالُوا لِقَطْرِيٍّ: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا؟ فَقَالَ: لَا، ثُمَّ خَرَجَ. فَقَالُوا: قَدْ كَذَبَ وَارْتَدَّ! فَاتَّبَعُوهُ يَوْمًا فَأَحَسَّ بِالشَّرِّ، فَدَخَلَ دَارًا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَصَاحُوا بِهِ: يَا دَابَّةَ، خَرِجْ إِلَيْنَا. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ: رَجَعْتُمْ بَعْدِي كَفَارًا! فَقَالُوا: أَوَلَسْتَ دَابَّةً! قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢)، وَلَكِنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ بِقَوْلِكَ: إِنَّا قَدْ رَجَعْنَا كَفَارًا، فَتَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَشَاوَرِ عَبِيدَةَ. فَقَالَ: إِنَّ ثُبْتَ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْكَ، وَلَكِنْ قُلْ: إِنَّمَا اسْتَفْهَمْتُ فَقُلْتُ: أَرْجَعْتُمْ بَعْدِي كَفَارًا؟ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ. فَقَبِلُوا مِنْهُ. فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَعَزَمَ أَنْ يَبَايَعَ الْمُقْعَطَرِ الْعَبْدِيَّ، فَكَرِهَهُ الْقَوْمُ وَأَبَوْهُ، فَقَالَ لَهُ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ عَنْهُ وَعَنِ الْقَوْمِ: أَبْغِ لَنَا غَيْرَ الْمُقْعَطَرِ. فَقَالَ لَهُمْ^(٣) قَطْرِيٌّ: أَرَى طَوْلَ الْعَهْدِ قَدْ غَيَّرَكُمْ، وَأَنْتُمْ بِصَدَدِ عَدُوِّكُمْ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَقْبِلُوا عَلَى شَأْنِكُمْ. وَاسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ الْقَوْمِ. فَقَالَ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ: إِنَّ النَّاسَ قَبِلْنَا قَدْ^(٣) سَامُوا عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَنْ يَعْزَلَ عَنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِيِ فَفَعَلَ، وَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُعْفِيَ الرِّعِيَةَ مِمَّا كَرِهَتْ. فَأَبَى قَطْرِيٌّ أَنْ يَعْزَلَهُ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: إِنَّا خَلَعْنَاكَ وَوَلَّيْنَا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ، فَانْفَصَلَ إِلَى عَبْدِ رَبِّهِ أَكْثَرُ مِنَ الشُّطْرِ، وَجَلَّاهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَجَمُ، وَكَانَ هُنَاكَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ. وَهُمْ الْقُرَاءُ. ثُمَّ نَدِمَ صَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ. فَقَالَ لِقَطْرِيٍّ: هَذِهِ نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ الشَّيْطَانِ.

(٢) سورة هود ٦.

(١) سورة النور ١١ وما بعدها.

(٣) ساقطة من ر

فَأَعْفَنَّا مِنَ الْمُقْعَطَرِ وَسِرُّ بَنَّا إِلَى عِدْوِكَ، فَأَبَى قَطْرِي إِلَّا الْمَقْعَطَرِ، فَحَمَلَ فَتَى مِنْ الْعَرَبِ عَلَى صَالِحِ بْنِ مَخْرَاقٍ، فَطَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ وَأَجَرَهُ الرَّمْحَ فَقَتَلَهُ.
ومعنى «أَجَرَهُ الرَّمْحَ» طَعَنَهُ وَتَرَكَ الرَّمْحَ فِيهِ. قَالَ عَنْتَرَةُ:

وَأَخَّرَ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رَمَحِي وَفِي الْبَجَلِيِّ مَعْمَلَةٌ وَقِيعٌ
فَنَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ، فَتَهَايَجُوا، ثُمَّ انْحَازَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى صَاحِبِهِمْ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَأَجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ أَلْفَى قَتِيلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ بَاكِرُوهُمْ الْقِتَالَ، فَلَمْ يَنْتَصِفِ النَّهَارُ حَتَّى أَخْرَجَتِ الْعَجْمُ الْعَرَبَ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَأَقَامَ عَبْدُ رَبِّهِ بِهَا. وَصَارَ قَطْرِي خَارِجًا مِنْ مَدِينَةٍ جِيرَفَتَ بِأَزَائِهِمْ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدَةُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ أَقَمْتَ لَمْ أَمِنْ هَذِهِ الْعَبِيدَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُخَذِّقَ، فَخَذِّقَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ يُنَاوِشُهُمْ.

وَارْتَحَلَ الْمَهْلَبُ فَكَانَ مِنْهُمْ عَلَى لَيْلَةٍ. وَرَسُولُ الْحِجَاجِ مَعَهُ يَسْتَحِثُّهُ فَقَالَ لَهُ:
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! عَاجِلُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصْطَلِحُوا، فَقَالَ الْمَهْلَبُ: إِنَّهُمْ لَنْ يَصْطَلِحُوا، وَلَكِنْ دَعَهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى حَالٍ لَا يَفْلَحُونَ مَعَهَا، ثُمَّ دَسَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِبْتُ عَسْكَرَ قَطْرِي فَقُلْ: إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَى قَطْرِيًّا يُصِيبُ الرَّأْيَ حَتَّى نَزَلَ مَنْزِلُهُ هَذَا فَبَانَ خَطْوُهُ، أَنْقِمْ بَيْنَ الْمَهْلَبِ وَعَبْدِ رَبِّهِ. يَغَادِيهِ هَذَا الْقِتَالُ وَيُرَاوِحُهُ هَذَا! فَنَمِيَ الْكَلَامُ إِلَى قَطْرِي. فَقَالَ: صَدَقَ. تَنَحَّوْا بَنَّا عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنْ اتَّبَعْنَا الْمَهْلَبَ قَاتَلَنَاهُ، وَإِنْ أَقَامَ عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ رَأَيْتُمْ فِيهِ مَا تَحْبُونَ، فَقَالَ لَهُ الصَّلْتُ بْنُ مُرَّةٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا^(١) تَرِيدُ اللَّهَ فَأَقْدِمْ عَلَى الْقَوْمِ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا^(١) تَرِيدُ الدُّنْيَا فَأَعْلِمْ أَصْحَابَكَ حَتَّى يَسْتَأْمِنُوا، وَأَنْشَأَ الصَّلْتُ يَقُولُ:

قُلْ لِلْمُحَلِّينَ قَدْ قَرَّتْ عُيُونُكُمْ	بِفِرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ
كُنَّا أَنْاسًا عَلَى دِينٍ فَغَيَّرْنَا	طُولُ الْجَدَالِ وَخَلْطُ الْجَدِّ بِاللَّعِبِ
مَا كَانَ أَغْنَى رَجَالًا ضَلَّ سَعِيَّهُمْ	عَنِ الْجَدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخَطْبِ
إِنِّي لِأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَبًا	مَالِي سِوَى فَرَسِي وَالرَّمْحِ مِنْ نَشَبِ

ثُمَّ قَالَ: أَصْبَحَ الْمَهْلَبُ يَرْجُو مِنَّا مَا كُنَّا نَطْمَعُ فِيهِ مِنْهُ، فَارْتَحَلَ قَطْرِي، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْلَبُ، فَقَالَ لِهَرِيمِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَبِي طَحْمَةَ الْمُجَاشِعِيِّ: إِنِّي لَا أَمِنْ أَنْ يَكُونَ

(١) ساقطة من ر.

قطريُّ كادَنَا بتركِ موضعه. فاذهب فَتَعَرَّفِ الخبر، فمضى هَرِيمٌ في اثني عشر فارساً. فلم ير في العسكر إلاَّ عبداً وعلجاً. فسألهما عن قطري وأصحابه، فقالا: مَضَوْا يَرْتَادُونَ غَيْرَ هَذَا الْمَنْزِلِ. فرجعَ هَرِيمٌ إلى المهلب فأخبره، فارتحل المهلب حتى نزلَ خَنْدَقَ قطريِّ، فجعلَ يقاتلهم أحياناً بالغداة، وأحياناً بالعشي، ففي ذلك يقول رجلٌ من سدُوسٍ، يقالُ له المُعْنَقُ، وكان فارساً:

ليتَ الحرائرَ بالعراقِ شَهِدْنَنا ورأَيْنَا بالسَّفْحِ ذي الأَجْبَالِ
فَنَكَحْنَ أَهْلَ الْجَزْءِ مِنْ فُرْسَانِنَا^(١) والضَّارِبِينَ جَمَاعِمَ الْأَبْطَالِ

ووجهُ المهلب يزيدَ إلى الحجاج يُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ مَنْزِلَ قَطْرِيٍّ، وَأَنَّهُ مَقِيمٌ عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ. وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُوجِّهَ فِي أَثَرِ قَطْرِيٍّ رَجُلًا جَلْدًا فِي جَيْشٍ، فَسَرَّ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ سُرُورًا أَظْهَرَهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ يَسْتَحْثُّهُ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ مُوَهَّبٍ وَفِي الْكِتَابِ:

أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّكَ تَتَرَاخَى عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَأْتِيكَ رُسُلِي، فَتَرْجِعَ بُعْذَرِكَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَمْسِكُ حَتَّى تَبْرَأَ الْجِرَاحُ، وَتُنْسِيَ الْقَتْلَى، وَيَجْمُ النَّاسُ^(٢). ثُمَّ تَلْقَاهُمْ فَتَحْتَمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَحْتَمِلُونَ مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَتْلِ، وَأَلَمِ الْجِرَاحِ، وَلَوْ كُنْتَ تَلْقَاهُمْ بِذَلِكَ الْجَدِّ لَكَانَ الدَّاءُ قَدْ حُسِمَ، وَالْقَرْنُ قَدْ قُصِمَ^(٣). وَلَعَمْرِي مَا أَنْتَ وَالْقَوْمُ سَوَاءٌ؛ لِأَنَّ مِنْ وَرَائِكَ رَجَالًا وَأَمَامَكَ أَمْوَالًا. وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ. وَلَا يَدْرُكُ الْوَجِيفُ بِالْذَّيْبِ، وَلَا الظَّفَرُ بِالْتَّعْذِيرِ.

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَرَاكُمْ مِنْ أَقْرَانِ أَرْبَعَةٍ: قَطْرِيُّ ابْنُ الْفَجَاءَةِ. وَصَالِحُ بْنُ مَخْرَاقٍ، وَعَبِيدَةُ بْنُ هَلَاكٍ، وَسَعْدُ الطَّلَاحِ، وَإِنَّمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَبْدُ رَبِّهِ، فِي خُشَارٍ مِنْ خُشَارٍ^(٤) الشَّيْطَانِ. تَقْتُلُونَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَكَانُوا يَتَغَادَوْنَ الْقِتَالَ وَيَتَرَاوَحُونَ، فَتَصِيْبُهُمُ الْجِرَاحُ، ثُمَّ يَتَحَاجِزُونَ كَأَنَّمَا انْصَرَفُوا مِنْ

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء في الحرب.

(٢) يجم الناس يسترخون.

(٣) قصم قرن الخوان. كسره، صربه مثلاً لهلاك القوم.

(٤) الخشار: الردى- من كل شيء

مجلس كانوا يتحدثون فيه . فيضحك بعضهم إلى بعض ، فقال عبيد بن موهب للمهلب : قد بان عذرك . وأنا مخبر الأمير . فكتب المهلب إليه :

أما بعد : فإنني لم أعط رسلك على قول الحق أجراً ، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين . ذكرت أنني أجم القوم ، ولابد من راحة يستريح فيها الغالب ، ويحتال فيها المغلوب ، وذكرت أن في ذلك الحمام ما ينسى القتلى ، وتبرأ منه الجراح ، وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم ، تأبى ذلك قتلى لم تجن ، وقروح لم تتقرف^(٢) . ونحن القوم على حالة ، وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا . وإن ملؤا وقفوا ، وإن يتسوا انصرفوا . علينا أن نقاتلهم إذا اقاتلوا ، ونحجز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأى كان القرن مقصوماً ، والداء بإذن الله محسوماً ، وإن أعجلتني لم أطعك ولم أعص ، وجعلت وجهي إلى بابك . وأنا أعوذ بالله من سخط الله ، ومقت الناس .

* * *

ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره . والمسلم إذا صح توحيد عزي بربه . وقد أراحكم الله من غلظة قطري . وعجلة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط عبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائرهم ، فالقوا عدوكم بصبر ونية ، وانتقلوا عن منزلكم هذا ، من قتل منكم قتل شهيداً ، ومن سلم من القتل فهو المحروم .

وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي ، يستحثه بالقتال ، ومعه أميان ، فقال له : خالفت وصية الأمير ، وآثرت المدافعة والمطاول ، فقال له المهلب : ما تركت جهداً ، فلما كان العشي خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم ليتقلوا ، فقال المهلب لأصحابه : الزموا مصافكم ، وأشرعوا رماحكم^(٢) ، ودعوهم والذهاب . فقال له عبيد : هذا لعمرى أيسر عليك ، فقال للناس : ردوهم عن وجههم^(٣) . وقال لنيه : تفرقوا في الناس ،

(١) لم تنقرف : لم تنقشر ولم تيبس .
(٢) أشرع الرمح : صوبه . (٣) «وجههم» .

وقال لعبيد بن أبي ربيعة: كن مع يزيد فخذهُ بالمحاربة أشدَّ الأخذ، وقال لأحد الأمينين: كن مع المغيرة ولا تُرخصْ له في الفُتور، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى عُقرت الدوابُّ وصُرِعَ الفُرسانُ، وقُتِلَت الرجال، فجعلت الخوارجُ تقاتلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسوط والعَلَقِ الخسيسِ أشدَّ قتال، وسَقَطَ رمحُ برجلٍ من مرادٍ من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كَثُرَ الجراحُ والقتلُ، وذلك مع المغرب، والمُرَادِيُّ يقولُ:

الليلُ ليلٌ فيه ويلٌ ويلٌ وسالَ بالقومِ الشُّرَاةَ السَّيْلُ

﴿إن جاز للأعداءِ فينا قولٌ﴾

فلما عظم الحطْبُ فيه بعثَ المهلبُ إلى المغيرة^(١): خَلِّ لهم عن الرمح، عليهم لعنة الله^(٢). فخلوا لهم عنه.

ثم مَضَتِ الخوارجُ حتى نزلوا على أربعة فراسخٍ من جيرُوتَ، ودخلها المهلبُ، فأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خَلَّفُوهُ من دقيق^(٣) وخَتَمَ عليه هو والثقفى والأمينان، ثم اتَّبَعَهُمْ، فإذا هُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَبُ منها إلا قوًى، يأتى الرجلُ بالدَّلْوِ قد شَدَّها فى طَرْفِ رمحه فيسْتَقِي بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهم القتالُ، وضمَّ الثقفى إلى يزيد، وأحد الأمينين إلى المغيرة، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهار، فقال المهلبُ لأبى علقمة العبدى - وكان شجاعاً عاتياً: أمددْ بخيلِ اليُحْمَدِ، وقُلْ لهم: فليُعيرونا جَمَاجِمَهُمْ ساعة، فقال له: إن جَمَاجِمَهُمْ ليست بفَخَارٍ فتُعَار، وليست أعناقُهُمْ كرادن^(٤) - فتنبَّت - قال أبو العباس^(٤): تقول العربُ لأَعْدَاقِ النَّخْلِ: كرادن، وهو فارسيٌّ أعْرَبَ -

وقال لحبيب بن أوسٍ: كُرَّ على القومِ، فلم يفعل، وقال:
يقولُ لى الأميرُ بغير علمٍ تَقَدَّم حينَ جَدَّ به المِرَاسُ
فمالى إن أطعْتُكَ من حياةٍ ومالى غَيْرَ هذا الرأسِ راسٍ

(١-١) ر «خل عن الرمح عليهم لعنة الله» والأجود ما أثبتته عن الأصل، س.

(٢) ر. «دقيق». وما أثبتته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».

(٤) ر «أبو الحسن الأخفش». وما أثبتته من الأصل، س.

نَصَب: غير، لأنه استثناء مُقَدَّم، وقد مَضَى تفسيره.

وقال لمَعْن بن المغيرة بن أبي صفرة: احْمِلْ، فقال: لا، إلا أن تزَوِّجَنِي أم مالك بنت المهلب، ففعل، فحمل على القوم فكشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الغَدَاةَ بِمالٍ هُلْكُهُ اليومَ عندنا فيرانا
نَصِلُ الكَرَّ عند ذاكَ بطَعْنٍ إِنَّ لِلْمَوْتِ عندنا أَلْوَانًا

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَةً عند حَمَلَةٍ حَمَلَهَا عليهم الخوارجُ، فالتفتَ عند ذلك المهلبُ إلى المغيرة فقال: ما فَعَلَ الأَمِينُ الذي كان معك؟ قال: قتل، وكان الثقفى قد هَرَبَ، وقال ليزيد: ما فَعَلَ عُبَيْدُ بن أبي ربيعة؟ قال: لم أَرَهُ منذُ كانت الجَوْلَةُ، فقال الأَمِينُ الآخرُ للمغيرة: أنت قتلتَ صاحبي، فلما كان العَشيُّ رَجَعَ الثقفى، فقال رجلٌ من بني عامر بن صعصعة:

ما زلتَ يا ثقفى تَخْطُبُ بَيْنَنَا وَتَغْمُنُا بوصيَّةِ الحَجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أَقْبَلَ زَاخِرًا وَسَمًا لَنَا صِرْفًا بغيرِ مَزَاجِ
وَلَيْتَ يا ثقفى غَيْرَ مُنَاطِرٍ تَنْسَابُ بَيْنَ أَحْزَةٍ وَفَجَّاجِ
ليستَ مقارعةَ الكِمْيَاةِ لدى الوغَى شُرْبُ المِيدَامَةِ في إِنَاءِ زُجَاجِ
قوله: «بَيْنَ أَحْزَةٍ» هو جمع حَزِيٍّ، وهو مَتْنٌ يَنْقَادُ مِنَ الأَرْضِ وَيَغْلُظُ،
وَالْفَجَّاجُ: الطَّرْقُ، واحدها فَجٌّ.

وقال المهلبُ للأَمِينِ الآخر: ينبغي أن تَتَوَجَّهَ مع ابني حبيب في ألف رجل حتى تَبْتَئُوا عسكَرَهم، فقال: ما تُرِيدُ أَيُّهَا الأَمِيرُ إلا أن تَقْتُلَنِي كما قَتَلْتَ صاحبي قال: ذاكَ إِلَيْكَ، وضحك المهلبُ، ولم تَكُنْ للقوم خَنَادِقَ، فكان كلُّ حَذْرًا من صاحبه، غير أن الطعامَ والعُدَّةَ مع المهلب، وهم في زهاء ثلاثين ألفًا، فلما أصبح أَشْرَفَ على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمح مكسورٌ وَقَدْ خَضِبَهُ بالدماء. وهو يُنْشِدُ:

جَزَانِي دَوَائِي ذُو الخِمَارِ وَصَنَعَتِي إِذَا باتَ أَطْوَاءُ بَنَى الأَصَاغِرُ
أَخَادِعَهُمْ عَنْهُ لِيُغْبِقَ دُونَهُمْ وَأَعْلَمُ غَيْرَ الظَّنِّ أَنِّي مُغَاوِرُ
كَأَنِّي وَأَبْدَانُ السَّلَاحِ عَشِيَّةً يَمُرُّ بِنَا فِي بَطْنٍ فِيحَانِ طَائِرُ

فدعاه المهلبُ فقال: أَتَمِئِي أنت؟ قال: نعم، قال: أَحْظَلِي؟ قال: نعم، قال: أَيْرُبُوعِي؟ قال: نَعَمْ. قال: أُنْعَلِي. قال: نعم. قال: أَمِنْ آلِ نُؤَيْرَةَ؟ قال:

نعم. أنا من ولد مالك بن نويرة، وسبحان الله أيها الأمير! أياكون مثلي في
عسكري لا تعرفه! قال: عرفتك بالشعر.

قوله «ذو الخمار» يعنى فرساً وكان ذو الخمار فرساً مالك بن نويرة، قال
جرير يهجو الفرزدق:

يُربوع فخرتُ وآل سَعْدٍ فلا مَجْدِي بَلَغْتَ ولا افتخاري
يُربوع فوارسُ كُلِّ يَوْمٍ يُوَارِي شَمْسَهُ رَهْجُ الْغُبَارِ
عُتَيْبَةُ، وَالْأَحْيَمَرُ وابنُ عَمْرٍو وَعَتَّابٌ، وفارسُ ذِي الْخَمَارِ
قوله: «أطواء» يقال: رجل طَوَى البطن، أى منطَو، يُخْبِرُ أنه كان يؤثر
فرسه على ولده، فيشيعه وهم جياع، وذلك قوله:

أَخَادَعُهُمْ عَنْهُ لِيُغْبِقَ دُونَهُمْ

والغُبُوقُ شَرِبُ آخر النهار، وهذا شيءٌ تفخر^(١) به العربُ، قال الأشعرُ
الجعفي:

لكن قَعِيدَةً بَيْتَنَا مَجْفُوءَةً بادِ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا وَلَهَا غِنَى^(٢)
تَقْفَى بِعَيْشَةٍ أَهْلِهَا وَثَابَةٌ أو جُرْشَعًا نَهْدَ الْمَرَائِلِ وَالشَّوَى^(٣)

* * *

قال: فَمَكُثُوا أَيَّاماً على غير خَنَادَقٍ يتحارسون ودوابهم مسرَّجة، فلم يزلوا
على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلة التي قُتِلَ فِي صَبْحَتِهَا^(٤) عَبْدُ
رَبِّهِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ: يامعشرَ المهاجرين، إِنَّ قَطْرِيَا وَعَيْبِدَةَ هَرَبَا طَلَبَ الْبَقَاءَ،
وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَأَلْقُوا عَدُوَّكُمْ، فَإِنْ غَلَبَكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ، فَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ،
فَتَلَقَّوْا الرِّمَاحَ بَنُحُورِكُمْ، وَالسُّيُوفَ بِوُجُوهِكُمْ، وَهَبُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا يَهَبَّهَا
لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ.

فلما أصبحوا غَادَوْا الْمَهْلَبَ فقاتلوه قتالا شديداً، نُسِيَ بِهِ مَا كَانَ قَبْلَهُ، فقال
رجل من الأزد من أصحاب المهلب: مَنْ يَبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ؟ فبايعه أربعون رجلاً

(١) ر: «تفتخر».

(٢) الجناجن: عظام الصدر.

(٣) الجرشع: المتفخ الجنين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.

(٤) ر: «صبيحتها»

من الأزدي وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رزّام الحارثي لأصحاب المهلب: أحملوا، فقال: المهلب: أعرابي مجنون! وكان من أهل نجران، فحمل وحده، فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع، ثم كرّ ثانية ففعل فعلته الأولى، وتهايج الناس، فترجّلت الخوارج وعقروا دوابهم، فناداهم عمرو القنا- ولم يترجّل هو وأصحابه من العرب، وكانوا زهاء أربعمئة: موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا: إنّنا إذا كنّا على الدواب ذكرنا الفرار.

فاقتتلوا، ونادى المهلب بأصحابه: الأرض الأرض، وقال لبنيه: تفرّقوا في الناس ليروا وجوهكم، ونادى الخوارج: ألا إنّ العيال لمن غلب. فصبر بنو المهلب، وصبر يزيد بين يدي أبيه، وقاتل قتالاً شديداً أبلى فيه، فقال له أبوه: يا بنيّ إني أرى موطناً لا ينجو فيه إلا من صبر، وما مرّ بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب.

وكسرت الخوارج أجفان سيوفها، وتجاولوا، فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولاً، فهرب عمرو القنا وأصحابه، واستأمن قوم، وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج، فأمر المهلب بأن يدفع كلّ جريح إلى عشيرته، وظفر عسكرهم فحوى ما فيه، ثم انصرف إلى جيرفت، فقال: الحمد لله الذي ردّنا إلى الخفض والدعة، فما كان عيشنا بعيش، ثم نظر إلى قوم في عسكر لم يعرفهم، فقال: ما أشدّ عادة السلاح! ناولني درعي. فلبسها ثم قال: خذوا هؤلاء، فلما سير بهم إليه قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك، فأمر بهم فقتلوا.

قال أبو العباس: ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري، ومرة بن تليد الأزدي. من أزد شنوءة. فوفد على الحجاج، فلما طلعا عليه تقدّم كعب فأنشده: يا حفص إني عداني عنكم السفر وقد سهرت فأودى نومى السهر^(١)

فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ قال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرني عن بني المهلب، قال: المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى

(١) وضع الشطر الثاني في ر بين علامتي الزيادة، وهو غير زائد في الأصل، س.

ببزيده فارساً شجاعاً! وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم نافع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، وكفالك بالمفضل نجدة! قال: فكيف خلقت جماعة الناس؟ قال: خلقتهم بخير، قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ما خافوا. قال: فكيف كان بنو المهلب فيهم^(١)؟ قال: كانوا حماة السرح نهاراً. فإذا ألبسوا ففرسان البيات، قال: فايهم كان أنجداً؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يئسنا منهم. ^(٢) إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم^(٢) آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين، كيف أفلتكم قطري؟ قال: كذناه ببعض ما كادنا به، فصرنا منه إلى التي^(٣) نحب، قال فهلا أتبعتموه؟ قال: كان الحد عندنا أثر من الفل. قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شقة الوالد، وله منا بر الولد، قال: فكيف اغتباط الناس؟ قال: فشأ فيهم الأمن، وشملهم النفل، قال: أكنت أعددت لي هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: فقال: هكذا تكون والله الرجال! المهلب كان أعلم بك حيث وجهك.

وكان كتاب المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافي بالإسلام فقدما سواء، الذي^(٤) وصل المزيده بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألا ينقطع المزيده منه^(٤) حتى ينقطع الشكر من عباده.

أما بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك، وكنا ونحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يسوئنا، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة. ونوم به الرضيع، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدريت السواد من السواد، حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله. ﴿فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

(١) ر «فيكم».

(٢-٢) كذا في الأصل، س. وفي ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(٣) ر «الذي».

(٤-٤) كذا في الأصل، س، وفي ر «الذي حكم ألا ينقطع المزيده منه». (٥) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أما بعد، فإن الله عزَّ وجلَّ قد فعلَ بالمسلمين خيراً، وأراحهم - من حدِّ الجهاد، وكنت أعلم بما قبلكَ. والحمد لله رب العالمين - فإذا وردَ عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم، ونفلِ الناس على قدرِ بلائهم، وفضلِ مَنْ رأيتَ تفضيله، وإن كانت بقيت من القوم بقيَّة فخلِّف خيلاً تقوم بإرائهم، واستعمل على كرمَان مَنْ رأيتَ وولَّ الخيلَ شهماً من وكذلك، ولا ترخص لأحد في اللحاقِ بمنزله دون أن تقدّم بهم على، وعجل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرمَان. وقال له: يا بُنَيَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ، إنما لك من مال كرمَان ما فضلَ عن الحجاج، ولن تُحتملَ إلا على ما احتملَ عليه أبوك، فأحسن إلى مَنْ معك، وإن أنكرت من إنسان شيئاً فوجهه إلى، وتفضل على قومك^(١) إن شاء الله.

قال أبو العباس: وقَدِمَ المهلبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامه وبره، وقال: يا أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيطُ الإيادي:

وَقَلَدُوا أُمُـرَكُمُ لِلَّهِ دَرْكُمُ	رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعَا
لَا يَطْعَمُ النَّوْمُ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ	هَمْ يَكَادُ حَشَاهُ يَقْصِمُ الضَّلْعَا
لَا مُتْرَفَا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ	وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهُ بِهِ خَشَعَا
مَازَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ	يَكُونُ مُتَّبِعَا طَوْرًا وَمُتَّبِعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَزْرِ مَرِيرَتِهِ	مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا

فقام إليه رجل، فقال: أصلحَ الله الأمير! والله لكأنى أسمعُ الساعةَ قطرياً وهو يقول: المهلبُ كما قال لقيطُ الإيادي. ثم أنشد هذا الشعر، فسر الحجاج حتى امتلأ سروراً.

قوله: «نفل» أى اقسِمَ بينهم، والنفلُ: العطيةُ التى تفضلُ. كذا كان الأصلُ. وإنما تفضلَ الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لبيد:

(١ - ١) ساقط من ر.

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وبإذنِ الله رَيْثٌ وَعَجَلٌ^(١)
وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، ويقال: نَفَلْتُكَ كَذَا وكَذَا. أى
أعطيتُكَ، ثم صار النَّفْلُ لازماً واجباً.

وقول الإيادى: «رَحِبُ الذراع». فالرَّحِبُ: الواسع، وإنما هذا مثلاً.
يريد واسع الصَّدْر متباعد ما بين المُنْكَبَيْنِ والذراعيين، وليس المعنى على
تَبَاعُد الخلق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحِيبُ الذراع بالتى لا تَشِيئُهُ وإن قِيلَتِ العَوْرَاءُ ضاقَ بها ذَرْعاً
وكذلك قوله جل وعز: ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيْقًا حَرَجًا﴾^(٢). وقوله:
«مُضْطَلَعًا» إنما هو «مُفْتَعَلٌ» مِنَ الضَّلِيعِ، وهو الشديد. يريد أنه قوى على أمر
الحرب، مستقل بها. وقوله: «يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا» أى قد اتَّبَعَ النَّاسَ فَعَلِمَ مَا
يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ النَّاسِ. وَاتَّبَعَ فَعَلِمَ مَا يَصْلُحُ الرَّئِيسُ. كما قال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه: قَدْ أَلْنَاوِإِلَ^(٣) عَلَيْنَا. أى قَدْ أَصْلَحْنَا أُمُورَ النَّاسِ. وَأَصْلَحَتْ
أُمُورُنَا. وقوله: «على شَرَزِ مَرِيرَتِهِ» فهذا مثلاً، يقال: شَزَرْتُ الحبلَ، إِذَا كَرَّرْتُ
فَتْلَهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِهِ رَاجِعًا عَلَيْهِ. المَرِيرَةُ: الحبلُ، وَالضَّرْعُ: الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ،
وَالْقَحْمُ: آخِرُ سِنِّ الشَّيْخِ، قال العجاج:

رَأَيْنَ قَحْمًا شَابَ وَأَقْلَحَمًا طَالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمًا
وَأَلْمَقْلَحَمُ مِثْلُ الْقَحْمِ. وهو الجافُّ، ويقال للصَّبِيِّ مُقْلَحَمٌ. إِذَا كَانَ سَيِّئَ
الْغِذَاءِ، أَوْ ابْنَ هَرَمَيْنِ، ويقال: رَجُلٌ إِنْقَحَلَ وامرأةٌ إِنْقَحَلَتْ. إِذَا أَسَنَّ حَتَّى يَبْسَ.
وَالْمُسْلَهَمُ: الضَّامِرُ. قال الشاعر:

﴿لَمَّا رَأَتْنى خَلَقًا إِنْقَحَلًا﴾ *

ويقال فى معنى: «قَحْمٌ» قَحْرٌ، ويقال: بَعِيرٌ قُحَارِيَّةٌ، فى هذا المعنى.
وقوله: لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثٌ يَبْعَثُهُ هَمٌّ. فـ«رَيْثٌ» وَعَوَضٌ مما يضاف إلى
الافعال، وتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الْهَمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) من الإبالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماء الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^(١)، فأسماء الزمان كلها تضاف إلى الفعل، نحو قولك: آتَيْكَ يَوْمَ يَخْرُجُ زَيْدٌ، وَجِئْتُكَ يَوْمَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف إلى الابتداء والخبر، فتقول: جِئْتُكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ، ولا يجوز ذلك في المستقبل، وذلك لأن الماضي في معنى «إِذَا»، وأنت تقول: جِئْتُكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ، والمستقبل في معنى «إِذَا»، فلا يجوز أن تقول: أَجِئْتُكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ، فلذلك لا يجوز: أَجِئْتُكَ يَوْمَ زَيْدٌ أَمِيرٌ. فأما الأفعال في «إِذَا» و«إِذَا» فهي بمنزلة واحدة، تقول: جِئْتُكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ، وَأَجِئْتُكَ إِذَا قَامَ زَيْدٌ، فهذا واضح بين، ومما يضاف إلى الفعل «ذُو» في قولك: أَفْعَلُ ذَاكَ بِذِي تُسَلِّمُ، وَأَفْعَلَاهُ بِذِي تُسَلِّمَانِ، معناه: بالذي يُسَلِّمُكُمَا، ومن ذلك «آيَةٌ» في قوله:

بِآيَةِ تَقْدِمُونَ الْخَيْلَ شُعْنًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا^(٢)

والنحو يتصل ويكثر، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار،^(٣) وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب^(٤). فقال المهلب: إِنَّا وَاللَّهِ مَا كُنَّا أَشَدَّ عَلَى عَدُونَا وَلَا أَحَدًا، وَلَكِنْ دَمَغَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ، وَفَهَرَتِ الْجَمَاعَةُ الْفِتْنَةَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى. وَكَانَ مَا كَرِهْنَاهُ مِنَ الْمَطَاوِلَةِ خَيْرًا مِمَّا أَحْبَبْنَاهُ مِنَ الْعَجَلَةِ. فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ: صَدَقْتَ، أَذْكَرُ لِي الْقَوْمَ الَّذِينَ أَبْلَوْنَا، وَصِفْ لِي بَلَاءَهُمْ، فَأَمَرَ النَّاسَ فكَتَبُوا ذَلِكَ لِلْحِجَّاجِ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُهَلَّبُ: مَا ذَخَرَ اللَّهُ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ ذَكَرَهُمُ لِلْحِجَّاجِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي الْبَلَاءِ وَتَفَاضُلِهِمْ فِي الْغَنَاءِ. وَقَدَّمَ بَنِيهِ: الْمُغِيرَةَ، وَيَزِيدَ، وَمُدْرَكَا، وَحَبِيبًا، وَقَبِيصَةَ، وَالْمُفَضَّلَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ، وَمُحَمَّدًا وَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَوْ تَقَدَّمَ هُمْ أَحَدٌ فِي الْبَلَاءِ لَقَدَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ لَا أَنْ أظْلَمَهُمْ لِأَخْرَجْتُهُمْ. قَالَ الْحِجَّاجُ: صَدَقْتَ. وَمَا أَنْتَ بِأَعْلَمَ بِهِمْ مِنِّي، وَإِنْ حَضَرَتْ وَعَبَتْ إِنَّهُمْ لَسُيُوفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ ابْنِ الْمُغِيرَةِ بَنَ أَبِي صُفْرَةَ وَالرَّقَادُ وَأَشْبَاهَهُمَا، فَقَالَ الْحِجَّاجُ: أَيْنَ الرَّقَادُ؟ فَدَخَلَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَجْنَأٌ^(٥)، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ هَذَا فَارِسُ الْعَرَبِ، فَقَالَ الرَّقَادُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي كُنْتُ أَقَاتِلُ مَعَ غَيْرِ الْمُهَلَّبِ، فَكُنْتُ

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيبويه في الكتاب (١: ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣ - ٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنا؛ وهو ميل في الظهر.

كبعض الناس، فلما صرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنِي الصَّبْرَ ويجعلُنِي أسوَةً لنفسه وولده
ويجازينِي على البلاء، صرْتُ أنا وأصحابِي فُرْسَانًا، فأمرَ الحَجَّاجُ بتفضيلِ قومٍ على
قومٍ على قَدَرِ بلائِهِم، وزادَ وَلَدَ المهلبِ أَلْفَيْنِ، وفعلَ بالرقَادِ وجماعةٍ شبيهاً بذلك.
قال يزيد بن حَبَاءٍ من الأزارقة:

دَعَى اللُّومَ إِنَّ العَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ	وَلَا تُعْجَلِي بِاللُّومِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ
فَإِذْ عَجَلْتَ مِنْكَ المَلَامَةَ فَاسْمَعِي	مَقَالَةَ مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمٍ
وَلَا تَعْذِلِينَا فِي الهَدِيَةِ إِنَّمَا	تَكُونُ الهَدَايَا مِنْ فَضُولِ المَغَانِمِ
فَلَيْسَ بِمُهْدٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ	جِلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بِطَعْنَةٍ	غَمُوسٍ كَشَدَقِ العَنْبَرِيِّ بْنِ سَالِمٍ
أَبَيْتُ وَسِرْبَالِي دَلَاصُ حَصِينَةٍ	وَمَغْفَرُهَا وَالسَّيْفُ فَوْقَ الحِيَازِمِ ^(١)
حَلَفْتُ بِرَبِّ الوَاقِفِينَ عَشِيَّةً	لَدَى عَرَفَاتٍ حَلْفَةَ غَيْرِ آثِمٍ
لَقَدْ كَانَ فِي القَوْمِ الَّذِينَ لَقِيَتْهُمْ	بَسَابُورُ شُغْلٍ عَنْ بَرُوزِ اللَّطَائِمِ
تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِبِيَّةٌ	وَمُرْهَقَةٌ تَفْرِي شُؤْنَ الجَمَاجِمِ

قلت: «مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ جِلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ» يريدُ يَمْسِي هُوَ فِي لَيْلِهِ
ويَكُونُ هُوَ فِي نَهَارِهِ. وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الفِعْلَ لِلَّيْلِ والنَّهَارِ عَلَى السَّعَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ:
﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٢). والمعْنَى بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَقَالَ مِنْ أَهْلِ
الْبَحْرَيْنِ مِنَ اللُّصُوصِ:

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ وَاللَّيْلُ فِي جَوْفِ مَنَحُوتٍ مِنَ السَّاجِ
وَقَالَ آخَرُ:

قَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المِطِيِّ بِنَائِمٍ
وَلَوْ قَالَ: «مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ جِلَادًا وَيُمْسِي لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ».

لَكَانَ جَيِّدًا، وَذَٰكَ أَنَّهُ أَرَادَ مِنْ يَكُونُ نَهَارُهُ يَجَالِدُ جِلَادًا، كَمَا تَقُولُ: إِنَّمَا

(١) الدَّلَصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْبَرَقَ، وَمِنْهُ سَمِيَتِ الدَّرْعُ دَلَاصًا.

(٢) سُورَةُ سَاءِ ٣٣.

أنت سِيرًا، وإنما أنتَ ضَرْبًا، تريدُ تَسِيرَ سَيْرًا، وتضربُ ضَرْبًا، فأضْمِرْ لعلمِ
المخاطَبِ أنه لا يكونُ هو سيرا، ولو رَفَعَهُ على أن يجعلَ الجَلَادَ في موضعِ
المجَالِدِ، على قوله: أنتَ سِيرٌ، أى أنتَ جائزٌ كما قالتِ الخنساء:

* فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ *

وفى القرآن: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^(١) أى غائرا، وقد مضى
تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال: «وَيُمْسَى لَيْلَهُ غَيْرَ نَائِمٍ» لجاز، يصير
اسمه فى «يُمسى»، ويجعل «لَيْلَهُ»، ابتداءً، و«غَيْرَ نَائِمٍ»، خبره على السعة التى
ذكرنا.

وقوله: «غُمُوسٌ» يريدُ واسعةً محيطَةً، والعَنْبَرِيُّ بن سالم رجلٌ منهم كان
يقال له الأَشْدَقُ، واللُّطَائِمُ: واحدتها: لَطِيْمَةٌ، وهى الإبلُ التى تَحْمِلُ البَزَّ
والعَطَرَ. وقوله: «تَوَقَّدُ فى أَيْدِيهِمْ رَاعِبِيَّةٌ» يعنى الرِّمَاحَ، والتَّوَقَّدُ لِلْأَسْنَةِ،
وَالزَّاعِبِيَّةُ منسوبةٌ إلى زاعبٍ، وهو رجلٌ من الخَزَرَجِ كان يعملُ الرماحَ. وتَفَرَّى:
تَقَدَّ، يقال فَرَى إِذَا قَطَعَ، وَأَفَرَى إِذَا أَصْلَحَ.

وقال حَبِيبُ بن عَوْفٍ من قَوَادِ المهَلَّبِ:

أبا سَعِيدَ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنِفْ على أَحَدٍ
دَاوَيْتَ بِالْحِلْمِ أَهْلَ الْجَهْلِ فَاثْقَمُوا وكنتَ كالوالدِ الحَانِي على الولدِ

وقال عبيدة بن هلال فى هربهم مع قطرى:

ما زالت الأقدارُ حتى قَذَفْتَنِي بقُومَسٍ بين الفُرْخَانِ وَصُولِ
ويُرَوَى أَنَّ قَاضِيَّ قَطْرِي، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سمع قول عبيدة
ابن هلال:

عَلَا فَوْقَ عَرْشٍ فَوْقَ سَبْعِ دُونِهِ سَمَاءٌ تَرَى الْأَرْوَاحَ مِنْ دُونِهَا تَجْرِى
فقال له العبدى: كَفَرْتَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ بِمَخْرَجٍ، قال: نعم، رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَعْرُجُ
إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكرُ رجلا منهم:

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوِي وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ
فَشْوَى صَرِيْعًا وَالرِّمَاحُ تُنَوِّشُهُ
شَلَوْ تَنْشَبَ فِي مَخَالِبِ ضَارٍّ (١)
إِنَّ الشَّرَاءَ قَصِيْرَةُ الْأَعْمَارِ

تُنَوِّشُهُ: تَأْخُذُهُ وَتَتَنَاوَلُهُ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ﴾ (٢) أَيْ التَّنَاوُلُ، وَمِثْلُ بَيْتِهِ هَذَا قَوْلُ حَبِيبِ الطَّائِي:

فَمِمْ الشَّمَاةُ إِغْلَاتًا بِأَسَدٍ وَغَى
وَقَالَ أَيْضًا فِي شَبِيهِ بِهَذَا الْمَعْنَى:

إِنْ يَتَّحِلُّ حَدَثَانُ الْمَوْتِ أَنْفُسَكُمْ
فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذَّبَهُ
وَيَسْلَمُ النَّاسُ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ
يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْأَجْنِ الْأَسَنِ

وَقَالَ أَيْضًا:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًّا فَلَمَنِي
وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ عَيْسَى:

أَحْبَبُّكَ يَا جَنَّانُ فَأَنْتَ مِنِّي
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ رُوحِي
لِإِقْدَامِي إِذَا مَا الْحَرْبُ جَاشَتْ
مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ الْجَبَانِ
لَخَفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ (٣)
وَهَابَ حُمَاتُهَا حُرَّ الطَّعَانِ

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي خِلَافِ هَذَا الْمَعْنَى:

أَكُنَّ الْجَبَانُ يُرَى أَنَّهُ
فَقَدْ تَدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانِ
يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارُ الْأَجَلُ
وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطْلُ

رَجَعَ الْحَدِيثُ:

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ:

سَائِلُ بَنَّا عَمُرُو الْقَنَا وَجُنُودُهُ
أَبُو نَعَامَةَ: قَطْرَى.
وَأَبَا نَعَامَةَ سَيِّدَ الْكُفَّارِ

(١) الشَّلَوُ: الْعَضُو.

(٢) سُورَةُ سَبَأٍ ٥٢.

(٣) بَادِرَةُ الرَّجُلِ: مَا يَدْرُ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظليّ من أصحاب المهلب :

إني امرؤٌ كفّني ربّي وأكرمني	عن الأمور التي في رغيها وخم
وإنما أنا إنسانٌ أعيشُ كما	عاشت رجال وعاشت قبلها أمم
ما عاقني عن قُقول الجُند إذ قفلوا	عني بما صنعوا عجزٌ ولا بكم
ولو أردتُ قُفولاً ما تجهّمني	إذن الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إن المهلب إن أشتق لرؤيته	أو امتدحه فإن الناس قد علموا
إن الأريب الذي تُرجى نوافله	والمستعان الذي تجلّى به الظلم
القائلُ الفاعلُ الميمون طائره	أبو سعيد إذا ما عدت النعم
أزمان أزمان إذ عضّ الحديد بهم	وإذ تمنى رجال أنهم هزموا

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم نبتدئه لتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء، ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيله عن طريقه.

ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مرّ من أخبار الخوارج شيء مرّ كما مرّ غيره، ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا خبرٌ نجدة، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشبيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصاً.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب في اختصار الخطب والتحميد والمواظ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
باب	
لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعي	٣
للخليع يمدح عاصما الغساني	٣
لأبى العتاهية فى العتاب	٤
ليزيد بن محمد يمدح إسحاق بن إبراهيم	٤
فى مقتل مصعب بن الزبير	٥
ابنة جارية همام بن مرة	٥
من أخبار سعيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر	٦
مما قالته العرب فى ذم باهلة	٩
فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى	١٠
للأعشى يمدح هوزة بن على	١٢
من أخبار هوزة بن على	١٨
لجرير يهجو بنى حنيفة	١٩
لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنيفة	٢٠
من أخبار الوليد بن عقبة وشعره	٢١
لللى الأخيلى ترثى عثمان بن عفان	٢٢
لآخر يرثيه أيضا	٢٢
لأيمن بن خزيم يرثيه أيضا	٢٣
باب فى التشبيه	٢٥
من تشبيهات المحدثين	٣٧٠

الصفحة

الموضوع

٤٤	الرياح ومواقعها
٤٧	لجريد في بنى مجاشع
٤٨	من أخبار لبيد بن ربيعة
٥٠	لأوس بن حجر
٥١	لرجل في الهجاء
٥٤	بين غنوى وفزاري
٥٦	لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد
٦٢	للفرزديق حين ولي ابن هبيرة العراق
٦٣	للفرزديق أيضا في هجاء عمر بن هبيرة
٦٥	للفرزديق أيضا في حبس عمر بن هبيرة
٧١	حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك
	باب
١١٥	الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك
١١٥	لابن قيس الرقيات في معاتبة المهلب
١١٥	نيد من أقوال الحكماء
١١٦	لدعبل يذم رجلا
١١٦	لبعض آل المهلب
١١٦	لرجل من طيء وكان قتل رجلا من بنى أسد
١١٧	لشمعل التغلبي حين ضربه عبد الملك بن مروان
١١٨	بخل الخطيئة
١١٨	متفرقات من شعر دعبل

الموضوع	الصفحة
لرجل من قريش	١١٨
لجريد يفتخر ويهجو الأخطل وقومه	١١٩
باب: من أخبار الخوارج	١٢١
فى بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبى	١٢١
شأنهم مع واصل بن عطاء	١٢٢
مناظرة عبد الله بن عبس لهم	١٢٢
الفتوى فىمن أصاب صيدا وهو محرم	١٢٣
قول قطرى بن الفجاءة لأبى خالد القنانى ورد أبى خالد عليه... ..	١٢٣
من أخبار عمران بن حطان وأشعاره	١٢٤
أول من حكم من الخوارج	١٣٣
أول سيف سل من سيوفهم	١٣٣
مناظرة على بن أبى طالب لهم	١٣٤
للصلتان العبدى	١٣٥
للمراعى فى عبد الملك بن مروان	١٣٦
من أخبارهم يوم النهروان	١٣٨
من شعر على بن أبى طالب	١٤٠
فى تقسيم غنائم خيبر	١٤٠
من أخبار واصل بن عطاء	١٤١
مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه	١٤٤
لأبى زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب	١٤٩
للكميت فى رثائه أيضا	١٥٠

الموضوع	الصفحة
لأبى الأسود الدؤلى فى آل البيت	١٥١
وقف عين أبى نيرز	١٥٣
كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم	١٥٣
حديث على مع الخوارج فى أول خروجهم عليه	١٥٥
خبرهم مع عبد الله بن خبيب وقتلهم له	١٥٦
غيلان بن خرشة ونيله منهم	١٥٧
مرداس بن أدية وزياد	١٥٧
آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج	١٥٨
حديث المخدج	١٦٢
من أخبار نافع بن الأزرق	١٦٣
الحجاج وامرأة من الخوارج	١٧٠
عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج	١٧٠
وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية	١٧١
صديق عبد الملك بن مروان	١٧٢
حديث ابن جعدية للمنصور	١٧٢
قتال أهل النخيلة	١٧٣
مناظرة أهل النخيلة لابن عباس	١٧٤
المستورد التيمى	١٧٥
الخوارج ومعاوية	١٧٥
من أخبار مقتل الإمام على ووصيته لأبنائه	١٧٧
الخوارج وزياد	١٧٩

الموضوع	الصفحة
قتل مصعب لامرأة المختار	١٨٠
عبد الله بن زياد والخوارج	١٨١
من أخبار مرداس بن أبي بلال	١٨٢
عباد بن أخضر المازنى	١٨٧
عروة بن أدية	١٨٨
أمر زياد مع الخوارج	١٩٠
الرهين المرادى وشعره	١٩١
المختار بن عبيد وبعض أخباره	١٩٤
باب اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة	١٩٧
عود إلى ذكر أخبار الخوارج	١٩٩
لخالد بن عباد السدوسى	١٩٩
تفرق الخوارج	٢٠١
الخوارج وابن الزبير	٢٠١
خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز	٢٠٥
خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق والرسائل التى دارت بينهما	٢٠٦
كتاب نافع إلى ابن الزبير	٢٠٩
كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة	٢١٠
مقتل نافع بالأهواز	٢١٢
لقطرى فى يوم دولاب	٢١٥
هذا باب «فعل»	٢١٨

الموضوع	الصفحة
هذا باب النسب إلى المضاف	٢١٩
النسب إلى المضاف	٢١٩
النسب إلى المضاف غير العلم	٢١٩
النسب إلى الجماعة	٢١٩
عود إلى أخبار الخوارج	٢٢١
الأزارقة وولاية البصرة	٢٢١
تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم	٢٢٣
تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه للمهلب	٢٣٩
مشاورة مصعب للناس فيمن يكفيه أمر الخوارج	٢٤٠
ولاية قطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له	٢٤٨
فيروز حصين وبعض أخباره	٢٥١
ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج	٢٦٠